

الإنجاز في العربية

نشأة وتطوراً

دكتور

عبد الغفار حاتم هلال

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

يطلب من

مكتبة وهيب

٤ شارع الجمهورية، عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠



الإنجاز في العربية

نشأة وتطوراً

دكتور

عبد الغفار حاتم فلاح

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

يطلب من

مكتبة وهبة

٤ شارع الجمهورية، عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع الحقوق محفوظة

بر ودعاء

قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا) •

واننى اهب ثواب هذا العمل الخالص الى والدى اللذين
وجهانى ، وغرسا فى حب البحث العلمى ، وأفاضا على من رضاها
ما مكننى — بعون الله — من السير فى طريق الله لخدمة لغة القرآن
وعلومه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل أسأل
أن يتغمدهما برحمته ، وأن يجزيهما عنى وعن كل ما أفدته وأفيدته من
هذه العلوم خير الجزاء وأوفاه ، وأدعو — كما أمرنى المولى
عز وجل •

« رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن بالعربية وكان سيارجا لها حفظا وسلامة وكفل لها التوحد والسلطان والنفوذ بين لغات العالم ، والصلاة والسلام على من علمه ربه لهجات العرب فقال : « أدبى ربي فأحسن تأديبى » • وبعد

فليست العربية بدعا من اللغات فى نشأتها وتطورها وتوحيدها فقد كان العرب قبائل متعددة متوزعة فى شتى أنحاء الجزيرة العربية الواسعة التى تشتمل على بيئات كثيرة يلتقى فيها بعضها ببعض وينفصل بعضها عن بعض بعوامل جغرافية وثقافية وحضارية فى أزمنة وأماكن خاصة أدت الى سماع بعضهم السنة من غير بنى جنسه مما وقع تحت تأثيره وحسه ، وكانت لهم لهجات مختلفة حسب تنوع بيئاتهم وتعدد ألوان حياتهم وثقافتهم ، ولا ريب أن ذلك كان له أثره فى استقلال بعض هذه اللهجات - أحيانا - واتصال بعضها بغيرها أحيانا أخرى وكان هذا وذاك عاملين على الانقسام تارة والتوحد تارة أخرى •

ثم كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب كثيرة ثم ظهرت لغة عامة تحدث بها العرب جميعا فى محافلهم وأسواقهم ومجالات القول عندهم •

ولما نزل القرآن الكريم عمل على شد أزر هذه اللغة الموحدة واستمرار حياتها راسخة البنين عالية الذرا •

وإذا كانت اللغات العالمية دائمة التغير يعروها الضعف والشيخوخة والاكتهال كلما مرت بها حقبة من الزمان فإن العربية بعد التوحيد ونزول القرآن الكريم حظيت بالثبات فى أصواتها وكلماتها وتراكيبها ولم يعثرها الضعف أو الوهن فلا تزال — والحمد لله — تجرى على ألسنة المتحدثين المثقفين بها بصورة تقارب — ان لم تماثل تماما — ما كان ينطق به أسلافنا من العرب الفصحاء •

وكان لحديث علماء اللغة الجامعين لها والواضعين لقواعدها — فى شتى فروع علم اللغة — جهد كبير فى الحفاظ عليها لنظل أداة لفهم كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وقد دعاهم حبهم لها وشغفهم بها لارتباطها بمصدرى التشريع أن يحيطوها بالتقدير والاكبار والحفظ والصون وأن ينفوا عنها ما يحتمل أن يحولها عن مسارها الحيوى فأسقطوا من حسابهم الحديث عن بعض اللهجات التى كانت ظواهرها غير مستحسنة أو شذت عن الاتجاه العام للعربية النموذجية ، فأهملها الرواة أحيانا ، وتركوها تموت وتختفى أو جمعوا بعضها وحاول علماء اللغة إخضاعه للمقاييس العامة ببعض التوجيهات والتأويلات أو الحكم عليها بالندرة أو الشذوذ أو نحو ذلك مما أطلقوه من مصطلحات وتسميات •

وان هذه اللهجات التى كانت فى لغة العرب تكشف للباحث والدارس المراحل التى مرت بها وخط سيرها وتوصل نتائج دراستها الى ما يفيد اللغة العربية اذا أحسننا فهمها ومعرفة سلوكها •

وهذا الكتاب يتناول بالحديث حياة العربية حين كثر فيها اللهجات وتنوعت وحين توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا •

واقترضت الدراسة والبحث أن يكون هذا الكتاب مشتملا على أربعة أبواب تتدرج فيها دراسة هذا الموضوع المهم •

تحدثت فى الباب الأول عن الكلام والقول واللغة واللهجة
والصلة بينها اشتقاقاً ومعنى وطبيعة جغرافية وحضارية •

وفى الباب الثانى عرضت عوامل انشعاب اللغة الى لهجات مع
تطبيق ذلك على نشأة العربية وتبوع لهجاتها •

وخصصت الباب الثالث بالتوحد اللغوى وأسبابه وأثر ذلك فى
العربية الباقية •

وكان حديثنا فى الباب الرابع عن اختلاف اللهجات العربية
ومظاهره فتناولنا — بالعرض والبحث — آثار اللهجات العربية
ودراستها ، ثم عالجت ما اختلفت به من مظاهر عديدة فى عدة فصول
تحدثنا فيها عن الابدال فى الحروف والحركات والتغير فى بعض
الصيغ اللغوية واختلاف الأوجه النحوية وطرائق العرب فى اظهار
الحروف وادغامها ونقص بعض الحروف وزيادتها •

ثم عرضنا لأهمية البحث اللهجى الحديث وأدواته وطرقه
والافادة منه فى دراسة اللغات واللهجات وسقنا صوراً لدراسة بعض
اللهجات الحديثة لنفيد منها فى دراسة فصاحتنا العربية •

وكانت لنا جولات واسعة فى كتب اللغة والنحو والأدب فتشنا
فيها عن آثار هذه اللهجات لينضم بعضها الى بعض ونستقبل القاصى
والدانى ونبحث عن شواردها وأوابدها بين أحاديث متفرقة فى بطون
المراجع وأمهات الكتب حتى نقف على حقيقة هذه اللهجات وطبيعتها
وشواهدنا فيما نقل اليها من نصوص موثوق بها مما أمكننا العثور
عليه ومحاولة تفسيره من الوجهة اللغوية •

وحديثنا يتناول بيان آراء اللغويين فى هذه الظواهر من خلال
دراستهم لها وتصورهم لما بقى منها فى اطار القواعد والأسس التى

رسموها ثم كانت لنا وقفات مع آرائهم بالتأييد أو المناقشة أو التفسير والتوجيه والترجيح أو التضعيف حسب مقاييس علمية اتخذناها طريقا لاثبات ما صح ونفى ما زيف ، وعالجناها من منظور موضوعي يعتمد على بعض ما جد فى مجال الدراسة اللغوية على المستوى الصوتي والمعجمي والدلالي والتنظيمي دون أن ننساق وراء بعض التفسيرات التى تتأى عن المناهج العلمية الصحيحة التى تحكم لغتنا وتتفق وطبيعتها .

ولعلنا نكون قد أضفنا بهذا العمل العلمى نواحي جديدة فى بحث لهجات العرب وتوجهها اللغوى .

والله أسأل رشادا وتوفيقا

القاهرة فى :

١١ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ

٨ من يناير سنة ١٩٩٠ م

أ د / عبد الغفار حامد هلال

الباب الأول

الكلام والقول واللغة والنهجة والصلة بينها

الكلام والقول

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة أو يعزل أحدهما عن الآخر « فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الانسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقا حقيقيا بلا علامات لغوية أى كلمات فالتفكير بلا كلمات عائم »^(١) ، « والكلمات أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات لها »^(٢) ، « وما يسميه النحاة أقسام الكلام وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف ليس فى الواقع الا أقسام اللغة فقول صاحب الألفية الكلام وما يتألف منه يجب أن يصير الى اللغة وما تتألف منه »^(٣) ، « فالكلام الذى هو نشاط انساني نطقى نتيجة لارادة المتكلم » يعد الباعث نكلمات اللغة بحيث يجعلها حية بعد موتها ووجودها فى طوايا العقل أو المعاجم ، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقل الجماعة الانسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى والصرفى والنحوى، واللغة بهذا الوصف تسمى « باللغة المعينة »^(٤) التى هى نتاج جمعى يستعمله الأفراد « وللكلام علاقة باللغة المعينة ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العلمى منها »^(٥) ، وفى الدراسات الصوتية الحديثة يستخدم الكلام طريقا لمعرفة الاتجاهات الصوتية فى لغة

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٤) اللغة (فندريس) ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢ - ٣٥ .

ما أو لهجة ما وتلك من أبرز الوسائل الناجحة لمعرفة حقائق صوتية لم يهتد الباحثون إليها من خلال الدراسات القديمة تبعا لأن دراسة القدماء بنيت على الوصف النظري للأصوات دون تطبيق عملي لها لعدم توافر الأجهزة الحديثة لديهم .

وعلماء العربية القدامى فى تتاولهم للكلام والقول لا يأتون بمنكلمين ليسجلوا أقوالهم ويطبقوا عليها وإنما يبحثون المسألة من وجهة نظر أخرى هى بيان معنى كل منهما وهل له صلة باللغة أو لا ؟ ولا ريب أنهم مصيبون فى بحثهم اذ الكلمات — كما رأينا — هى مكونات اللغة وأساسها وقد عرض ابن جنى للكلام والقول على طريق الاشتقاق الأكبر محلا معنييهما وتصرفاتهما والفرق بينهما ومعللا كل ذلك بما يعن له من أسباب وقد مزج بين طريقى النحويين واللغويين فى ذلك .

الكلام : عرف الكلام بأنه « كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد وضرب سعيد وفى الدار أبوك وصه ومه ورويد وحاء وعاء فى الأصوات وحس ولب وأف وأوه ، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام »^(٦) ، وقال : ان الكلام اسم من كلم بمنزلة السلام من سلم وهما بمعنى التكليم والتسليم وهما المصدران الجاريان على كسلم وسلم ، قال الله سبحانه : « وكلم الله موسى تكليما » وقال عز اسمه : « صلوا عليه وسلموا تسليما »^(٧) وهو جنس للجمل المركبة لأدلة :

١ — أن العرب حددوا للدلالة على الواحد لفظ (كلمة) .

٢ — أن المصدر كذلك حاله ، فاذا قيل : قام محمد فهو كلام وإذا قيل : قام محمد وأخوك جعفر فهو أيضا كلام كما كان لما وقع على الجملة الواحدة كلاما وإذا قيل قام محمد وأخوك جعفر وفى

(٦) الخصائص ١٧/١ .

(٧) المصدر السابق ٢٥/١ .

الدار سعيد فهو أيضا كلام كما كان لما وقع على الجملتين كلاما وهذا طريق المصدر لما كان جنسا لفعله ، ألا ترى أنه إذا قام قومة واحدة فقد كان منه قيام وإذا قام قومتين فقد كان منه قيام وإذا قام مائة قومة فقد كان منه قيام ، فالكلام اذن انما هو جنس للجمل التوام مفردا ومثنيا ومجموعا كما أن القيام جنس للقومات مفردا ومثنيا ومجموعا ، تقتطير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام .

٣ - استعملت العرب لفظ (كلام) وما بمعناه من كلمة حديث ومنطق فى أشعارها فى مقام الشجو وأحاديث المحبين « ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تملك قلب السامع ، انما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه » ، وقد ساق ابن جنى أمثلة كثيرة لهذا الاستعمال من أشعار العرب كقول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا
وقول الراعى :

وحديثها كالغيث يسمعه راعى بنين تتابعت جذبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا
وقول ذى الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخم الحواشي لا هراء ولا نزر
وقد عقب على كل مثال ذكره بما يوضح أن لفظ الكلام أو الحديث أو المنطق لابد أن يكون عبارة عن « كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بجملة واحدة فان نقص عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب » بل أن كل مقام من المقامات التى ذكرها الشعراء يستدعى جملا كثيرة حتى يتحقق لكل منهم ما أراد (٨) .

٤ — يقتضى اختصاص الكلام بالجمال التامة المستقلة بنفسها اشتقاق لفظ الكلام فهو — كما يرى ابن جنى — من الكلم والكلام والكلم وهو الجراح لما يدعو اليه ولما يجنيه فى أكثر الأمر على المتكلمة^(٩) ، قال : (وجرح اللسان كجرح اليد) ومنه قوله :
قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم
وانما ينقم من القول ويحقر ما ينثى ويؤثر وذلك ما كان منه تاما
غير ناقص ومفهوما غير مستبهم ، وهذه صورة الجمل وهو ما كان من
الألفاظ قائما برأسه غير محتاج الى متمم له فلهذا سموا ما كان من
الألفاظ تاما مفيدا كلاما لأنه فى غالب الأمر وأكثر الحال مضر بصاحبه
وكالجراح له^(١٠) .

هذا البيان كان وفاعا عن معنى الكلام على الطريقة النحوية ،
ثم قرن ابن جنى ذلك ببحث مادة (ك ل م) وتقلباتها على الطريقة
اللغوية فتعرض لمادة (ك ل م) وتقلباتها على طريقة الاشتقاق
الأكبر الذى يعد هو مبتكره فبين أنها « حيث تقلبت فمعناها الدلالة
على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة هي : (ك ل م) —
(ك م ل) — (ل ك م) — (م ك ل) — (م ل ك) وأهملت منه
(ل م ك) فلم تأت فى ثبت .

فالأصل الأول (ك ل م) يأتى منه الكلم وما تصرف منه بمعنى
الجرح والكلام ما غلظ من الأرض وفى كل ذلك شدة وقوة ، ومنه :

(عليها الشيخ كالأسد الكبير)

إذا جرح فحمى أنفا وغضب فلا يقوم له شيء ، ومنه الكلام
وذلك أنه سبب كل شر وشدة فى أكثر الأمر ألا ترى الى قول رسول

(٩) يقصد المتكلمين .

(١٠) الخصائص ٣٢/١ .

الله ﷻ : « من كفى مؤونة لقلقه وقبقيه وذذببه دخل الجنة » (١١) ،
ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى لسانه : « هذا أوردنى الموارد »
وهو باب واسع •

والثانى : (ك م ل) كمل الشيء — مثلثة الميم — فهو كامل
وكميل وعليه بقية تصرفه والتقاؤها ، أن الشيء اذا تم وكمل كان
حينئذ أقوى وأشد منه اذا كان ناقصا غير كامل •

والثالث : (ل ك م) اللكم اذا وجأت الرجل ونحو ولا شك
فى شدة ما هذه سبيله •

والرابع : (م ك ل) منه بئر مكول اذا قل مأوها ، قال
القطامى : (كأنها قلب عادية مكل) ، فالبئر اذا قل مأوها كره موردها
وجفا جانبها وذلك شدة ظاهرة •

والخامس : (م ل ك) منه ملكت العجين عجنته فاشتد وقوى
ومنه ملك الانسان ، ففيه قدرة للمالك عليه (١٢) •

وبذلك يكون ابن جنى قد فسر مسادة (ك ل م) وأبان عن —
معنى الكلام بما يفيد أنه عبارة عن « الألفاظ برؤوسها المستغنية عن
غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف
تركيبها » (١٣) •

القول : عرف القول بأنه كل لفظ مقل به اللسان تاما أو ناقصا
فالتام هو المفيد أعنى الجملة وما كان فى معناه نحو : صه وإيه

(١١) اللقلق : اللسان ، الققيب : البطن ، الذذب : الفرج الجمهرة
١٢٦/١ وانظر كلام ابن جنى بالخصائص ١٤/١ •
(١٢) المصدر السابق ١٣/١ — ١٧ •
(١٣) المصدر السابق ٣٢/١ •

والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ومحمد وان ، وكان أخوك اذا كانت الزمانية لا الحديثة فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً^(١٤) هذا هو حقيقة معناه ثم انه يستعمل مجازاً بمعنى الاعتقاد والرأى فيقال : هذا قول فلان أى رأيه ومعتقده « وفلان يقول بقول أبى حنيفة ويذهب الى قول مالك أى يعتقد ما كانا يريانه ولا يراد بذلك أنه يحكى لفظهما عينه من غير تغيير لشيء من حروفه ومثل ذلك أن تقول فى رفع زيد بالابتداء فى قولنا : زيد قام أبوه ، هذا قول البصريين أى رأيهم وفى رفعه بما يعود عليه من ذكره هذا قول الكوفيين وأنت تريد بذلك اعتقادهم لا نفس حروفهم والا فان عبارة القائل قد تتغير والمراد الرأى لا العبارة^(١٥) ولا يصح هذا كلام أبى حنيفة أو كلام البصريين أو كلام الكوفيين اذ الكلام يتعلق علاقة له بالرأى والاعتقاد وذلك

وصح اطلاق القول على الاعتقادات

تظهر الا بالقول فهى سبب له والقول

باسم غيره اذا كان ملائماً له ومثله

الله سبحانه : « ويأتى الموت من كل مكان وما هو

الله أعلم — أسباب الموت اذ لو جاءه الموت نفسه

منه تسمية الزائدة الراوية والنحو نفسه الغائط

... ، وتدور مادة (ق و ل) وتصرفاتها حول الخفوف

وتصرفاتها الستة كلها مستعملة *

(١٤) المصدر السابق ١٧/١ .

(١٥) المصدر السابق ١٨/١ .

(١٦) ولهذا يصح أن تقول كلام فلان ... الخ اذا وضعت الكلام

موضع القول متجاوزاً بذلك . الخصائص ١٨/١ وجواز ذلك فى القول

دون الكلام مجرد اتجاه الى الابق فقط الخصائص ٢٠/١ .

(١٧) المصدر السابق ١٩/١ ، ٢٠ .

الأصل الأَل : (ق و ل) ، وهو القول فالفم واللسان يخفان ويقلقان ويمذلان به .

الأصل الثانى : (ق ل و) ، منه القلو حمار الوحش وقلوت الشئ وكل ذلك فيه اسراع وخفة .

الأصل الثالث : (و ق ل) ، منه الوقل للوعل لأنه يصعد الجبل بحركة وسرعة .

الأصل الرابع : (و ل ق) ، قالوا : ولق يلقي اذا أسرع .

الأصل الخامس : (ل و ق) ، منه لوق الطعام واللوقعة الزبدة وذلك فيه تحريك وخفة واسراع .

الأصل السادس : (ل ق و) منه اللقوة للعقاب لخفتها وسرعة طيرانها ، ومنه اللقوة فى الوجه كأن اضطراب شكله بها جعله فى خفة وطيش ، واللقوة الناقطة السريعة اللقاح ، وكل ذلك يتضح فيه معنى الخفة والسرعة والحركة (١٨) .

مقارنة بين الكلام والقول : أوضح ابن جنى من خلال حديثه السابق فروقا وصلات بين الكلام والقول واستعمال كل منهما :

١ — مادة (كلم) تدور حول الشدة والقوة ، على حين تدور مادة (قول) حول الخفوف والحركة .

٢ — الكلام يستعمل فى الألفاظ المستقلة المفيدة والقول أعم فيستعمل فيما يكون مفيداً أو غير مفيد ، وقد نبه على ذلك سيبويه حين قال : « واعلم أن قلت فى كلام العرب انما وقعت على أن يحكى بها وانما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً » (١٩) ، ثم قال فى

(١٨) المصدر السابق ٥/١ — ١١ .

(١٩) الكتاب ٦٢/١ .

التمثيل : « نحو قلت زيد منطلق » فهذا يعنى أن الكلام الذى يحكى بالقول لا يصدق الا على التام المستقل المعنى « وأن القول لا يستحق هذه الصفة » (٢٠) .

٣ — الكلام لا يستعمل فى الاعتقادات والآراء والقول يستعمل فيها ، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول اجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شئ من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون الا أصواتا تامة مفيدة وعدل به عن القول الذى قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة (٢١) ، وإنما عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول دون الكلام « من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم الا بغيره وهو العبارة عنه كما أن القول قد لا يتم معناه الا بغيره ، ألا ترى أنك اذا قلت قام وأخليته من ضمير فانه لا يتم معناه الذى وضع فى الكلام عليه لأنه انما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند اليه من الفاعل وقام هذه نفسها قول وهى ناقصة محتاجة الى الفاعل كاحتياج الاعتقاد الى العبارة عنه فلما اشتبها من هنا عبر عن أحدهما بصاحبه وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه والقول قد يكون من الفقر الى غيره على ما قدمناه فكان الى الاعتقاد المحتاج الى البيان أقرب وبأن يعبر به عنه أليق (٢٢) ، واختصاص القول بالاعتقاد والرأى تخصيص لغوى وضعى كما ذكرت فيما سبق لمجرد أنه الأليق به من ناحية المعنى ولذلك صح استعمال الكلام فيه أيضا ألا ترى الى قول رؤية :

(٢٠) الخصائص ١٩/١ .

(٢١) المصدر السابق ١٨/١ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠/١ .

لو أننى أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النحل
فحديث النحل أشبه بالاعتقاد فكان الأجدر به القول إلا أنه
أوقع الكلام موقعه (٢٣) .

٤ - يستعمل كل من الكلام والقول مجازا فى الأصوات غير
الانسانية ومما جاء منه فى الكلام :
فصبحت والطير لم تكلم جابية (٢٤) طمت بسيل منعم
ومن استعمال القول فى مثل ذلك :

قالت له الطير تقدم راشدا انك لا ترجع إلا حامدا
امتلا الحوض وقال قطنى

بينما نحن مرتعون بفلج قالت الداح الرواء انيه
وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثل الدر لما يثقب

وذلك كثير فى القول دون الكلام لسعة مذاهب القول عن الكلام
حتى ليشمل المفيد وغيره « وإذا جاز أن نسمى الرأى والاعتقاد قولاً
وأن لم يكن صوتاً كانت تسمية ما هو أصوات قولاً أجدر بالجواز
ألا ترى أن الطير لها هدير والحوض له غطيط والسحاب له دوى فأما
قوله (وقالت له العينان سمعا وطاعة) فإنه وإن لم يكن منها صوت
فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقاتلتا سمعا وطاعة
وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنثرة بقوله :

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام - مكملى

(٢٣) انظر تعقيب الأستاذ النجار فى الخصائص ٢٢/١ .

(٢٤) الجابية : الحوض الضخم وطبت : غمرت . يقال : طم الماء
بطم طما وطموما : علا وغمر وجاء السيل فطم كل شيء : أى علاه .
انظر اللسان (طم) ج ١٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، (جى) ١٨ / ١٤٠ .

وامثله شاعرنا آخرًا فقال :

فلو قدر السان على لسان لقال لك السنان كما أقول^(٢٥)

فالكلام والقول وما يعبران عنه وما اشتقا منه وما دارا حوله من معنى فيه أصوات وحركات ينجم عنها أصوات تتضح من استعراض حديث ابن جنى السابق عنهما ، ويؤخذ من هذا كله أن ما يسمى بالكلام والقول هو عبارة عن مجموعة من الأصوات تتجزأ الى مجموعات صغيرة يمكن أن تسمى كل منهما وحدة صوتية وهذه الوحدة الصوتية تأتلف مع أختها في التركيب لتكون معنى من المعانى المرادة للمتكلم ، هذه الوحدة هي ما يعرفه علماء اللغة والنحو باسم الكلمة وكل كلمة مركبة من مجموعة من الأصوات الفردية التى تجتمع هي الأخرى لتكون هذه الوحدة الصوتية المركبة الدالة على المعنى المراد منها والذي وضعها له المجتمع المعين ، فالنحاة يجعلون الكلام الذى هو الألفاظ المفيدة تعبيراً صوتياً ونشاطاً يرمز مفهومه الى أجزاء ثلاثة هي : الاسم والفعل والحرف ، وكل منها يسمى فى عرف العلماء كلمة قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم^(٢٦)
وأحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

وهذه الوحدة التى عرفت باسم (كلمة) عرفها النحاة بأنها قول مفرد^(٢٧) أو لفظ مفرد^(٢٨) أو قول مفرد مستقل أو منتوى فيه.

(٢٥) الخصائص ٢٢/١ — ٢٥ .

(٢٦) الكلم اسم جنس جمعى لأنه يفرق بينه وبين واحدة بالتاء واحده كلمة كنبق ونبقه . الخصائص ٢٥/١ ، حاشية الخضرى ١٧/١ .

(٢٧) الشذور ص ٥ .

(٢٨) الأشمونى ٢٦/١ .

عالمستقل مثل محمد — جاء والمنتوى فيه مثل فاعل قم وهو الضمير
مأنت (٢٩) وهم يقصدون بكلمة قول أنها لفظ ولما كان القول (الذى
هو كل لفظ) يشمل المفرد والمركب والقام والناقص (الكلمة الواحدة
وما هو أكثر من كلمة) حددت التعريفات مفهوم الكلمة بقولها
(مفرد) *

وقد عاب الدكتور تمام حسان هذه التعريفات بما يأتى :

- ١ — أنها لا تفرق بين الصوت والحرف أى بين عملية النطق
والنظام الذى أجرى عليه *
- ٢ — أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعانى المنطقية والوضعية *
- ٣ — أنها لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها فى تعريفها وهذا
ما يؤدى الى الخلط فى التفكير (٣٠) *

ولذلك عرفها بقوله :

« صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور
وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير
موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق ، وترجع فى مادتها غالبا
الى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد » (٣١) *

ويبدو لى أن تعريف الأقدمين لا عيب فيه بل هو دقيق تماما
وموجز واف بالمعنى المطلوب منه ، فهو :

أولا — لا يخلط بين القول والكلمة واللفظ بل فيه تحديد لها

(٢٩) همع الهوامع ص ٢ *

(٣٠) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٢٦ *

(٣١) المصدر السابق ص ٢٣٢ *

ولا عيب أن تلتقى معانى الألفاظ الثلاثة لاشتغال الأصوات عليها فكل لفظ يمكن أن يطلق عليه قول لأن القول هو ما يتلفظ به وكل لفظ بهذا المعنى هو قول والكلمة ليست الا لفظا فلا مانع من اطلاق اسم القول عليها ، وهذا لا يعد خلطا بل يعد اشتراكا فى جنس هو جزء التعريف مثل الانسان حيوان ناطق حيث يشترك فى لفظ الحيوان مع الانسان سائر الحيوانات ولم يعيب ذلك أحد والجزء الآخر من التعريف يمنع ما يراد منه فكلمة ناطق تمنع ما عدا الانسان من الدخول فى التعريف ، وقد أضيف الى تعريف الكلمة ما منع غيرها من الدخول معها وهو (مفرد) فكلمة مفرد أخرجت المركبات سواء كانت تامة أو ناقصة .

ثانيا - فيما يبدو لى أنه لا يصح ادخال الوظيفة اللغوية فى تعريف أجزاء اللغة ، وهذا غير موجود فى تعريف الأقدمين بل هو موجود فى تعريف الدكتور تمام نفسه ، وبالرجوع اليه يمكن فهم ما أقول .

ثالثا - ليس هناك خلط فى التفكير بالاشارة الى الكلمات المضمره مثل أنت فى قم بل هذا مجرد تلميح الى أن الكلمة تارة تكون واضحة مرئية وأخرى مستترة قياسا على وجودها الخارجى .

وقد عرف ميبه الكلمة بأنها ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جرامايطيقى (٣٢) ، وهذا التعريف صالح للمورفييمات والجمل وأجزاء الجمل أيضا ، وعند جاردنر (٣٣) « أن الكلمات ذات وجهين فى طبيعتها فوجه هو المعنى ووجه آخر هو

(٣٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٢٧ ، ٢٨ وانظر اللغة (فندريس) ص ١٢٤ .

(٣٣) عالم لغوى انجليزى .

الصوت وحيث تكون الكلمات فى ملك كل شخص تكون من ناحيته جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى ، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالارادة والكلمات فى حقيقتها نفسية وهى مواد للمعرفة والتكلم مع أنها فى أحد جانبي طبيعتها تشير الى حدث عضوى تمكن اعادته بحسب الارادة » *

والتعريف الأول للكلمة شامل لها ولغيرها ، والثانى يدخلها فى عالم الفلسفة وعلم النفس » وليس الباحث اللغوى بحاجة الى أن يبنى أفكاره على أسس غريبة عن منهج اللغة ... لاحظ فى تعريف جاردنر استعمال كلمات : الحقيقة — الطبيعة — الملك — المعرفة — التكلم — النفس » *

ويلاحظ الدكتور تمام أن تعريف الكلمة لا يمكن اتحاده فى جميع اللغات بل لكل منها تعريف يستمد من طبيعتها ووسائلها الخاصة فى التركيب كما يقول فندريس^(٣٤) ، ولكن يبدو لنا أن الكلمة التى هى وحدة لغوية تدل على معنى من المعانى لا تختلف بهذا التحديد من لغة الى أخرى ، فلا مانع من وضع تعريف شامل لها فهذا لا صلة له بطرق البقاء المصحى أو غيره من خصائص اللغات *

واعتقد أن تعريف الكلمة العربية واف بالغرض المقصود ، فالكلام والقول — كما رأينا — يعبران عن أصوات تفيد معانى خاصة يراها المتكلمون وتلك الأصوات التى يترجم عنها الكلام هى جوهر اللغة ومعناها والمراد منها كما يتبين ذلك من عرضنا للغة ومفهومها عند عالمنا ابن جنى وغيره من قدامى ومحدثين *

(٣٤) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٣٥ وما بعدها وانظر اللغة

اللغة واللهجة

اللغة :

تاريخها :

منذ التقى الانسان بغيره وهو يحتاج الى وسيلة تفاهم - وكما يقول فندريس « أصبح تكرار القول بان الانسان كائن اجتماعي أمرا مبتذلا ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية في الانسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا الى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة »^(١) ، وهذه الوسيلة تتنوع من مجتمع بدائي الى مجتمع حضارى « فالسلوك الجماعى على ثلاث درجات بلا رموز جماعية وبرموز جماعية غير شعورية وبلغة »^(٢) ، ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التي وصل اليها الانسان فى تفاهمه مع أخيه وهى اللغة الصوتية .

ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها الى الظهور بين مفردات العربية الا بعد انتهاء القرن الثانى الهجرى وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن ... ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوى) الا فى القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف فى اللغة وتميزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها ... وخلف ذلك اللقب لقب الراوية وممن عرفوا به فى القرن الرابع أبو الطيب اللغوى وابن دريد والأزهري وغيرهم^(٣) .

(١) اللغة ٣٠٢ . (٢) مناهج البحث فى اللغة ٥٣ .

(٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٣٧ - ٦/٣٣٨ .

ويعتقد أن الكلمة لم ترد في الأدب العربي قبل القرن الثامن الهجري فقد جاءت أول مرة في شعر لصفى الدين الجلي^(٤) وهو :
يقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملمات أعوان
فهافت على حفظ اللغات وفهمها فكل لسان في الحقيقة انسان
ويعبر القرآن الكريم عن اللغة بكلمة لسان^(٥) مثل « وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا ويشرى للمحسنين »^(٦) ،
« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي
مبين »^(٧) ، وهذه الكلمة هي المشهورة في اللغات السامية ، ففي
العبرية lashoon بمعنى اللغة يقال : Hallashoon ha - evrit
(اللغة العبرية) وفي بقية الساميات كذلك .

ومن هنا يقول الدكتور أنيس : « يظهر أن العرب القدماء في
العصور الجاهلية وصدر الاسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن
باللغة الا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم
اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأي بما
جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها في معنى
اللغة »^(٨) ، ولكن مادة (ل غ و) التي تعنى الصوت والكلام قد
وردت في القرآن الكريم والحديث والشعر المعتمد كثيرا ، وسيتبين
ذلك من حديثنا عن اشتقاقها وتصريفها ، وتطلق كلمة لغة عند القدماء
ويراد منها اللهجة^(٩) وتقابل باللغات الأجنبية LONGUE في

(٤) توفي سنة ٧٥٠ هـ وانظر ديوانه ص ٤٥٣ .

(٥) وردت كلمة لسان بمعنى اللغة ٨ مرات في القرآن انظر المعجم
المفهرس ص ٦٤٧ .

(٦) الاحقاف الآية ١٢ .

(٧) الشعراء ١٩٢ — ١٩٥ .

(٨) في اللهجات العربية ط ٢ ص ١٤ .

(٩) المصدر السابق ط ٣ ص ١٦ .

الانجليزية بمعنى لسان أو لغة^(١٠) ، LANGUAGE فى الفرنسية بالمعنى السابق^(١١) ، وبذلك تتفق اللغتان الانجليزية والفرنسية مع العربية فى التعبير باللسان عن اللغة وفيهما مع ذلك كلمات أخرى لمعنى اللغة لا تطلق على اللسان وقد تطلق على اللهجة أيضا ، وهذه الكلمات فى اللغات التى تقدمت تفهم اشتراكها فى الصدور عن أصل واحد .

اشتقاقها وتصريفها :

يذكر اللغويون ومنهم ابن جنى وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو اذا تكلم أو من لغى يلغى بكسر الغين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا لهج يقول ابن جنى : أما تصريفها ومعرفة خروفها فانها فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وتلوت بالقلة ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون^(١٢) ككرات وكرون وقيل منها لغى يلغى اذا هذى ومصدره واللغا قال :

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورغث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم^(١٣) .

(١٠) قاموس أنجليزى عربى تأليف محمد طه محمود ط الاستقامة ٣٨٣ وتطلق بمعنى اللغة أيضا فى الانجليزية كلمة language ص ٢١٦ .

(١١) قاموس فرنسى عربى تأليف اسكندر شحاتة لندن ط ٢ ص ٢١٠ وتطلق كلمة language بمعنى لغة أو لهجة أو نطق أو أسلوب وهناك ألفاظ أخرى غير ذلك .

(١٢) ملحق بجمع المذكر .

(١٣) الخصائص ٣٣/١ .

ويأخذ عليه أستاذنا الدكتور قناوى أنه غير جار على المشهور من القواعد الصرفية. التى تقول اذا حذف حرف من الموزون حذف ما يقابله من الميزان وكون أصلها لغوة يلزم عليه الجمع بين العوض والمعوض وقلما يجتمعان^(١٤) ، ويجرى هذا النقد على ما قاله الأزهري وغيره من أن أصلها لغوة بوزن فعلة^(١٥) ، وما نبه عليه أستاذنا الدكتور قناوى ملحظ صرفى دقيق^(١٦) .

ومن نص ابن جنى السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغى يلغى بمعنى هذى ، وبالاشتقاق الأول قال صاحب القاموس وبالثانى قال صاحب المفردات ، وفى القاموس لغا لغوا تكلم ج لغات ولغون^(١٧) ، وفى المفردات : لغى بكذا أى لهج به لهج العصفور بلغاه أى بصوته ومنه قيل للكلام الذى يلهج به الناس فرقة فرقة لغة^(١٨) ومع ذلك ذكرنا الاشتقاق الثانى وما يتعلق بالمسألة من معان لغوية يقال : لغيت تلغى نحو لقيت تلقى واللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكرة فيجرب مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور قال أبو عبيدة لغو ولغا نحو عيب وعاب — وأنشد (عن اللغا ورثت التكلم) ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذا » وقال : « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » وقال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما » وقال : « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال : « واذا

(١٤) محاضرات أستاذنا الدكتور قناوى .

(١٥) اللسان ١١٦/٢ ، ١١٨ .

(١٦) الأشمونى ٣٤٠/٤ — ٣٤٣ ومنار السالك ٣٦٦/٢ ، ٤١١ ، ٤١٢ وانظر الكتاب وتعليق الأعلام على قول الشاعر (هما نفا في من مويهما) ٨٣/٢ .

(١٧) القاموس ٣٨٦/٤ .

(١٨) المفردات ٤٥٢ .

مروا باللغو مروا كراما « أى كفوا عن التبيح ولم يصرحوا وقيل معناه اذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به ومنه اللغو فى الأيمان أى ما لا عقد عليه وذلك ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة قال : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ومن هذا أخذ قول الشاعر :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله . اذا لم تعد عاقدات العزائم

وقوله تعالى : « لا تسمع فيها لأغية » أى لغوا فجعل اسم الفاعل وصفا للكلام نحو كاذبة وقيل لما لا يعتد به فى الدية من الأبل لغو . وقال الشاعر : (كما ألغيت فى الدية الحوار)^(١٩) وذكر صاحب القاموس بعض ما تقدم : (٢٠)

ويبدو من استعراض مادة (لغو) فى الكتابين السابقين أن الأول يميل الى ترجيح أحدهما والثانى بالعكس على ما بينته *

وقيل ان فعله لغى الا أنه فتح حرف الحلق فيكون ماضيه لغا ومضارعه يلغو ويلغى^(٢١) ، وقد قصدت بذكر كلام اللغويين بنصه وطوله أن أبين تأصل كلمة (لغة) فى العربية وموادها وقد استعملت فيما أوردته بمعناها الحقيقية الذى هو الأصوات الانسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة *

وبناء على ذلك لا يقبل القول الذى ذهب اليه بعض المحدثين من

(١٩) المفردات ٤٥١ ، ٤٥٢ والحوار — بضم الحاء وكسرها — الأخيرة رديئة عند يعقوب ، ولد الناقة من حين يوضح الى أن يفطم وينفصل ، ناذا فصل عن أمه فصيل ، وقيل : هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . اللسان ٣٠١/٥ .

(٢٠) القاموس ٣٨٦/٤ .

(٢١) لسان العرب ١١٧/٢٠ .

أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة Logs الأغريقية التي تعنى كلمة أو فكرة ويعزز ذلك — عندهم — التشابه بين الكلمتين^(٢٣) والزمع بأن الكلمة لم ترد فى آداب العرب المتقدمين ولا فى القرآن الكريم . فقد ثبت لذى عينين وقوعها فى القرآن وقول العجاج السابق كما وقعت فى الحديث ومن قال لصاحبه يوم الجمعة ... الخ كما ورد فى المعاجم العربية (لغا يلغو) اذا تحدث ولغى يلغى اذا لهج مع تصرفات أخرى لمادة (لغو) ونصوص كثيرة موثوق بها وذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) وان شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه فى الأصل الأول للغة الانسان .

ننتقل بعد ذلك الى بيان معنى (اللغة) :

حدها ابن جنى بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٢٣) ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب^(٢٤) ويميل الى ذلك علماء الاجتماع فهم عندهم :

نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة .

فيستفاد من كل من هذين التعريفين أن اللغة وسيلة مهمة فى الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شئونهم المختلفة فكريّة كانت أو غير فكرية ، من كل ما يجمعهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

بيد أن لبعض الباحثين ملاحظات عليه جد مفيدة ، فهذا التعريف يقصر اللغة على الأصوات الانسانية المعبرة عن أغراض ويخرج غيرها

(٢٣) اللسان والانسان د. حسن ظاظا ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢٣) الخصائص ٣٣/١ .

(٢٤) القاموس ٣٨٦/٤ ولسان العرب ١١٨/٢٠ .

كالأصوات الانسانية التى لا تعبر عن غرض ، كغطيط النائم ، وتخرج كذلك أصوات الحيوانات المعبر بها عن أغراض وما كان المعبر به عن الغرض غير صوت ، كالعقد والنصب والاشارة بالرأس أو غيرها من أعضاء الجسم ، والاشارات التى تستعملها السفن ، والاشارات التى تستخدم فى الجيوش ، وما يتفاهم به الصم وبعض السكان الأصليين فى أمريكا ، واستراليا وبعض العشائر فى أواسط أفريقيا ، وما يظهر على الانسان من الانفعالات النفسية التى تظهر فى حالات المرض والغضب والفرح والحزن ونحو ذلك ، وكذلك الأصوات الصادرة عن كل ما له صوت أو له صلة بحدوثه ولو كان جماداً آلة أو نحوها كأصوات المدافع وآلات الحرب .

وقد عد صاحب هذا النقد خروج ما تقدم عن نطاق اللغة — فى رأى الأقدمين — قصورا فى التعريف ، وبنى ملحظه على أن هذه الأشياء الخارجة عن التعريف أصبحت — على وجه الحقيقة العرفية — من وسائل التفاهم فكان ينبغى أن تدخل فيه ، لكن تعريف الأقدمين خص اللغة بما تقدم أولا .

ويدل لذلك أن مرادهم بالأصوات ينحصر فى ذات المقاطع لأنها هى المعبرة عن الأغراض ، لا الأصوات المرسلة كالتي تصدر من الحيوانات ، والمراد بالقوم بنو آدم ، ولا يشمل معنى هذا اللفظ غيرهم ، فأما استعماله للجن فى مثل قوله تعالى : « قالوا يا قومنا أجيئوا داعى الله » فهو استعمال مجازى ، فلا يعترض به على الحقيقة (٢٥) .

(٢٥) انظر محاضرات فى فقه اللغة لأستاذنا الدكتور محمد قناوى ، وقد خالف الأستاذ عبد الله العلايلى سائر اللغويين فعد اللغة غاية لا وسيلة ، وهو قول ينبو عنه التحقيق . انظر : مقدمة لدرس لفه العرب ص ١٥ — ٢٤ .

ولعل علماءنا القدامى — حين خصوا اللغة — فى اصطلاحهم العلمى — بما يصدر عن الانسان من الأصوات المعبرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغة التى تلبى حاجات الجماعة ، ويهتم بها المجتمع لأنها الوسيلة التى تفى بأغراض الناس وشئونهم فى الحياة •

ولذا نرى أن التعريف واف بالغرض المطلوب •

وعلماء الفلسفة والمنطق يبنون تصورهم لها على أساس وظائفها التى حددها الأستاذ جفونز وهى :

١ — أنها وسيلة للتوصيل •

٢ — أنها مساعد آلى للتفكير •

٣ — أنها أداة للتسجيل والرجوع •

ويبدو أن الوظيفتين الأولى والثالثة واحدة فهما عبارة عن : توصيل الأفكار ، سواء أكان ذلك بالأصوات المنطوقة بالفعل ، أم بالتسجيل والكتابة ليرجع إليها فيما بعد (٣٦) •

ويعرفها علماء النفس بأنها : استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص الى آخر (٣٧) •

ويبدو أن المناطقة وعلماء النفس يقصرون اللغة على نقل الأفكار فحسب وذلك تحديد غير واف بالغرض ، فاللغة لا تتقف عند حد التعبير عن الأفكار بل هناك موضوعات أخرى تخص الناس فى شئونهم العامة ، وهناك أحداث الترفيه والتسلية ، فقد تستعمل للتعبير عن العواطف والمشاعر المختلفة ، وقد تستخدم للترنم بالغناء ،

(٢٦) اللغة بين الفرد والمجتمع (جيسبرسن) ص ٨ واللغة والمجتمع د. السمران ص ١٣ .

(٢٧) اللهجات العربية د. نجا ص ٥ .

وسوق القصص ، والحكايات والأساطير ، وكل ذلك للتسريحة عن النفس ، والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها .

ومعنى ذلك أن اللغة أكثر من أن تكون أداة للفكر ، أو تعبيراً عن عاطفة . اللغة جزء من كياننا السيكلوجي الروحي ، وهي عملية فيزيائية واجتماعية^(٢٨) ، وهذا كله يثبت أن اللغة هي الرابطة الحيوية بين افراد المجتمع والتي تعبر عن حاجاته ، وتجمع شمله ، وتوحد أهدافه وهذا ملاحظ في تعريف علماء العرب ، ووافقهم عليه علماء الاجتماع .

اللهجة (٢٩)

اشتقاقها :

ورد اشتقاقها بوجهين :

الوجه الأول : أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه : اذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج اذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج .

الوجه الثاني : أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعني أولع به واعتاده أو أغرى به فتأبر عليه واللهج بالشئ : الولوع به^(٣٠) .

(٢٨) محاضرات في اللهجات د. انيس فريحة ص ٩ واللغة بين الفرد والمجتمع ص ٩ - ١١ .

(٢٩) يعبر القدماء عن اللهجة بكلمة (اللغة) فقد عقد ابن جنى باباً في الخصائص بعنوان (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) وابن فارس يعقد باباً في الصاحبى بعنوان (اختلاف لغات العرب من وجوه) وكذلك علماء آخرون كابى على القالى في (الامالى في لغة العرب) .

(٣٠) تهذيب اللغة ٥٤/٦ ، ٥٥ ، والصحاح ٢٣٩/١ ولسان العرب ١٨٣/٣ .

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة
النطق التي يتبعها الانسان فاللغة يتلقاها الانسان عن ذويه ومخالطيه
كالقصير، الذي يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه كما أنه حين يتعلم
اللغة يَلب بها ويولع كمن يتعلق بشيء معين ويولع به^(٣١) .

واللهجة هي لغة الانسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها
وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها .

معناها :

اللهجة : طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة
خاصة من بيئات اللغة الواحدة .

ويعرفها بعضهم بأنها : العادات الكلامية لمجموعة قليلة من
مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة^(٣٢) .

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان
ومن ذلك — في لهجات العرب القديمة : العننة وهي قلب الهمزة
المبدوء بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون في أنك
عنك ، وفي أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون
تغيير في أوائل الكلمات .

كذلك : الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب
فى المؤنث شيئا فيقولون : رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها
حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل — أيضا —
ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل ويسكنها في الوقف .

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٩١ .

(٣٢) علم اللغة العام لروينز ص ٥٢ ومقدمة لدراسة فقه اللغة .
د. محمد أبو الفرج ص ٩٣ .

فيقول : منش وعليش^(٣٣) وغيرهم من العرب يبقى الكاف دون تغيير +
كذلك : العججة فى لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما
يقولون فى تميمى تميمج^(٣٤) وغيرها يبقى الياء ويجرى مثل ذلك فى
العاميات ففى مصر تنطق الهمزة مسهلة فى رأس وفأس فيقولون رأس
وفاس ، كما يبدلون الثاء سينا فيقولون فى ثبت : سبت وفى بحوث :
بحوس وغير ذلك كثير^(٣٥) .

وهذا كله لا اختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها
وتطاول الأزمان عليها .

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها ، فاسم المفعول
إذا صيغ من الفعل الثلاثى الأجوف فان عينه تعمل عند الحجازيين
سواء أكان واويا أم يائيا مثل : مقول ومدين + ولكن التميميين يعملون
الواوى ويتممون اليائى فيقولون : مبيوع ومديون ، وعلى طريقة بنى
تميم تجرى اللهجات العامية فى مصر وبعض جهات اليمن ونجد .

وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوى من جهة المعانى ، وتذكر
كتب اللغة كثيرا من ذلك ككلمة (وثب) فهى عند (حمير) بمعنى
(جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) و (السدفة) عند تيم
(الظلمة) وعند قيس (الضوء)^(٣٦) .

ولكن الاختلاف الصوتى يلعب الدور المهم فى اختلاف اللهجات

(٣٣) الزهر ١/٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٣٤) المصدر السابق ،

(٣٥) وفى الفرنسية نجد بعض القرى تنطق (٥) فتحة حيث
تنطق قرى أخرى (٥) فتحة مالة وتنطق بعضها (٥) ضمة مفتوحة
حيث تنطق القرى الأخرى (٥) ضمة صريحة . اللغة ٣١٠ .

(٣٦) الزهر ١/١٨٨ ، ١٩١ .

وتنوعها ، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة ، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت ، فاللغة ترتبط به من حيث أفادة المعنى ، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته *

والاختلاف الصوتي يرجع الى ما يأتى :

- ١ — اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم فالعربية من وسط اللسان والمصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى *
- ٢ — اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة *
- ٣ — اختلاف فى مقاييس بعض أصوات اللين • اذ ان أى انحراف يصيب تلك الحروف التى تعرف بحروف المد عند الأقدمين يؤدى الى اختلاف فى نطقها *
- ٤ — تباين فى النغمة الموسيقية للكلام : فذلك يختلف بين القبائل وحسب البيئات المختلفة *
- ٥ — اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض ، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لافتعل مثل ، اتصل هربا من تلاعب الحركات ، ولكن الحجازيين لا يقبلونها تاء ، فتتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب حسب الحركات واوا بعد الضمة ، وألفا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة فيقولون :
ايتصل — ياتصل — موصل (٢٧) *

ويقول فندريس عن الفرنسية : « اننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية مفهما بوصف

(٣٧) اللهجات العربية د . نجا ٧ — ١٠ وفى اللهجات العربية د . أنيس ص ١٦ بتصرف .

مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ، ومن حيث النحو ، ومن حيث المفردات (٣٨) ، واللهجة اذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغنى عن أصلها ، وتفى بحاجة الجماعة التى تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة ، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركييبية بحيث تجتمع لها عناصر الافادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية فى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية اذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها ، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها ، بل انها استمدت — ولا تزال تستمد — منها مقومات حياتها الأصلية .

وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعها ، بل وسواء من المجتمعات الانسانية التى تكون على صلة بأهلها ، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور فى استقلال اللهجة على النحو السابق وهى :

١ — عامل عسكرى — سياسى .

٢ — عامل دينى .

٣ — عامل أدبى .

٤ — عامل اجتماعى طبقى .

وقد يتدخل عاملان أو ثلاثة فى تكوين هذه اللهجة .

مثال الأول : اللهجات الروسية التشيكية والبلغارية أصبحت لغات رسمية معترفا بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا .

مثال الثانى : ارتقاء العربية الفصحى من لهجة حجازية نجدية الى مرتبة أدبية سامية بفضل نزول القرآن الكريم بها .

مثال الثالث : لغة ايطاليا الحديثة فى اللهجة التى كتب بها أدباء وشعراء أمثال : دانتي وبتراىك ولوكاتشيو وأصلها لهجة فلورنسا .

مثال الرابع : لهجة باريس — بعد القرن السابع عشر — أصبحت المثال الأدبى الرفيع الذى ينبغى لكل كاتب ناشئ أن يحتذيه . وذلك ينطبق على لغتنا العربية النموذجية التى كان أساسها لهجة قریش ، ثم استطاعت أن تتغلب على اللهجات الأخرى لتلك العوامل .

الباب الثاني

انقسام اللغة وتكون اللهجات

منذ آدم — عليه السلام — واللغات التى يستعملها نسله يتوالى عليها الانقسام الى لهجات ، وبعد الطوفان توزع أبناء نوح — عليه السلام — فى الأرض ، فنشأت مجموعات لغوية تنسب الى أبنائه الثلاثة : سام ، وحام ، وياث ، وكل منها له فروع متعددة فى القديم والحديث .

ولا ريب أن اللغة تبقى متحدة فى المجتمع الذى يتخذها أداة له اذا كانت حياته الاجتماعية والأرض التى يعيش عليها متحدة فى أهدافها وعوامل تكوينها ، فاذا تغير شئ من ذلك كان ايزانا بانشعاب تلك اللغة الى لهجات .

وقد عزا العلماء انشعاب اللغات الى لهجات لعوامل أهمها :

١. — اختلاف البيئات الجغرافية :

فالأرض التى يعيش عليها البشر مختلفة ، ففيها الجبال والسهول والوديان ، وفيها الأراضى الزراعية والقاحلة ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فان ذلك يؤدى الى اختلاف اللغة ، فاذا انتشرت جماعة لغوية تعيش فى مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فان ذلك يؤدى — مع تطاول الزمن — الى انشعاب لغتها الواحدة الى لهجات . واذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقا ونفسيا ، كما هو الواقع فانها — كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام .

٢ — تنوع الظروف الاجتماعية :

لا ريب أن كل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة فى معيشتهم

وتفكيرهم سواء فى ذلك الشعوب المختلفة وطبقات الشعب الواحد
فكل شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليده خاصة تختلف عن الآخر ،
فالمجتمع الانجليزى غير المجتمع الفرنسى غير الأمريكى أو الرومى أو
العربى فى طريقة معيشته وقوانينه العامة والخاصة •

والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الارستقراطية والدنيا
أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها من أرباب المهن
المختلفة وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات
وتختلف •

بل يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات
منخفضة ، والعامية الخاصة تميز بتنوعها الذى لا يحد ، وأنها فى
تغيير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التى تعيش فيها فكل جماعة
خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة (١) •

تغير تلك الأحوال التى تعيش فيها الجماعة تنعكس آثارها
شك أن المهاجرين من الأسبان والانجليز الى أمريكا
الصوتى فاختلقت الاسبانية والانجليزية
سلى •

جزيرتهم الى الأقطار المجاورة بعد
نس التطور ، بل تشعبت الى لهجات

فى الاجتماعية ووسائل الحياة كانت له

آثاره فى لغة الجماعة بعد ارتحالها من بلدها الأصلى بحيث برزت
أمارات المتغير هناك عنها هنا •

ومن كل ما تقدم ندرك أن نظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغير
أحواله قد يسبب تفرع لغته الى لهجات •

٣ — الاتصال البشرى وآثاره :

الانسان مدنى بطبعه — كما يقول علماء الاجتماع — فهو فى
حاجة الى مساعدة أخيه الانسان ، ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل
المنافع كما أن الانسان قد يحتاج الى الهجرة من وطنه الأصلى الى
مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية •

ويدهى أن تلك الاتصالات تحتاج الى معرفة هؤلاء وهؤلاء
بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات ، أو اخضاع
جماعة ما لسيطرتهم ، وهذا يؤدى الى احتكاك اللغات بعضها ببعض
ونشوب صراع بينها ، فالتوسع وضرورة الاتصال يقتضى معرفة
لغات عدة معرفة جيدة^(٣) ، بما يخلق اختلالا فى الأداء ، فكثيرا
ما لوحظ أن تطور اللغات يزداد بسرعة بازدياد انتشارها فى الخارج
وازدیاد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم اذ ان انتشارها فى أقاليم
تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموهلة فى الذاتية ،
والتأثير الذى يقع عليها من الخارج يؤدى بها الى التغير السريع^(٤) ،
وقد تتغلب احدى هذه اللغات على الأخرى •

ونحن نشاهد نطق الأجانب للغة العربية اذا اتصلوا بالعرب
كاليونانيين والايطاليين فلا يستطيعون النطق بالطريقة العربية فهم
— مثلا — لا يمكنهم نطق الحاء فى مثل كلمة (محمد) فيحولونها
الى خاء •

(٣) اللغة : ٣٤٨ •

(٤) المصدر السابق : ٤٢٧ •

وفى حالات الحروب نجد لغات المغزوين تتلاشى أمام لغة الغزاة وتنزوى فى ضعف وتقهقر ، وذلك واضح فى تغلب العربية على لغات البلاد المفتوحة كالبطية فى مصر والفارسية فى بعض بلاد فارس القديمة والآرامية فى العراق والشام^(٥) ، والأرمينية تقهقرت أمام الروسية فى أوربا^(٦) ، لأن الضعيف عادة يحب أن يقلد من هو أقوى منه^(٧) .

وقد تبقى لغة المغزوين صاحبة الهيبة والاستعمال فى شئون المجتمع فارادة الاغريق ألا يضحوا لغتهم أمام لغة فاتح يحتقرونه هى التى حفظت الاغريقية خلال العصور فلم تستطع التركية يوما أن تحل محلها أو حتى أن تنال منها ، هذا اذا كثر عدد الغزاة .

أما اذا قل فان لغتهم قد يصيبها الضعف كما حدث للغة النورماندين بعد غزوهم لانجلترا فقد تغلبت الانجليزية عليها لقلة عدد الغالبين ولم يكن للنورماندية الفرنسية غير أثر قليل فى اللغة الانجليزية^(٨) .

فالباحث يرى أن هذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجة لذلك يعد عاملا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقتها الى لهجات « فتطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة ، بل على العكس من ذلك فان الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما فى التطور اللغوى »^(٩) .

(٥) فى اللهجات العربية : ٢٣ (٦) اللغة ١ ، ٢ .

(٧) اللهجات العربية : ١٦ .

(٨) فى اللهجات العربية ط ٣ ص ٣٤ .

(٩) اللغة ٣٤٨ . ويضيف بعضهم عاملا آخر هو : اختلاف الأفراد فى النطق فسبب يذهب الى أن اللهجات تنشأ من الميل العام الى الاختلاف الفردى فى الكلام ويجعلون من ذلك ما يسمى بالقياس الخاطيء . انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٣٩ .

تطبيق تلك العوامل على العربية

وكل تلك العوامل حدثت فى لغتنا العربية التى عاشت فى مناطق مختلفة فقد كانت الصحراء تمثل جانبا من بيئتها الطبيعية ، ثم انتقلت الأمة العربية الى الحضارة فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية ، وكان لذلك أثره فى اختلاف أحوال أهلها بين تنقل وترحال أو اقامة واستقرار •

ثم خرج العرب من جزيرتهم الى المناطق المجاورة فى الشام والعراق ومصر فالتقت العربية مع أخواتها من الساميات كالعبرية والآرامية وغيرهما كما التقت مع لغات أخرى أجنبية كالفارسية والرومية والقبطية •

وكل ذلك كانت له آثار بعيدة المدى فى ظهور لهجات شتى للغة العربية واليك تفصيل ذلك :

(١) العامل الاجتماعى والثقافى والجغرافى :

اللغة العربية — وهى احدى لهجات اللغة السامية — كانت واحدة عند الناطقين بها ثم زادت وانقسمت بتأثير الحضارة والتطور ، اذ ان العرب لم تستمر حياتهم على طريق واحدة وفى حدود لا تتغير ، بل انهم — كبقية البشر — تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات ، فدعاهم ذلك الى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة •

وقد أخذت العربية فى التطور — كذلك — لانتقالها من البادية الى الحضارة فبعد أن كانت فى بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح ، بدأت تنتقل بانتقال أهلها الى مجتمع حضارى ، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف ، فأهل

الحضر يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة ، غير أن كلام أهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم ، إلا أنهم أدخلوا بأشياء من أعراب الكلام الفصيح^(١٠) .

والفرق واضح بين صورة لهجات البادية التميمية ، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة في القرشية ، فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكشكشة هوازن ، وتضعج قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء « فأما عننة تميم فان تميما تقول في موضع (أن) : (عن) تقول عن عبد الله قائم وأنشد ذو الرمة عبد الملك :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

وأما تلتلة بهراء فانهم يقولون : تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف .

وأما كشكشة ربيعة ، فانما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث : أنكش ورأيتكش وأعطيتكش ، تفعل هذا في الوقف ، فإذا وصلت أسقطت الشين^(١١) ، فقريش ما ترفعت عن ذلك إلا للثقافات الاجتماعية التي نشأ أهلها عليها كذلك فبيئة الحجاز الحضرية غير الصحراء التي يعيش بها بنو تميم .

ب (ب) الاتصال البشري بين العرب وغيرهم :

لم يعيش العرب في عزلة عن غيرهم ، أو عن اتصال بعضهم ببعض ، فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد

(١٠) الخصائص ٢/٢٩ .

(١١) المصدر السابق ٢/١١ .

والجماعات والشعوب ، وقد تهيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو والسيطرة كما عرفنا ، ولا ريب أن الاسلام — بعد الفتوح — محا ديانات الشعوب التي تغلب عليها واحتلت لغته العربية الصدارة لديها ، في جميع الأعمال والشئون والمخاطبات العادية •

وقد تأثرت العربية — أيضا — بلغات البلاد المفتوحة وآثرت فيها ، وإذا كانت قد كتبت لها التغلب ، فإنها قد فقدت — أيضا — بعض مميزاتها حتى انشعبت الى لهجات •

ويؤكد ذلك فشو اللحن على ألسنة العرب بعد انتشار الاسلام واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، فقد رووا أن النبي ﷺ سمع رجلا يلحن في كلامه فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ضل) ورووا أيضا أن أحد ولادة عمر — رضى الله تعالى عنه — كتب اليه كتابا لحن فيه ، فكتب اليه عمر : « أن قنع كاتبك سوطا » وغير ذلك ، مما كان سببا في وضع علم النحو على يد أبى الأسود الدؤلى ، ولذا منع علماء العربية الاحتجاج بكلام من كانت له صلة بالأمم المجاورة كلخم وجذام •

ومعنى ذلك أن احتكاك الشعوب يؤدي الى احتكاك لغتها (١٢) ، وقد تبرز خصائص احدهما على الأخرى « ولولا مقاومة المجتمع للثقك اللغوى لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التي لا تريدها الأيام الا تفرقا ، ولكن الذين يتكلمون احدى هذه اللغات يميلون دائما الى المحافظة عليها كما هي » (١٣) •

وقد أدى هذا الاختلاط بين العرب والأجانب ممن دخلوا الاسلام

(١٢) اللغة : ٣٤٨ •

(١٣) المصدر السابق : ٣٢٦ •

الى تفرع العربية الى لهجات فى البلاد المفتوحة كالمصرية والسورية والعراقية وغيرها من اللهجات التى نرى آثارها حتى اليوم •

(ج) اختلاط القبائل العربية وأثره فى اللهجات :

وان اتصال العربى بأخيه له كذلك أثره فى لهجة كل فريق حيث تؤثر وتتأثر بأختها ، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب الى التلاقى والتعامل الاجتماعى « فان العرب بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة فى دار واحدة ، وهذا الاتصال الوثيق يؤدى الى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره » (١٤) •

فلقاء اللهجات مهم للعرب كأمور الحياة الأخرى التى يلتقون من أجلها ، واذا التقى العربى بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور :

- تمسكه بلهجته الأصلية •
- انتقال لسانه الى اللهجة الجديدة •
- اجتماع لهجته مع لهجة غيره •

وذلك يمكن فهمه من قول ابن جنى :

« اعلم أن العرب تختلف أحوالها فى تلقى الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من اذا طأل تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت فى كلامه » (١٥) •

(١٤) الخصائص ١٥/٢ ، ١٦ •

(١٥) المصدر السابق ٣٨٣/١ •

فعندما يلتقى العربى بأخيه ويتحدثان أو يسمع كل منهما لغة الآخر فاما أن يحس أحدهما من كلا صاحبه ما يعجبه ، فيتلقف كلماته بسرعة ويترك لهجته الأصلية ، واما أن يستعملها مع لهجته ، واما أن يتعصب للهجته الأولى فيستعصم بها *

ومن أمثلة تمسك العربى بلهجته الأصلية موقف أبى زياد الكلابى من نطق كلمة « النطع » بلهجته الخاصة وعدم اعترافه بغيرها ، فقد سأل أبا عبد الله الأعرابى عن قول النابغة الذبياني :

على ظهر مينة * * * *

فقال أبو عبد الله : النطع بفتح النون فقال أبو زياد : لا أعرفه ، فقال : النطع بكسر النون فقال أبو زياد : نعم ، فقد أنكر غير لغته كما ترى مع ما بينهما من قرب (١٦) *

وليس الغالب أن يبقى العربى على لهجته غير متأثرة بما يجاورها من لهجات اخوانه الآخرين ، بل ان الأعم هو التفاعل بين تلك اللهجات بحيث تأخذ هذه من تلك وتلك من هذه *

ولذلك كان تبادل التأثيرات اللغوية هو الشائع بين تلك اللهجات المتولدة من لغة واحدة *

وقد عقد ابن جنى بابا (فى العربى يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيناها ويطرح حكمها) (١٧) ذكر فيه سؤال أبى زيد للخليل عن الذين قالوا : مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، ممن

(١٦) المصدر السابق ٣٨٣/١ .

(١٧) المصدر السابق ١٤/٢ - ١٦ .

يلزمون المثني الألف ، فقال الخليل : هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا فى يئأس : يئاس ، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها •

وأخذ ابن جنى يفسر قول الخليل على أن بلحرث بن كعب نظروا فى استعمال أكثر العرب للمثني بالياء نصبا ، وجرا فجعلوا مكان الياء ألفا فى لغتهم حالتى النصب والجر ، استخفافا للألف •

وبعضهم فسر قول الخليل على أن العرب جميعا كانوا يستخدمون الياء فى المثني حالتى النصب والجر الا أن بلحرث بن كعب فضلت استعمال الألف فى أوجه الاعراب كلها ، وان كان القياس يقتضى رأى الجمهور •

ورأى بعضهم احتمالا آخر هو : أن بلحرث بن كعب كانوا — كغيرهم من الجمهور — يستعملون المثني بالياء فى النصب والجر ثم قلبت بلحرث بن كعب الياء ألفا للخفة لأنها أسهل عليهم ، وهذا القلب بسبب الفتحة قبل الياء ، وان لم تكن الياء مفتوحة وهذا قول آخر لأبى الحسن الأخفش •

ولكن ابن جنى لم يرتض هذا التفسير ، لأن الاحتمال الأقوى — عنده — أن يكون بلحرث بن كعب قد نطقوا بالألف من أول الأمر ، ولم يكونوا ينطقون المثني بالياء ، ثم تحولوا الى الألف ، لأن الياء هى القياس للفرق بين المرفوع وغيره ، وهى الأقوى والجماعة عليه ، فكيف ينتقلون من الأقوى الى الأضعف وهم لم ينطقوا قط بالياء ، ولم يبدلوا ألفا ، لكن بلحرث راعت لغة الكافة الكثيرة فصنعوا لغتهم من أول الأمر بالألف ، ولم يعدلوا اليها من غيرها •

وقد عتب ابن جنى على بعض هذه الأوجه بأن صاحب لغة يراعى لغة غيره ، لأن العرب يتصل بعضهم ببعض ، وهم خلق كثير منتشر متجاور لهم علاقات وارتباطات ، وبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره •

وقد يؤدي هذا التبادل للتأثير بين اللهجات — أحيانا — الى انتقال لسان العربى الى غير لهجته اذا كثرت صلاته بها •

وقد تبقى لهجته الأصلية ، مع ظهور سمات خاصة فيها من لهجة غيره ، ولذلك صور متعددة تتدرج تحت عنوان :

« تركيب اللغات »

تركيب اللغات

اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يستعمل العربى ظواهر أو ألفاظ خاصة بلهجة أخيه الى جوار ما يستعمله فى لهجته الأصلية ، ودراسة هذا الموضوع تنحصر فى جانبين :

١. — جانب الأبنية •
٢. — جانب الألفاظ •

١. — التداخل فى الأبنية :

القدماء يجعلون من الممكن شكل عين الثلاثى فى الماضى والمضارع باحدى الحركات الثلاث : الفتحة أو الضمة أو الكسرة ، فيفترضون بالقسمة العقلية تسعة وجوه يرفضون منها ثلاثة ، لأنها لم ترد عن العرب وهى :

- فعل يفعل ، بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بضم العين فى الماضى وكسرها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع (١٨) •

والأوزان الستة التى قبلوها لورودها عن العرب هى :

- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وفتحها كذلك فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع •
- فعل يفعل ، بكسر العين فيهما •
- فل يفعل ، بضم العين فيهما •

(١٨) من أسرار اللفظة ط ٣ ص ٣٠ .

وقد نصوا على أن (فعل يفعل) بفتح العين فى الماضى
«المضارع يكون فيما عينه أو لامه حرف حلق مثل : فتح يفتح ، وقرأ
بـيقرأ»^(١٩) كما عدوا باب (فعل يفعل) بكسر العين فيهما موقوفا
على السماع .

وعلى هذا الأساس فكل ما خالف هذه الوجوه التى اعتمدها يعد
شاذا عندهم « ألا تراهـم كيف ذكروا ما جاء على فعل يفعل بكسر
العين فى الماضى وضمها فى المضارع نحو نعم ينعم ، ودمت تدوم ،
ومت تموت ، وقالوا أيضا فيما جاء من فعل يفعل بفتح العين فيهما
وليس عينه ولا لامه حرفا حلقيا نحو قلى يقلى وسلا يسلى وجبى
يجبى وركن يركن وقنط يقنط»^(٢٠) .

كما أن المعروف عندهم فى بناء الوصف من الفعل الثلاثى أن
المفتوح العين يكون الوصف منه على فاعل ، مثل كتب فهو كاتب ،
والمضموم العين يكون منه على فعيل مثل كرم فهو كريم ، وتلك قاعدة
مشهورة عندهم فكل ما خالفها عد شاذا .

ومما عدوه شاذا ما ذكروه من فعل بضم العين فهو فاعل نحو
حمض فهو حامض وعقرت المرأة فهى عاقر ، ولذلك نظائر كثيرة .

وهكذا شأن كل ما خالف القواعد عندهم ، فإنه يوصم بالشذوذ ،

(١٩) هذا ما تؤكدـه التجارب الصوتية الحديثة ، فأصوات الحلق
تحتاج بعد صدورـها من مخرجها الحلقى الى اتساع فى مخرجها بالفم ،
فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ولهذا ناسبها من أصوات
اللين أكثرها اتساعا وتلك هى الفتحة — انظر فى اللهجات العربية ط ٢ ،
ص ١٢٨ ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٢٤ .

(٢٠) الخصائص ١/ ٣٧٥ .

ولكن الأجدى فى ذلك هو الحمل على تركيب اللغات ، فهو لغات
تداخلت فتركت وهكذا ينبغى أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب (٢١) .

وتفسير التداخل فى الأبنية يدعوننا الى تقسيمها الى نوعيها :

(أ) أبنية الأفعال • (ب) أبنية الأسماء

(أ) تفسير التداخل فى أبنية الأفعال :

« دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع ،
اذ الغرض فى صيغ هذه المثل انما هو لافادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان
مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت فى ذلك قوة الدلالة
على الزمان ، فمن ذلك أن جعل العرب بازاء حركة فاء الماضى سكون
فاء المضارع ، وخالفوا بين عينيها فقالوا : ضرب يضرب وقتل يقتل
وعلم يعلم » (٢٢) •

والقياس فيما ماضيه (فعل) بكسر العين أن يكون مضارعه على
(يفعل) بفتحها نحو : ركب يركب وشرب يشرب ، والقياس — كذلك
— فيما ماضيه (فعل) بفتح العين أن يكون مضارعه على (يفعل)
بكسرها نحو ضرب يضرب وسرق يسرق ففى الأول كسرت عين الماضى
ففتحت عين المضارع وفى الثانى بالعكس لتحقيق المخالفة والتناظر
بينهما « فكما فتح المضارع لكسر الماضى فكذلك — أيضا — ينبغى
أن يكسر المضارع لفتح الماضى » •

وانما جاءت المخالفة — أيضا — فيما ماضيه (فعل) بفتح العين
مع كسر عين المضارع وضمها ففعل (يفعل) نحو قتل يقتل ودخل

(٢١) المصدر السابق ٣٧٥/١ وانظر المغنى فى تصريف الاعمال للشيخ
عزيمة ص ٤٠ وما بعدها .

(٢٢) المصدر السابق ٣٧٥/١ .

يدخل خروجاً على القاعدة السابقة التي تناظر بين (فعل) بكسر العين و (فعل) يفتحها في عيني مضارعيهما ، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة ، وا آثروا خلاف حركة عين المضارع لحركة عين الماضي ، ووجدوا الضمة مخالفة للفتحة خلاف الكسرة لها ، عدلوا في ذلك اليها فقالوا : قتل يقتل ودخل يدخل وخرج يخرج بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع (٢٣) .

أما ما نجده من الثلاثي مما تكون فيه حركة عينه في الماضي والمضارع سواء وهو باب (فعل) نحو كرم يكرم فعلى كل حال فآؤه في المضارع ساكنة وموافقة حركة عينه ، لأنه ضرب قائم برأسه ، ألا تراه غير متعدد بخلاف (فعل) بفتح العين و (فعل) بكسرها فأكثره متعدد ، فلما خالفهما خولف بينهما وبينه (٢٤) .

وفي الرباعي وما فوقه لم ينظروا الى هذا اللون من المخالفة « فقالوا دحرج يدحرج فحركوا فاء المضارع والماضي جميعا وسكنوا عينييهما ، وكذلك قالوا : تقطع يتقطع وتقاعس يتقاعس وتدهور يتدهور ونحو ذلك لأنهم أحكموا الأصل الأول الذي هو الثلاثي فقل حفلهم بما وراءه (٢٥) .

وهذا كله كان شرحاً لقانون المغايرة الذي اعترف به المحدثون

(٢٣) المصدر السابق ٣٧٩/١ وهذا القول تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التي تجعل الضمة والكسرة أصواتاً ضيقة يقابلها الفتحة التي هي الصوت المتسع ، فإذا أردنا أن نخالف بين الماضي والمضارع أخذنا للأول الضمة أو الكسرة وأخذنا للمضارع الفتحة أو العكس بالعكس . انظر من أسرار اللغة ط ٧ ص ٣٣ .

(٢٤) المصدر السابق ٣٧٦/١ .

(٢٥) الخصائص ٣٧٥/١ .

وأشاروا الى أهميته في الاشتقاق وعد فيه ابن جنى موقفا كل التوفيق •

ولو لاحظنا ما وضعه ابن جنى والقدماء من قواعد لاشتقاق الأفعال — على الوصف السابق — لموجدنا أنها تتفق تماما مع رأى المحدثين فهم حين يعالجون اشتقاق صيغة من أخرى يبحثون على ضوء أسس ثلاثة :

١ — المغايرة Polarity التى فطن اليها ابن جنى •

٢ — وظيفة الفعل في الكلام وتبعها لها يأخذ الفعل حركته بمجرد المصادفة ملتزمة في اللهجة الواحدة وتختلف اللججات في ايثار حركة على أخرى •

٣ — ايثار الحروف المجاورة^(٢٦) في اللغات السامية لحركات خاصة ومن بينها حروف الحلق •

وبذلك نستطيع أن نقف على أن الأبنية المقبولة للفعل الثلاثي والتي علل لصحتها ابن جنى « لا يعقل نسبتها للغة موحدة كاللغة النموذجية الأدبية » بل انها « تنتمي الى عدة لهجات كل منها التزام بابا أو بابين، ويؤيد ذلك ما ورد في معاجم اللغة من نحو : فقه بضم العين صار فقيها والكسر لهجة كالأب — سخن مثلثة العين والكسر لبني عامر —

(٢٦) اى غيرها كامالة حركة ما قبل تاء التانيث مع الحروف المستقلة والنطق بها مفتحة مع حروف الاستعلاء في قراءة الكسائي ، وفي اللهجة القاهرية نلاحظ الارتباط بين الحروف والحركات في حيفة (استفعل) فما فيه حروف التفخيم تؤثر عينه الفتحة غالبا حين تكون هذه الحروف في الآخر ، او قبل الآخر ، في حين تؤثر الحروف الاخرى الكسرة مثل : يستلبخ — يستنظع — يستامن — يستفعل — يستبشر • (من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٤ ، ٣٥) .

حضر من باب نصر وعلم والأخير لأهل المدينة^(٢٧) ، ويؤيد هذا ما نراه في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ففي العبرية نجد أن الماضي في الكثرة الغالبة من الأفعال على وزن (فعل) بفتح العين وأحيانا على وزن (فعل) بكسر العين ثم يندر أن يكون على (فعل) بضم العين ونرى أن مضارع الأول هو (يفعل) بضم العين ومضارع الوزنين الأخيرين (يفعل) بفتح العين ولا نكاد نجد في اللغة العبرية ما يشذ عن هذا سوى بضعة أفعال^(٢٨) ، وإذا تحققنا أن هذه الأبنية هي في الأصل لهجات للقبائل العربية وأنها قد اتجهت هذه الاتجاهات وتركت ما عداها فلا غرابة في تفسير ما عد شاذا وخارجا عليها بأنه لهجات تداخلت .

أولا : ما خالف الأوزان المقبولة مثل ما جاء على فعل يفعل بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع كنعم وينعم وفضل يفضل فنعم بكسر العين في الأصل ماضى ينعم بفتحها وينعم بضم العين في الأصل مضارع نعم بضم العين ثم تداخلت اللغتان فاستصاف من يقول نعم يكسر العين لغة من يقول ينعم بضمها فحدثت هناك لغة ثالثة ، فان قلت : فكان يجب على هذا أن يستضيف من يقول (نعم) بضم العين مضارع من يقول (نعم) بكسر العين فتركب من هذا أيضا لغة ثالثة وهي (نعم ينعم) بضم العين في الماضي وفتحها في المضارع ؟

قيل : منع من هذا أن (فعل) بضم العين لا يختلف مضارعه أبدا وليس كذلك (نعم) بكسر العين لأن (نعم) بكسر العين قد يأتى فيه (ينعم وينعم) بكسر العين وفتحها جميعا فاحتمل خلاف مضارعه دون الأول^(٢٩) .

(٢٧) اللسان ٢٧٢/٥ ، ٦٦/١٧ ، ٤١٨ .

(٢٨) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٢ وما بعدها .

(٢٩) الخصائص ٣٧٨/١ .

وكذلك (فضل يفضل) : فيقدر أنه جاء على بابين بكسر العين
فى الماضى وفتحها فى المضارع ويفتح العين فى الماضى وضمها
المضارع فأخذ الماضى من اللغة الأولى والمضارع من اللغة الثانية
فنشأت لغة ثالثة مركبة منهما (٣٠) .

ثانيا : ما جاء بفتح عينى الماضى والمضارع وليست العين أو
اللام حرفا حلقيا وله أمثلة منها :

قنط يقنط : فهما لغتان تداخلتا وذلك أن (قنط يقنط) بفتح
العين فى الماضى وكسرها فى المضارع لغة ، و (قنط يقنط) بكسر
العين فى الماضى وفتحها فى المضارع لغة أخرى ثم تداخلتا فتركت
لغة ثالثة فقال من قال : قنط يقنط بفتح العين فيهما ولم يقولوا :
قنط يقنط بكسر العين فيهما لأن أخذنا الى لغته لغة غيره قد
يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التى أضافها الى لغته دون بعض .

وكذلك : ركن يركن : فيه لغتان : ركن يركن كعلم يعلم
وركن يركن كقتل يقتل ونحى عنهم : ركن يركن (فعل يفعل)
بفتح العين فيهما وهذا عند أبى بكر من اللغات المتداخلة كأن الذى
يقول (ركن) بفتح الكاف سمع مضارع الذى يقول (ركن) بكسرها
وهو (يركن) فتركت له لغة بين اللغتين وهى : ركن يركن بفتح العين
فيهما (٣١) . فأما الأفعال التى جاءت عينا الماضى والمضارع فيها
متواقتين بالكسر مثل نعم ينعم وحسب يحسب ويئس يئس فقد
علل ابن جنى لها باحتمال التداخل وغيره تبعا لأنه لم يعرف لها ماض
آخر مع (فعل) بكسر العين يكون مفتوح العين يمكن به القطع بأنها
من تداخل اللغات — على ما يرى — فقد أتى ماضى هذه الأفعال على
(فعل) بكسر العين أو (فعل) بضمها وكل منهما لا يأتى مضارعه

(٣٠) المصدر السابق ٣٨٠/١ ، ٣٨١ ، والمحتسب ٥/٢ .

(٣١) المحتسب ٣٢٩/١ ، ٥/٢ .

على (يفعل) بكسر العين لأن قانون المخالفة يقتضى أن يكون مضارع (فعل) بكسر العين (يفعل) بفتحها ومضارع (فعل) بضم العين (يفعل) بضمها وقد جاءت كلها بالكسر فى الماضى والمضارع فيحتمل :

١ - أنها من باب التداخل الا أن الماضى من اللغة الأخرى مفقود وهو : « حسب - نعم - بأس - ييس بفتح العين » واستغنى عنه بالماضى الموجود : « حسب - نعم - بئس - ييس بكسر العين » كما استغنوا بترك عن وذر وودع ونحو ذلك^(٣٢) ويؤيده ما حكاه السيوطى عن الكسائى^(٣٣) .

٢ - أنها ليست من باب التداخل بل قيل (ينعم) بكسر العين فى المضارع موافقة لماضيه (نعم) على (فعل يفعل) بكسر العين فيهما تشبيها له بباب (فعل يفعل) مما يوافق فيه المضارع الماضى بالضم « فكما أن فعل بضم العين بابه يفعل بضمها كذلك شبهوا بعض (فعل) بكسر العين به فكسروا عين مضارعه كما ضموا فى ظرف عين ماضيه ومضارعه فنعم ينعم بكسر العين فيهما محمول على كرم يكرم^(٣٤) وحسب يحسب ويئس ويئس وييس ييس بكسر العين فيها جميعا مشبه بباب كرم يكرم على ما قلنا فى نعم ينعم كسر العين فيهما^(٣٥) .

(ب) تفسير التداخل فى أبنية الأسماء :

عرفنا أن للعرب قواعد خاصة فى اشتقاق الأوصاف من الأفعال ،

-
- (٣٢) الخصائص ٣٧٨/١ ، ٣٨٨ ، واللسان ٣٥٥/١ ، ١٤٦/٨ ، ١٤٨
والبصريون وسيبويه يردون هذا رأى ، انظر اللسان ١٤٧/٨ والكتاب
٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٧/٢ .
(٣٣) المزهرة ١٩٤/١ .
(٣٤) الخصائص ٣٧٩/١ .
(٣٥) المصدر السابق ٣٨٠/١ .

فمن الثلاثى المفتوح العين تأتى على فاعل ، ومن المضموم العين تأتى على فعيل ، وما جاء مخالفاً لذلك عده الصرفيون شاذاً ، ولكن ابن جنى يخرج بعضه على أنه من باب تداخل اللغات فقولهم : « شعر فهو شاعر وحمض فهو حامض وخثر فهو خاثر وطهر فهو طاهر بضم العين فى جميع الأفعال على نحو من هذا وذلك أنه يقال : شعر وحمض وخثر وطهر بضم العين وفتحها فى جميع الأفعال فجاء شاعر وحامض وخاثر وطاهر على شعر وحمض وخثر وطهر بفتح العين فى جميع الأفعال ثم استغنى بفاعل عن فعيل وهو فى أنفسهم وعلى بال من تصورهم ، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر على شعراء لما كان فاعل واقعاً موقع فعيل كسر تكسيه ليكون ذلك أمارة ودليلاً على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه » (٣٦) .

وقد عد ابن جنى من التداخل قراءة « والسماء ذات الحبك » يقول : لعل الذى قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم فكأنه كسر الحاء يريد الحبك بكسر الحاء والباء وأدركه ضم الباء على صورة الحبك بضمهما فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى (٣٧) ، ولا يأتى اعتراض الرضى على ابن جنى فى هذا رأى بأن : « الحبك بضمين جمع الحبك وهو الطريقة فى الجبل ونحوه والحبك بكسرتين مفرد وأنه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع » (٣٨) ، وذلك كما يقول

(٣٦) المصدر السابق ٣٨١/١ .

(٣٧) المحتسب ٢٨٧/٢ .

(٣٨) شرح الشافية ١٠ ، ١١ ط ١٣٤٥ وفى الصبان اعترض بان التداخل فى جزء الكلمة الواحدة غير معهود انما المعهود التداخل فى الكلمتين نحو كدت بضم الكاف تكاد فان كدت بالضم على لغة من قال كاد يكوذ واكاد على لغة من قال : كاد يكاد ٢٣٨/٤ ، ٢٣٩ وقال أبو حيان : كسرت الحاء اتباعاً لكسرة ذات وال حاجز غير حصين واعتراض عليه أيضاً بأن (ال) كلمة براسها فهى حاجز قوى يمنع من الاتباع انظر المصدر السابق ٢٣٩/٤ .

محققو المحتسب : « مسلم فى التركيب من لغتين لأنه — حينئذ — أخذ من مفرد وجمع أما التركيب من قراءتين — ان صح الأخذ به — فلا يبدو بعيدا لأن قراءتى الجمع والمفرد مرويتان والقارئ بالتركيب منهما يريد أن يروى ما يؤثر لا التعبير عما يريد التعبير عنه ، وهذا فيما يبدو لى أصوب من اعتبارها خارجة على القواعد وقد حاول ابن جنى وصفها بذلك أولا ثم بدا له تخريجها على هذا الوجه المقبول ، ويكن ادراك الوصف الأول من قوله : « وأما الحبك بكسر الحاء وضم الباء فأحسبه سهوا وذلك أنه ليس فى كلامهم فعل أصلا بكسر الفاء وضم العين وهو المثال الثانى عشر من تركيب الثلاثى فانه ليس فى اسم ولا فعل أصلا » (٣٩) .

وقد اعتبر الدكتور أنيس القول بالتداخل فى الصيغ « ناحية صناعية بحثة لا تسوغها تلك الأمثلة التى رواها ابن جنى فضلا عن أنه لم يبين كيف تتداخل اللغات ولا الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضى فقط دون مضارعه أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال وذلك لأن الأوزان لا تستعار وانما الذى يستعار هو الكلمات وليس هناك من مسوغ يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل فيها من قوله نعم، ينعم بكسر العين فى المضى وفتحها فى المضارع الى نعم، ينعم بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع (٤٠) ، وقد سبق أدلة لرأيه هذا :

(أ) من كلام ابن جنى نفسه من بعض القصص التى تقوم حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبى حاتم قال : قرأ على أعرابى

(٣٩) المحتسب وتعليق المحققين ٢٨٧/٢ .
(٤٠) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٤ بتصرف يسير ومن اسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ .

حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال : قرأ على أعرابي بالحرم (طيبي لهم وحسن مأب) فقلت : طوبى فقال : طيبي قلت طوبى قال طيبي فلما استند على قلت : طوطو فقال طي طي (٤١) .

(ب) نلاحظ في اللهجات الحديثة أن الرجلين من أبناء لهجتين مختلفتين قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زمانا طويلا وكل منهما يلتزم لهجته وما نشأ عليه فإذا تأثر أحدهما بالآخر وأخذ يقلده في لهجته لسبب من الأسباب تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة لهجة واحدة أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة فليس مما يقره المحدثون من الباحثين في اللغات .

وقد اقترح الدكتور أنيس حلا لتلك المشكلة التي أعييت القدماء أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ماضيها ومضارعها ثم تبوب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمي الى لهجات متعددة ، . . ، وقد قام هو بنفسه بعملية الجمع والتبويب هذه متخذا القرآن الكريم ومعاجم اللغة مصادر لبحثه وقد خرج من ذلك بنتائج يمكن حصر أهمها فيما يأتي :

١ - الماضي المفتوح العين يكون مضارعه مضموم العين أو مكسورها الا حين تكون لامه أو عينه من حروف الحلق فتفتح مع استثناء الأفعال القرآنية : نزع - قعد - رجع - بلغ - زعم - نفخ - نكح .

٢ - الماضي المكسور العين لا يكون مضارعه الا مفتوح العين .

٣ - جعل باب (فعل يفعل) بضم العين فيهما (الذي لم يعثر

فى القرآن الكريم له الا على فعلى كبر وبصر (فرعا لصيغة (فعل)
وأنة لا يلجأ اليها الا حين يراد المبالغة فى معنى الحدث •

٤ — لا يوجد فى القرآن الكريم باب (فعل يفعل) بكسر العين
فى الماضى والمضارع (٤٢) •

٥ — الأفعال المشتركة التى ورد لكل منها أكثر من باب ولم
يختلف معناها قسم الاشتراك بينها الى : الاشتراك بين بابى نصر
وضرب — بين بابى ضرب وفرح — بين بابى نصر وفرح — بين بابى
فرح وكرم — بين باب كرم وبابى ضرب ونصر ، وقد جعل لكل
من هذه الأقسام بابا أصليا واحدا يطرح ما عداه الا فى القليل
النادر الذى يأخذ وضعاً خاصاً ، وبنى هذا الحكم على تقسيم
المحدثين للأفعال الى اختيارية واضطرابية والاختيارية فى عرفهم هى
التى لنا اختيار فى حدوثها ولو كانت مما يعده القديما لازما كجلس
وقعد ، والاضطرابية عندهم بعكس ذلك وهى ما ليس لنا اختيار فى
حدوثها مثل كبر وضعف وقد لاحظ المحدثون أن كلا من هذين النوعين
يختلف عن الآخر فى صيغته فبينما يؤثر أحدهما حركة من الحركات
يؤثر الآخر حركة أخرى (٤٣) ، وبناء على ذلك حكم بأن الاشتراك فى
بابى نصر وضرب يجب أن ينسب الى لهجتين مختلفتين ، وربما
كانت تلك الأفعال من هذا النوع تستعمل فى لهجة واحدة ، أما

(٤٢) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٤١ وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٧ .

(٤٣) يفهم من تفسيره للأفعال أن الحركة للفعل الاختيارى تكون عادة
الفتحة فى المتعدى وبذلك يكون هو الأصل وفى الاضطرابى الكسرة والضممة
فى اللازم ويفاضل بينهما عند الاجتماع فتقدم الكسرة على الضمة فتعد
صاحبة الباب .

الاشتراك فى بابى ضرب وفرح أو فى بابى نصر وفرح فإذا كان الفعل من الأفعال الاختيارية حددنا له باب نصر أو ضرب وضربنا صفحا بباب فرح الذى نسبته له المعاجم أما اذا كان من الأفعال الاجبارية حددنا له باب فرح وضربنا صفحا عن باب نصر أو ضرب ، والاشتراك فى بابى فرح وكرم يجعلنا نحكم بأنها من الباب الأول وحده ، فإذا كانت الأفعال المشتركة من باب كرم وبابى ضرب ونصر فسرناها على أن معناها من باب كرم قد قصد فيه المبالغة وأن الفعل من بابى نصر وضرب قد حول الى كرم للرغبة فى جعل المعنى من الصفات الغريزية الثابتة (٤٤) ، ونحن نجيب :

١ — بأن تداخل اللغات ليس عملية صناعية بحتة بل استمدها ابن جنى من واقع اللغة وأتى بأمثلة مستعملة فى العربية الفصحى والقراءات القرآنية وقد أبان ابن جنى عن الأغراض التى دعت العربى الى الاقتباس من لغة أخيه وهى كثرة الخلط معه لما يحتاجه فى حياته بجوانبها المتعددة وقد بينا ذلك بوضوح فى أسباب نشأة اللهجات فى اللغة بما يبرهن علنى أن ابن جنى تكلم عن دوافع الانقسام والأخذ عن الآخرين عربا وغير عرب *

٢ — القصة التى أوردها الدكتور أنيس رواية عن ابن جنى ان دلت (٤٥) على امتناع تحول العربى عن لهجته الى لهجة غيره فهناك — فيما روى عن ابن جنى أيضا — قصصا كثيرة تدل على تحول اللسان من لهجة الى أخرى ويمكن أن ننقل القصة التى ذكرت عقب تلك القصة

(٤٤) من أسرار اللغة ط ١٩٥١ ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ وانظر مؤتمري
المجمع اللغوى الدورة (١٦) ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

السابقة التي رواها الدكتور أنيس ونجتزىء بها عن غيرها :
« فقد روى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة عن قولهم استأصل الله عرقاتهم
فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة
لأن جلدك » والأعرابي قد ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في
نفسه منها ، ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عمارة أنه كان يقرأ
« ولا الليل سابق النهار » بالنصب دون تنوين سابق قال أبو العباس :
فقلت له : ما أردت ؟ قال : سابق النهار بتنوين سابق فقلت له
غها قلته ؟ فقال : لو قلته لكان أوزن أى أقوى (٦٤) ، فكما أن
العربي يتمسك أحيانا بلغته ويعتصم بها قد ينتقل هو أو غيره الى
لغة أخرى فصيحة أو غيرها أو يتأثر بتلك اللغة بما يظهر في لهجته
التي يستعملها كما أوضح ذلك أبو الفتح ابن جنى •

٣ — تصور الدكتور أنيس لاثنين يعيشان معا ثم لا تتأثر لهجة
أحدهما بلهجة الآخر تصور بعيد ، فالإنسان منا في حياته العادية
إذا عاش انسانا دون أن يسكن معه فقد تتسرب على مر الزمن بعض
خصائص لهجته اليه وقد ينطق بها أحيانا بلا شعور منه أو ارادة
وذلك واضح ملموس فما بالتا باثنين يعيشان معا في بيت واحد ؟
أن ذلك ولا شك سيترك أثرا يعد خليطا من لهجتيهما ، ولم تنشأ
اللهجات العربية الا من هذه المخالطة بين العرب وغيرهم بما تعد به
خليطا من مواد وطرائق عربية ممزوجة بغيرها من سمات اللغات
الأخرى التي اتصلت بها وعاشت بها مع أهلها •

(٤٥) لأن الواضح منها تعنت هذا العربي في معارضة أبى حاتم •

(٤٦) الخصائص ٣٧٣/١ ، ٣٨٤ ، ١٣/٢ في قصة أبى خيرة •

على أن الدكتور أنيس نفسه يميل الى قبول معنى التداخل ويظهر ذلك من عبارات له تفيد توقعه لصحة هذا الرأي ، فقد دافع عن ابن جنى بقوله « لعل ابن جنى أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد فى لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لا يتبعان طريقة الاشتقاق فى الأفعال الأخرى مثل نعم نعم بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع وحينئذ نعلك مثل هذه الأفعال بأن الماضى أو المضارع غريب على هذه اللهجة أو أنه على هذه الصورة مستعار من لهجة أخرى تحت تأثير ظروف خاصة به ، وعندما وقف أمام الأفعال (نكح - نزع - رجع - بلغ - قعد - زعم - نفخ) ليفسرها أطلق لقلمه أن يقول : « يظهر أنها تنتمى فى صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة القرشية *** وليس معنى هذا استعارة الصيغة أو طريقة الاشتقاق وإنما معناه استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة فى مصدرها الأسمى » .

وأنا أفهم من مجرد أنها مستعارة معنى التداخل والا فكيف يمكن تصور ذلك دون هذا المعنى ولا فرق أن تكون مستعارة بلفظها أو بصيغتها فمجرد الاستعارة يعطيها هذا المفهوم الواضح الواقعى ، على أن كلام الدكتور أنيس يدل على نظرة ليست قاطعة فعباراته تمتلئ بأسلوب : يظهر - وربما - ولعل - فإذا صح (٤٧) وفى تعليقه على تقسيم الأفعال الذى اقترحه لم يكن جازما أيضا .

ولذلك يقول :

« ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة (فعل يفعل) بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع ولعل منها من كانوا يقولون (فعل يفعل) بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع الى غير

(٤٧) ن أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، وفى اللهجات العربية

ط ٢ ص ١٥٩ .

ذلك من الاحتمالات التى ستكشف عنها بحوث المستقبل « (٤٨) .

(ج) التداخل فى الألفاظ :

وذلك بأن تضع قبيلة لفظا من الألفاظ لمعنى وتضع له قبيلة أخرى لفظا آخر فينتقل لفظ احدى القبيلتين الى الأخرى وتستعمله استعمالها للفظها^(٤٩) ، ومن ذلك ما يلاحظ من اجتماع لهجتين عند رجل واحد . يورد لفظتين أو أكثر لمعنى واحد فى لغته وإذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان واحد فان أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله ، هذا فى غالب الأمر^(٥٠) ومعنى ذلك أن المترادف ينشأ من اختلاف اللهجات واجتماعها ويمكن ادخاله تحت (تداخل اللغات)^(٥١) .

وقد يكون اللفظ واحدا مختلف الصورة من ناحية البنية وأحكامها الصرفية أو الصوتية فتستعمل احدى القبائل الصورة المستعملة للفظ عند غيرها من شقيقتها ، فما يتعلق بالبنية والصرف كاستعمال فعل وأفعال بمعنى واحد فى قول الشاعر :

سقى قومى بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

(٤٨) وقد كان رايه محل نظر من أعضاء المجمع اللغوى . انظر مؤتمر المجمع الدورة (١٦) .

(٤٩) فقه اللغة د. نجا ٢٦/٤ .

(٥٠) اذ من الجائز أن تكون قبيلته قد وضعت الالفاظ جميعا لهذا المعنى وذلك احتمال ضئيل . الخصائص ١/٣٧٠ — ٣٧٣ .

(٥١) هناك المشترك والمتضاد وفيه تجتمع عدة معان للفظ واحد وبعضها ينشأ من اجتماع اللهجات أيضا فيمكن أن يسمى ذلك تداخلا .

والاستعمال صلة الضمير مرة وعدم استعمالها مرة أخرى فى قول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان له أرقان
والاستعمال الصلة رأى الجمهور وحذفها لغة لأزد السراة .

ومما يتعلق بالناحية الصوتية : الابدال فى مثل سكر طبرزل وطبرزن ، وأيم وأين للحية ، فتلك لهجات مختلفة كما يصرح ابن جنى^(٥٢) .

وقد اعترض الدكتور أنيس - كذلك - على تداخل اللغات فى الألفاظ بمعنى أن العربى قد يستعمل خصائص من لهجة غيره مع لهجته ، فلكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن يجتمع فى اللهجة الواحدة صفتان مختلفتان فى أمر واحد^(٥٣) .

والواقع أن ذلك ليس بممنوع ، فالفرد منا ينتقل من بلدته ويذهب الى غيرها فتتغير على لسانه بعض النواحي الصوتية ويميل الى استخدام ألوان جديدة من البيئة التى انتقل اليها اما للحاجة أو للتظاهر ومجارات الأوضاع الجديدة وقد تصبح مع مرور الزمن طبيعية عنده^(٥٤) .

وتعترف جمهرة الباحثين بالتداخل ، فأستاذنا الدكتور نجاة يعترف بالتداخل ، ويعدده من نظرات ابن جنى الثاقبة فى دراسته اللغوية ، ومن الأمور الهامة التى عرض لها ، لأنه أبان عن توليد أبواب جديدة لا تتفق والقواعد المعروفة نتيجة لاختلاط الاستعمالات

(٥٢) الخصائص ٧٠/١ وما بعدها .

(٥٣) فى اللهجات العربية ص ١٥٢ .

(٥٤) مثل : عليه بفتح اللام وكسرهما ، عملت بفتح العين والميم وكسرهما ونحو ذلك مما نجده فى بيئاتنا .

العربية الناجمة عن كثرة ارتحال العرب من مواطنهم طلبا للعيش الذى ينشدونه^(٥٥) ، وعقد فصلا خاصا من كتابه بعنوان « تداخل اللغات وتوافقها » بين فيه كيف تتداخل اللغات وأسباب ذلك ونتائجه^(٥٦) .

والأستاذ العلايلي يعترف أيضا بتداخل اللغات وعقد له فصلا فى كتابه « مقدمة لدرس لغة العرب » وعده ذا أثر فى توليد عدد من المواد والمشتقات الا أنه يقول :

أظن أن من الخطأ الشك فى تأثيره وعمله ، كذلك أظن أن من الخطأ المبالغة فى عمله الى الحد الذى يصطنعه دارسو اللغة اليوم .

ويفسر ما حكاه ابن جنى من باب التداخل فى أبنية الأسماء مثل طهر فهو طاهر وشعر فهو شاعر على أنه ليس من تداخل اللغات ، بل من تداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها (قالوا أحب الرجل ومفعوله محبوب وحب وفاعله محب) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حاب ومحب لتقارب الخصوصية بين المزيد والأصل ، وأكثر ما يأتى من ذلك يعد فى نظره أثريات مضمحلة أو تنويعات لم تتعمم^(٥٧) .

ويتخذ الأستاذ العلايلي من التداخل طريقا الى الاستفادة من النظام الجديد الذى يحاول تطبيقه فى اللغة العربية « ففى العمل اللغوى الجديد يمكن أن ندخل مثلا فى هلك يهلك بين بابى ضرب وطرب ، وباب ضرب هو الأصل ، وباب طرب يدل على المفاجأة ، فندخل بينهما لافادة شئ يجيء تارة مفاجئا وتارة على الطبيعة ،

(٥٥) فقه اللغة ط الجديدة ١٦/٤ ، ١٧ بتصرف .

(٥٦) المصدر السابق ٢٥ — ٢٧ .

(٥٧) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٢ .

فاذا حللنا عليه (هلك) مثلاً دلت من باب (ضرب) على الهلاك الطبيعي ومن باب (طرب) على الهلاك الفجائي •

وفى التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح اليسير بالتسمم ، ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه بتداخل الأوضاع (٥٨) •

ويفسر اختلاف أبنية الأفعال على أنها تمثل مراحل التطور التى مرت بها لغتنا العربية ، وأن العربى فى طور الاستقرار حاول تصحيح الماضى على الفتح والمضارع على الكسر ، وأمات باب نصر والباب السادس ، وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام وبقيّة الأبواب يلجأ إليها لحاجات معنوية ، وما وقع حلقيا وليس من هذا الباب فأثرى (٥٩) •

والحق أن رأيه فى أبنية الأفعال وتطورها واستخدام التداخل فى الوضع اللغوى الجديد اقتراح لا نعلم أن علماء اللغة المحدثين قد وافقوه عليه •

(٥٨) المصدر السابق : ٢٢٩ •

(٥٩) المصدر السابق : ١٦٨ ، ١٦٩ •

البَابُ الثَالِثُ

التوحد اللغوى والعربية الباقية

التوحد اللغوى بين اللهجات :

يحتاج الناس الى اتصال بعضهم ببعض أفرادا وجماعات وأما ، ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ويستفيد بعضها من بعض ، والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا كلهجات القرى والمدن فى أية دولة ، فكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة ولذا لا تستعصى احداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم الا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التى تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية فانها تؤدى الى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة ، وحين تتجاور اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى والقرى المجاورة لها تزيد درجات التأثير ، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة ، وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلّى عن خصائص لهجاتهم وتقليد المدينة ، لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفيين .

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهى تعود فى معظمها الى الثقافة والحضارة والنفوذ والسلطان وعدد الناطقين ونحو ذلك فاذا انفردت احداها بمزية بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فإن ذلك يدعو الى تغلبها على

أختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى ، وقد حدث هذا كثيرا فى التاريخ اللغوى فاللاتينية التى صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم بأسره كانت لغة روما أولا وقبل كل شئ ، أى لغة المدينة فى مقابلة الريف المجاور واللهجات القاصية على السواء^(١) .

واللهجة الباريسية أصبحت لغة فرنسا بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ومن طبقة اجتماعية يعينها من طبقات العاصمة وهى البرجوازية ، وقد استقرت فى القرن التاسع عشر وسلم بها القصر ثم الأقاليم والكتاب الكبار باستعمالهم اياها زدودها بالقدرة على فرض نفسها نهائيا وعلى استمرارها لذلك لا نكاد نحس فيها أثرا للهجات)^(٢) .

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة اذ كانت أقرب من غيرها الى اللاتينية^(٣) . ولهجة فلورنسا (فى ايطاليا) لهجة المجتمع الراقى بهذه المدينة هى التى صارت لغة ايطاليا .

ولهجة قریش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية قبل الاسلام لتحقيق النفوذ السياسى والاقتصادى والدينى لها .

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المنحدرة .

وهذا التوحد اللغوى — الذى أشرنا اليه — يخضع لعوامل كثيرة أهمها :

(١) اللغة لفندريس : ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٠ .

(٣) اللغة : ٣٣٥ .

١- العامل السياسى :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى الى تقارب لهجاتها ثم توحيدها فى لغة عامة ، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية والصرفية والمعجمية وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة أو طائفة حرفية ولو كان الحاكم من أبنائها ليكون ما يوجه الى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية ونلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجاتها والتخلى عما تتفرد به لهجاتهم الأصلية ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية الى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية ، ويمكن أن نمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية التى كانت لهجة باريس ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلة فى المجال السياسى الفرنسى .

واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة المجتمع الغربى بأسره^(٤) تبعا للنظام السياسى وذلك فى الامبراطورية الرومانية^(٥) القديمة وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحيد اللغوى ، فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة^(٦) .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوروبية^(٧) ، ولذا قام انتشار الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة

(٤) اللغة : ٣٢٩ .

(٥) اللغة والمجتمع د. محمود السمران ص ١٧٤ .

(٦) المصدر السابق : ١٧٤ .

(٧) اللغة : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

سياسية ، فالألمانية المشتركة أولا وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بنجاحها الى أسباب دينية كما تدين بأصلها الى الرغبة فى الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوتر وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والامارات الألمانية ، والألمانية كانت تحتل الأراضى السلافية قدما بقديم وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الألمانية المشتركة فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التى وصلت بفضل الإصلاح الدينى الى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها^(٨) .

٢ — العامل الاجتماعى والاقتصادى :

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة وتبادل المنافع فى شتى المجالات ، وقد تنتشج بينهم المنازعات ، وهذا يؤدى الى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتلخص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التى توضح أثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحيد — فى لغة عامة — قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان ، لما كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة والجوار والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية .

٣ — العامل الأدبى :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحيد اللغوى ، فالأدباء من قصاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف

(٨) المصدر السابق .

طبقاته ، ليروج ويذيع ، وتلك اللغة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأى اقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهيئ سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة .

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر اللذين عنيت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذى الجاز والمجنة ، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء فى هذه الأسواق ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا قامت على أساس اللهجة القرشية وما استفادته من محاسن اللهجات الأخرى .

وفى أوربا توحدت لهجات مشتركة من أصل أدبى محض مثل الايطالية التى استقرت لغة مشتركة ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيئة الكتاب العظام وتأثيرهم مثل دانتي وبترارك ولوكاشيو . وذلك فى وقت لم يكن لايطاليا فيه أية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم واللغة التى رفعها (دانتي) الى مرتبة اللغة الأدبية والتى صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شئ لغة مدينة هى فلورنسا . ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة^(٩) .

٤ - وسائل الاعلام :

لوسائل الاعلام كالاذاعة المسموعة والمرئية ودور الخيالة (السينما) والمسارح والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى فهى لسان حال الأمة والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية ، وهى تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ففى الأقطار العربية — مثلا — تستخدم الفصحى وبعض

(٩) اللغة : ص ٣٣٥ .

الأساليب العامة التي يفهما الجميع ، وتلك الوسائل — بلا شك — لها خطرهما في التأثير على الناس وتكوين لغة عامة .

٥ — المدن الكبرى :

للمدن الكبرى أثرها في نشوء لغة مشتركة اذ تتطلع اليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها والبعيدة عنها فيكثر الغادون اليها من كل صوب ، وهم حين يلتقون داخل تلك المدن يحاولون — عادة — التخلي عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون الى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا الى أى حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الشعب كله .

فالدور الأساسى الذى آل الى أثينا بعد سقوط الامبراطورية الفارسية أدى الى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الأتيكية ولكن زاد من قوة الأتيكية واشعاعها شهرة شعرائها وفنانيها فكان لأثينا — بوصفها مركزا سياسيا وأديبا وفنيا على السواء — شرف تأسيس اللغة المشتركة التى ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع 'الاغريقين' (١٠) .

وقد تكونت الانجليزية المشتركة فى مدينة لندن التى ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا الى أن تكون اللغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجيء حيث أخذت تلتقى بين أحضانها طوائف المهاجرين على اختلافهم ، يفدون عليها من الأقاليم ، ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت الى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات حتى لتجد نطق الانجليزية فى القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولا تزال بقايا

(١٠) اللغة : ٢٨ ، ٣٢٩ .

منه موجودة حتى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الإقليمية أنعشت تبادل السكان بين العاصمة والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة وإذا فاتجلترا تدين — أيضا — بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا الى أهمية عاصمتها (١١) .

وفى مدينة القاهرة تتراحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ولذا تميل الى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع .

٦ — الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ويتعبدون به ويطبّقون أحكامه ويدعوهم الى الاجتماعات العامة فى الصلوات والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى .

ولا شك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة فدور العلم والثقافة وطلابها الذين يفدون من مختلف الأقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات وقصور الثقافة والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية كذلك له أثره فى تخلق هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجاتها ويتجهون بذلك الى لغة عامة .

وقد حاول تيمورلنك أن يضع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ، ومع فشل تلك المحاولة فإنها تدل على احتياج الجيوش الى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة (١٢) .

وفى إطار هذه الأسباب الداعية الى توحيد النظام اللغوى فإن العالم العربى قد توافرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسية

(١١) المصدر السابق : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(١٢) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجبا ص ٢٤ ، ٢٦ واللغة

والمجتمع للدكتور السعران ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

وأدبية وثقافية وربطت بين أرجائه الاذاعة المسموعة والمرئية والصحافة وسبل المواصلات فبرزت فيه لغة مشتركة تتمثل فى العربية الفصحى التى تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدراجة المنتشرة فيه •

ولا ننسى أن نشير الى أن اللغة المشتركة التى تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل تبدو آثارها فيها وتنعكس عليها •

ويتجلى هذا الأثر واضحا فى العربية الفصحى المعاصرة واللهجات العامية المتفرعة منها ، وقد أشرنا — من قبل — الى ماتحويه اللغات المشتركة فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التى شاركت فيها (١٣) •

(١٣) انظر كتابنا : علم اللغة بين القديم والحديث ط ٢ من ص ١٦٥ — ١٧٣ •

العربية الباقية

يقتضينا الحديث عن عوامل الانقسام والتوحد فى اللغة ، أن نبين موقف لغتنا العربية التى ورثناها عن أسلافنا من التوحد والانقسام •

فلغتنا العربية بدأت على ألسنة العرب الأولين وقبائلهم القديمة من أمثال (عاد) التى كانت تعيش فى جنوبى الجزيرة ، وثمود التى كانت تجاور الآراميين فى شماليها •

وهذا التفرق للقبائل دعا الى ظهور لهجات عربية هنا وهناك ، الا أن قبائل الشمال تأثرت لهجاتها — فيما يبدو — بالآرامية التى هى احدى اللغات السامية — أخوات العربية — وقد وصلتنا نقوش تحمل بعض هذه اللهجات وتبين بعض معالمها الصوتية ، وخصائص القواعد والمفردات فيها •

ولما اندثرت القبائل القديمة المتحدثة بهذه اللهجات كانت بقايا منهم لا تزال تحمل لغة الآباء ، وتتحدث بها ، وعن طريقها نقلت الينا العربية الباقية •

واذا صح أن نطلق على اللهجات التى تحدثت بها قدامى القبائل العربية اسم (العربية البائدة) — لأنها قد بادت مع أهلها — فإننا نسمى اللغة التى وصلتنا بـ (العربية الباقية) لبقائها فىنا حتى اليوم •

وقد عاشت العربية فى شمالى الجزيرة (نجد والحجاز وتهامة) واستطاعت فى القرن السادس الميلادى أن تبسط نفوذها فى الجزيرة

كلها وتدخل اليمن مرة أخرى ، وتسيطر عليها وتمحو ما بقى فيها من لهجات ، وتحل محلها ، وهذا لأن أهلها العدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جنوبى الجزيرة بعد أن ضعف نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش ، وتبعهم الزحف اللغوى ، فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب فى لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالى مائة وخمسين عاما تقريبا^(١) .

وإذا بحثنا عن أولية العربية الباقية فلن نستطيع الوقوف عليها لأن التاريخ اللغوى مجهول ولم تصلنا آثار ترشد إليه ، وكل ما نعرفه أنه توافرت لدينا نصوص أدبية — شعرا ونثرا — متكاملة القواعد والنظام اللغوى وهذا يعبر عن لغة بلغت شأوها من النضج والقوة لكنه لا يرشد الى فترة طفولة اللغة أيام كانت ساذجة ضعيفة غير مهذبة القواعد والتراكيب .

وهذه اللغة التى بلغت غايتها من النضج والتكوين هيماء لها أن تنتشر فى الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات والعادات والتقاليد بين الشمال والجنوب ، والأحوال التى يعيش فيها أبناء العرب فى مواطنهم المتعددة ولذا لم تلبث أن انقسمت الى لهجات عديدة فى أنحاء الجزيرة .

ولم يعيش العرب فى جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض وإنما كانوا يلتقون فى التجارة وفى الأسواق الأدبية التى يتبارى فيها

(١) قبل القرن الخامس الميلادى أخذت خصائص اللهجات العربية الشمالية القديمة واللهجات العربية الجنوبية القديمة تنصهر وتخضع لحسن العربية الفتية ولذوقها ومما لا جدال فيه أن ذلك الانتقال والتطور التدريجى للعربية قد حدث فى الحتبة التاريخية الواقعة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين ومن الجائز أن يكون ذلك قد حدث قبل القرن الثالث الميلادى ، انظر دراسات فى اللغة العربية د / خليل نأى ص ١٧ ، ١٨ .

الشعراء والأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم ، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة ، وسماع كل عربى اللهجات اخوانه من المناطق الأخرى الى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحي التجارية والثقافية وغيرها •

وكان القرشيون يلتقون — كغيرهم من القبائل — باخوانهم العرب من كل مكان ، وقد ساعدت عوامل كثيرة على تهذيب لهجتهم ، وتهيئة الفرصة لها لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخرى ، وأهم هذه العوامل :

١. — نفوذهم الدينى :

كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم ، لأنهم هم الذين يتولون سدانة البيت الحرام والقيام على شئونه ، وكانوا يستضيفون الحجاج ويقومون على سقايتهم^(٢) ، وتعليمهم مناسكهم^(٣) ، وبعد حادث أبرهة الأشرم توطد مركز قريش حتى قالت العرب عنهم : « أهل الله قاتل عنهم فكفاهم مؤونة عدوهم »^(٤) ، وهذا كله جعل لقريش سلطانا دينيا يعترف به العرب جميعا^(٥) حتى قيل عنهم « قريش أئمة الناس وهدايتهم وأهل البيت وحريح ولد اسماعيل وقادة العرب »^(٦) •

٢. — نفوذهم التجارى :

انطلق القرشيون فى أنحاء الجزيرة وما حولها من الأقطار فى

(٢) السيرة النبوية ١٢/١ ، ١٢٥ ، ١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ٢٦٠ / ٢ .

(٣) الخصائص ٣٣/١ .

(٤) السيرة النبوية ٥٠/١ وتاريخ الأمم والملوك ١٣٩/٢ .

(٥) تاريخ العرب العام ص ٥١ .

(٦) الطبقات الكبرى ٣٨/٢ ، ٨٦ والسيرة النبوية ١٥٢/٤ .

الشام وفارس والعراق ومصر والحبشة وكلهم ثقة واطمئنان لما لهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الديني^(٧) .

وكانت أنشطتهم التجارية كبيرة وواسعة ففى رواية للطبرى أن احدى قوافلهم التجارية بلغت خمسمائة وألف بعير ومائة رجل ، ولا ريب أن هذه القافلة التجارية الكبيرة كانت تحتاج الى أدلاء معرفة وخبرة بالصحراء وطرق التجارة وحراس يحمونها من السلب والنهب وكانت قريش تستخدم فى ذلك رجالا من قبائل العرب المختلفة فى الجزيرة ولا سيما البدو^(٨) .

وقد ازدهرت تجارة قريش ولا سيما بعد انهيار سد مأرب سنة ٤٥٠ م وطرد قبيلة خزاعة من مكة .

وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وافريقية الشرقية عبر البحر الأحمر وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن الى أسواق فلسطين وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن^(٩) ، وهكذا تجارة الأقطار الأخرى .

ولا ريب أن ذلك كله جعل لقريش مركزا تجاريا أثروا من ورائه ثروات طائلة ووطد صلاتهم بالقبائل العربية المختلفة .

وقد نزل القرآن الكريم مشيرا الى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء قائلا : « لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

(٧) تاريخ الامم والملوك ٢/٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٣٢٧ ، ٣/٦٣ ، ٤/٥٦ ، والطبقات الكبرى ١/٤٥ ، ٤٨ والسيرة النبوية ١/١٢٥ ، ٢/٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ٢٨٨ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ١/٦٧ ومغازى الواقدي ١/١٦ ، ٢٧ .

(٨) السيرة ٢/١٨٢ .

(٩) الطبقات الكبرى ١/٤٣ وموسوعة التاريخ الاسلامى د. أحمد

شلبى ص ١٢٦ .

٣ - نفوذهم السياسى :

لا ريب أن القرشيين فى مكة حظوا باستقرار ونظام^(١٠) فى حياتهم الاجتماعية نتيجة لما تمتعوا به من نفوذ دينى واقتصادى واسع وقد تهيأ لهم طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض النزاعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة أو بين المتنازعين من غيرهم وكانت مكة حرماً آمناً من ورد إليه لا يظلم ولا يعتدى عليه ، الى جانب ما كان لقريش من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة فى داخل الجزيرة وعلى أطرافها فى الطريق الى الشام أو العراق ولعل للنفوذ التجارى واستخدام بعض هذه القبائل فى شئون التجارة أثراً بينا فى تحقيق السيادة القرشية الى جانب ما تمتعوا به من نفوذ دينى أشرنا اليه من قبل ، وكانت لهم أحلاف كثيرة مع القبائل ، كل هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعاً حتى قال أبو بكر الصديق عقب وفاة النبى ﷺ والبحث فىمن يخلفه : « لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش » .

٤ - نفوذهم اللغوى :

ونتيجة لكل ما سبق اتسع نفوذ القرشيين اللغوى فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى فأصبحت لغة عامة للعرب جميعاً واستعملتها القبائل المختلفة فى نتاجها الأدبى الرفيع ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس :

« فبيئة مكة قد هيئت لها ظروف وفرص بعضها دينى وبعضها اقتصادى واجتماعى مما ساعد على أن تصبح المركز الذى تطلعت اليه القبائل وشدت اليه الرحال قروناً قبل الاسلام وكان أن نشأت بها

(١٠) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٦ والسيرة ١/١١٥ ، ١٢٢ والطبقات الكبرى ١/٤١ ، ٤٢ ، ٨٢ وغيرها .

لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات» (١١) ومما سهل سبيل الغلب أن أهلها يعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب ، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام وغنيت بكل الوسائل التي جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض (١٢) .

وسواء أكانت لغة قريش وحدها هي اللغة الفصحى أم أضيف إليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة فقد أصبحت لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم لغة يحتضنونها في خطبهم وأشعارهم ونزل بها القرآن الكريم ففوق من شأنها ودعم من سلطانها .

وقد اعتبرت تلك اللغة أفصح اللهجات وأنضجها لما بعدت عن الأمور التي تخل بالفصاحة ولنستمع الى هذا الحوار الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان ورجل من السباط حول أفصح الناس قال معاوية للرجل : أي الناس أفصح ؟ قال : قوم ارتفعوا عن رتبة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن شبنشنة تغلب ليس فيهم غمغة قضاة ولا طمطمانيية حمير قال معاوية : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش قال : صدقت فممن أنت ؟ قال : من جرم ، قال الأصمعي : وجرم من فصحاء العرب (١٣) .

وقد اعتبر ابن خلدون لغة قريش أفصح وأصرح من غيرها من اللهجات العربية « لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم

(١١) مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٨ .

(١٢) فقه اللغة د. وافي ص ١٤٠ .

(١٣) العقد الفريد ٢٠٧/١ ، وانظر : درة الفواص . ص ٢٤٩ —

من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وطفان وبنى أسد وبنى تميم^(١٤) .

ويوضح ذلك أن ابن جنى يعتبر مقياس الفصاحة قائما على صحة السليقة والبعد عن الأعاجم وعدم التأثير بهم ويتبين هذا من الفصل الذى عقده فى خصائصه بعنوان : (باب فى ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) يقول :

« ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر وكذلك أيضا لو فشا فى أهل الوبر ما شاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتفاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها »^(١٥) .

وعلى هذا فليس اعتبار لهجة معينة أفصح من غيرها الا بمقدار بعدها عن مظاهر الفساد واللحن وقد تحقق هذا فى اللغة المشتركة التى كانت لسان العرب جميعا ولا مجال للقول بأن العصبية هى التى جعلتها أفصح من غيرها .

وأما تغلب اللغة العربية على لغات الأمم التى دخلت الاسلام فكان لعوامل دينية ولسماحة الاسلام وارادة المسلمين من هذه الأمم أن يؤدوا فرائضه بلغته وأن يحفظوا بالمكانة فى الدولة الاسلامية الجديدة ولعوامل داخلية فى جوهرها الذى جعل الأجانب يعجبون بها وبطرائقها اللغوية .

يقول ابن جنى وقد بهرته العربية بسحرها وجمالها : « لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الرقة

(١٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٣ .

(١٥) الخصائص ١/ ٢٤٢ .

والدقة لا اعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها والتنويه منها» (١٦) .

ويقول أيضاً :

« انا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمى وقد تدرب بلغته قبل استعراجه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه » (١٧) .

وهذه شهادة عالم ثقة أدلى بها ليعين الدوافع التي جعلت المسلمين يتركون لغاتهم الأصلية ويتجهون الى العربية يتكلمونها ويتحدثون بها وهذا هو الذي جعل العربية تصرع لغات البلاد المفتوحة وتقضى عليها .

فالحق أحق أن يتبع وهو أن تفوق العربية كان لعوامل ذاتية من داخلها لا من خارجها .

وحقا ما قال الأستاذ العقاد :

« ان للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث ومعظم هذه المفاخر دعوى لا دليل عليها وحجتها الكبرى أنانية قومية تشبه أنانية الفرد في حبه لنفسه وإيثاره لصفاته بغير حاجة الى دليل أو مع القناعة بأيسر دليل ، ولكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها لأن دليلها العلمي حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة ، ولا حاجة له في هذا الدليل الى غير النطق وحسن الاستماع » (١٨) .

(١٦) المصدر السابق ٥/٢ . (١٧) المصدر السابق ٢٤٣/١ .

(١٨) اللغة الشاعرة ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولكن بعض الباحثين المحدثين يعارضون هذا الرأي فيرى بعضهم أن الذي جعل القدماء يقولون بسيادة القرشية سبب واحد هو أن النبي ﷺ من قريش أما أن قريشا لهم نحاتهم وسلاقتهم التي طبعوا عليها فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوي الصحيح ، إذ أنه لا معنى لأن نقول : ان هناك لغة — مهما تكن — أكثر فصاحة من لغة أخرى (١٩) .

ويقول الدكتور جواد على منكرا أيضا :

« وأما قولهم ان هذه اللغة الفصحى هي لغة قريش ، لاجماع العرب كافة على أن لغة القرآن هي لغة قريش ، وعدم ظهور أحد أنكر هذا الاجماع أو جادل فيه رغم ما كان من الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، فقول لا يستند الى حجج تاريخية ، بل هو يصطدم مع واقع النصوص الجاهلية الواصلة اليها ، وبعضها نصوص لا تتعد عن الاسلام بكثير ، وقد كتبت كلها بلهجات تختلف عن هذه اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن ، وفي اختلافها عنها دلالة على أن الشعوب التي كتبت تلك النصوص لم تكن تكتب بعربية القرآن ، وفي هذه الدلالة تفنيد لقول من قال ان لهجة قريش هي الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية ، لا في الحجاز ونجد فحسب بل في كل القبائل » (٢٠) .

ويرى الدكتور تمام حسان أن الفصحى المشتركة هي لغة العرب جميعا ، وليست القرشية وحدها لأدلة :

١ — أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ولم ينزل بلسان قريش ، ولو كانت الفصحى أصلها لهجة قريش لأشاد النبي ﷺ بفصاحة

(١٩) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ٤٢ .

(٢٠) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/ ٦٤٠ .

لهجته ، منع أنه أشاد بفصاحة نفسه ، وأشار الى أنه نشأ فى سعد ابن بكر — من عليا هوازن — وليست أولى بالفصاحة من قريش ، وقد قال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فإذا كانت إحدى الآيتين تفسر الأخرى فإن (قومه) هنا هم العرب جميعا لا قريش فقط .

٢ — كانت للهجة قريش خصائص لم تتشع فى الاستعمال العربى كتسهيل الهزمة وقد شاع تحقيقها فى النص القرآنى مما يدل على أن بالنص القرآنى ما ليس بلهجة قريش من الخصائص ويتحقق فى اللهجات الأخرى .

٣ — أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وتعددت قراءاته ، وفى القراءات ظواهر لغوية لم تشتمل عليها لهجة قريش .

٤ — خلو النصوص الأدبية الجاهلية من أثر لقريش ولم يسمع عن شاعر جاهلى قرشى فحل ، على حين نجد الشعر فى قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية .

٥ — مخاطبة الرسول ﷺ للقبائل بلغاتها مشيرا الى أن هذه اللهجات لها من الفصاحة ما للهجة قريش ، ومن ثم لم يكن بها من افتقار الى الأخذ عن لهجة قريش ، ولم يكن بأهلها من احساس بالصنعة يدعوهم الى ذلك .

٦ — أن النحاة حين حددوا قبائل الفصاحة ، وجعلوا لهجاتهم مصادر فى النحو العربى ، لم يقصروا الأخذ على قريش ، بل لم يقبلوا الأخذ عن قريش وانما سمعوا ممن عداها من قبائل الحجاز ونجد ذاهبين الى سكان البرارى ممن كانوا أشد توحشا وجفاء وأبعد اذعانا وانقيادا وهم : قيس وتميم وأسد وطىء ثم هذيل .

٧ — فقدان السند التاريخي الذي يفيد أن لهجة قريش هي الفصحى المشتركة فدعوى جعل القرشية هي الفصحى افتراض يتعارض مع الحقائق المسلمة التي تقدمت (٢١) .

وهذه بذور لآراء استشرافية ، اذ يذهب بعض المستشرقين الى أن ما يسميه العلماء لهجة قريش يغلب على الظن أنه غير صحيح ، اذ من الصعب أن نتصور لقريش لهجة خاصة مع ما نعرفه من عدم بقائها في بيئة منعزلة عن القبائل الأخرى فقد كانت بيئتها موردا للقبائل العربية يأتون اليها للتجارة والحج والمفاخرة والمنافرة في الأسواق ، وكانت قريش بحكم زعامتها الدينية والاقتصادية دائمة الاتصال تقريبا بهذه القبائل ، وهلى هذا فان لهجة قريش يمكن أن يقال انه لا وجود لها وما هي في حقيقة الأمر الا خليط أو مزيج من لهجات القبائل الأخرى تكون على مر الزمن وانتهى به الأمر الى أن يكون لهجة البيئة الحجازية التي تسكنها قريش (٢٢) .

والحقيقة أن وقوع بعض الدخيل في القرشية لا يؤدي الى محو أصلها وتأصل الدخيل فيها ، وهذا زعم استشرافي لهؤلاء المستشرقين الذين يحاولون بكل الوسائل ادعاء أن الفصحى غير لهجة قريش .

والقرشية ليست بدعاً من اللهجات التي سادت لعوامل حضارية ، ففي كل اللغات حدث مثل ذلك كأن جاءت الباريسية لغة فرنسا ولغة روما لغة ايطاليا بل لغة الامبراطورية الرومانية كلها .

وقد سادت القرشية الجزيرة قبل الاسلام حين عظم شأن قريش وتحقق نفوذها الواسع في مكة وما حولها بل في الجزيرة كلها .

(٢١) الأصول — الطبعة الاولى : ٧٨ — ٨١ بتصرف .

(٢٢) اللغة والنحو : ٤٢ ، ٤٣ .

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

« فنحن لا نعدو الواقع اذا قلنا ان لهجة قريش هي الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية لا فى الحجاز ونجد فحسب بل فى كل القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا وفى اليمامة والبحرين وسقطت الى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة فى أطرافها الشمالية » وفى رأيه أن المستشرقين جانبهم التوفيق فى الحدس والفرض حين رفضوا نظرية العرب فى أن الفصحى هى عين اللهجة القرشية (٢٣) .

ويرى الرافعى أن نزول القرآن بلغة قريش يؤكد حقيقة السيادة القرشية يقول :

« الأصل أن القرآن نزل بلغة قريش لأن الرسول ﷺ قرشى ، وليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت وسقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام وغيرها من خصائصها » .

بيد أن الرافعى يبالغ فى نسبة السيادة للهجة قريش الى حد زعم فيه أن القرآن لو نزل بغير ما ألفه النبي ﷺ من اللغة القرشية وما اتصل بها كان ذلك مغمزا فيه ، لأن العرب لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه وبين ما يأثرونه من كلام النبي ﷺ فيهبون ذلك على قريش ثم على العرب فتتشق الكلمة ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء الى حال لا يلتئم عليه أبدا (٢٤) .

ويضطرب الرافعى فى عرضه لفكرته عن نزول القرآن بلغة

(٢٣) تاريخ الأدب العربى — العصر الجاهلى د. ضيف ١٣٣/٩ ،

١٣٤ .

(٢٤) تاريخ آداب العرب ٦٢/٢ ، ٦٣ .

قريش ، فيقرر — مرة أخرى — أن هناك لغات أخرى نزل بها القرآن — الى جانب لهجة قريش — يقول :

« اللغات التى نزل بها القرآن غير لغة قريش هى لغة بنى سعد ابن بكر الذين كان النبى ﷺ مسترضعا فيهم ، وهى احدى لغات العجز من هوازن ثم لغات جشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأولئك هم أفصح العرب جملة ثم خزاعة وهذيل وكنانة وأسد وضبة وكانوا على قرب من مكة يكثررون التردد اليها ومن بعدهم قيس ومن جاورهم فى وسط الجزيرة » (٢٥) ♦

ونحن حين نثبت الفصاحة لقريش لا ننفيها عن غيرها ، ومع ذلك بقيت آثار هذه اللهجات بارزة فى القراءات القرآنية التى جاءت تيسيرا على الناطقين المسلمين فى جميع الأمكنة والأزمان كما نقله ابن الجزرى فى النشر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف » ♦

فالعرب كانوا يقرأون بلحونهم على تنوعها واختلافها من تحقيق الهمز وتخفيفه والمد والقصر والفتح والامالة والاظهار والادغام وضم الهاء وكسرها من عليهم واليههم واستعمال الكلمات على أوجه مختلفة كبرىء وبراء وسرى وأسرى فى قوله تعالى : (والليل اذا يسر) (٢٥) وقوله سبحانه (فأسر بأهلك) (٢٦) ، الى غير ذلك مما ذكرته كتب اللغة كالكمال للمبرد ♦

وفى كتب اللغة والنحو وردت شواهد وأمثلة لبعض هذه اللهجات التى مثلت بعض القواعد النحوية والظواهر اللغوية الصوتية والدالية

(٢٥) الفجر الآية ٤ .

(٢٦) هود الآية ٨١ .

وغيرها مما يشهد أن بعضها له شهرة وذيوع وقوة فصاحة يمكن أن يحتج بها ويؤنس بنطقها كما قال ابن جنى : ان اللهجات كلها حجة •

فمن اللهجات البارزة : اللهجة التميمية والقيسية والأسديّة وغيرها من هذه القبائل التي اشتهرت بالفصاحة وورد ذكر أصحابها في كتب اللغة كالصاحبى والمزهر وغيرهما^(٢٧) ويعد الهمز صفة مستحسنة من صفات اللهجة التميمية بحيث أخذ به القرآن في صورته المشهورة التي نزل بها وان كان التسهيل احدى القراءات المعتد بها كذلك لكن الهمز أشهر •

ومن آثار اللهجات المختلفة التي لا تزال باقية وتشهد بواقعها اللغوى الظواهر اللغوية المشهورة كالاشتراك والتضاد والترادف وتعدد الأوجه الاعرابية لبعض الألفاظ فى التراكيب اللغوية والقلب والابدال وغيرها •

بل ان بعض الألفاظ تختلف من قبيلة الى أخرى ، وبعض هذه الألفاظ المنسوبة للهجات أخرى غير القرشية قد وقعت فى القرآن الكريم •

ويذكر بعض العلماء أن نحو أربعين لغة وقعت فى القرآن : قريش وهذيل وكنانة وخثعم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت والعمالقة وانمار وغسان ومذحج وخزاعة وسبأ وعمان وبنو حنيفة وطىء وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن واليمامة^(٢٨) مما تضمنته لهجة قريش وما لم تتضمن •

وقد حاول الدكتور لويس عوض أن يرسم العصبية المتمثلة فى

(٢٧) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ١٣٢ •

(٢٨) المصدر السابق ٢/ ٦٤ •

لهجة قريش لأنهم آل النبي ﷺ ومنهم نشأ فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة ، وتمشى الشرف ، وتسرب الى لهجتهم فجعلت أفصح اللهجات جميعا وجعلت أساسا للغة التي نزل بها القرآن وتنوسيت جميع اللهجات الأخرى (٢٩) .

وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين فى اثبات ما جاء فى الصحابى لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التي كانوا يسمونها لغات فى الموازنة مع لغة قريش التي نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش كانت أرقى لغات العرب وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش ، وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها (٣٠) .

وهذا الحديث الطويل قصد به الدكتور لويس الغضن من شأن اللهجة القرشية — بخاصة — واللغة العربية — بعامة — والغضن من شأن أصحاب تلك اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها فى تكوين اللغة العربية ومحاولة ارجاع هذا الأثر الى العصبية للنبي ﷺ والى قبيلة قريش لا الى العوامل الحقيقية فى تفوق هذه اللهجة وهى عوامل كثيرة : اجتماعية وسياسية ولغوية وكان اللهجات المنزوية المقهورة انما قبرت — فى زعم الدكتور — بحد السيف والجبروت والتسلط وغلبة قريش على بقية القبائل ونقول :

ان وجود النبي ﷺ فى الأمة العربية أمر جعلهم — بلا شك — أصحاب شرف وفخر وامتد هذا الشرف الى الأمة الاسلامية كلها

(٢٩) مقدمة فى فقه اللغة العربية : ٦٠ وما بعدها .

(٣٠) المصدر السابق ص ٦٧ .

بحمل رسالة الاسلام التي صححت مسار الحياة الانسانية وليس هذا تعصبا بل بيان لحقيقة الأمة التي تنتشر دين الله وشريعة الحق. والعدل فهي — من هذا الجانب — مفضلة على الأمم الضالة الملحدة التي لا تعرف الله وحقوق الناس ولا تقيم العدل ، ولذا امتدح القرآن الكريم الأمة الاسلامية في اطارها العام ولم يخص العرب وحدهم حين قال :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٣١) .

أما أن العنصرية امتدت الى سيادة قريش على غيرها وسيادة لهجتها على سائر اللهجات واللغات الأخرى فهو غير وارد لا عن العرب ولا عن علماء العربية وما قاله الدكتور لويس محض افتراء .

فسيادة قريش ولهجتها لم تكن بعد الاسلام — كما تصور — بل من قبله وحقائق التاريخ ترشد الى ذلك ، وقد جاء الاسلام فوجد اللغة العامة — متمثلة في معظم المادة اللغوية القرشية — فنزل بها وكان هذا مسابقة للواقع اللغوي الشائع في البيئة العربية آنذاك .

وعلماء العربية تكلموا عن واقع موجود ولم يكونوا متحاملين أو قائلين بشيء لا تؤيده الحقائق العلمية والآثار .

وإذا كان الدكتور لويس قد اتهم أحمد بن فارس بالتعصب — ومن بعده ومن قبله علماء العربية الآخرين — حين عقد بابا في كتابه (الصاحبى) بعنوان : « باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها » (٣٢) فإن الباحث المنصف يرى أن أحمد بن فارس لم

(٣١) آل عمران . الآية ١١٠ .

(٣٢) ص ٦ وما بعدها .

يكن متعصبا في هذا الباب الذي عقده بل كان بصدد بيان بعض
ما امتازت به العربية من غيرها من اللغات الأخرى ، ولم يرد تفضيلا
عصيا ممقوتا •

والرجل لأنه فارسي الأصل يوازن بين العربية والفارسية التي
يعرفها فيقرر امتياز العربية بوقوع الألفاظ المترادفة فيها ذلك لأنها
تجئ للمتكلم كثيرا من نواحي الابانة والايضاح بما لا يتيشر في
اللغات التي تخلو من المترادف فللسيف والأسد والفرس ألفاظ
مترادفة في العربية على حين أن الفارسية لا تعبر عن ذلك الا باسم
واحد ، يقول ابن فارس :

لو احتجنا الى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية
لما أمكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات
كثيرة ، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد ، وفي لغة
العرب أكثر من خمسمائة اسم ، وهكذا غيرها من الأشياء المسماة
بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك ؟ كما يقرر امتياز العربية ببعض
مظاهر البلاغة ووجوها كالاستعارة والكناية والتمثيل والقلب
والتقديم والتأخير وغيرها من السنن الذي يقع في القرآن وكلام العرب
شعرا ونثرا وذكر لذلك أمثلة •

كما يقرر أن العربية لا تجمع بين الساكنين وقد تجتمع في لغة
العجم وعندما قال ابن فارس : (ان القرآن نزل بلهجة قريش) لم
يكن ذلك تعصبا لأنهم أتباع النبي وذووه وبسبب نزول القرآن بها
بل لأن القريشية من قبل نزول القرآن الكريم كانت قد انتشرت بين
العرب وأصبحت لغة عامة لأسباب أخرى كثيرة : اجتماعية ودينية
وسياسية وتجارية لخصها ابن فارس حين قال :

« أجمع علمائنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء
بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب السنة وأصفاهم

لغة فقريش قطان الحرم وجيران البيت الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاضرون الى قريش في أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبههم شائبة^(٣٣) ، ولم تنقلهم عن مناسكهم ناقلة ، فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا اذ جعلهم رهط نبيه الأذنين وعترته الصالحين *

وهذا دون شك بيان لبعض المزايا التي اختصت بها لغة العرب ولا عيب في ذلك ولا تعصب على الاطلاق *

ولهذه المزايا قرر ابن فارس أن ترجمة القرآن أمر جد عسير اذ لا يمكن أن تحمل ألفاظ اللغات الأخرى المعانى التي تتضمنها التعبيرات القرآنية ذات المعانى الجامعة ، فيقرر أنه لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن الى شيء من الألسنة كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله — عز وجل — بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب^(٣٤) *

و « لا وجه لمن يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية ، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة ، انما أمر الله — جل ثناؤه — بقراءة القرآن العربي المعجز »^(٣٥) وهذه شهادة من أحمد بن فارس الذي لم يكن شعوبيا في دعوته بل جهر بالحقيقة التي تقول :

ان مزايا العربية تجعل ترجمة نص القرآن غير صحيحة لأنها تفوت كثيرا من المعانى التي لا يمكن أن يعبر عنها اللفظ غير العربي *

(٣٣) انظر الصحابي ص ١٦ — ٢٥ .

(٣٤) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣٥) المصدر السابق ص ٤٧ .

وهذا يدحض فرية الدكتور لويس فى نقله اجازة ترجمة القرآن
فهو بهذا يفتح مجالا فاسدا من مجالات دعاواه الباطلة •

ومن نص ابن فارس السابق نفهم أن قبيلة قريش سادت العرب
لعدة أمور :

١ — أنهم قطان الحرم وسدنة البيت ويلجأ اليهم سائر العرب
لتعلم الناسك وهذه السمة الدينية أكسبتهم تقدير العرب واحترامهم
وحققت لهم الزعامة الدينية وهذا قبل الاسلام بكثير •

٢ — ونتيجة الزعامة الدينية وعوامل أخرى — كالتجارة
والأسواق — أصبح لقريش زعامة سياسية على العرب ولا شك أن
ذلك جعل غيرهم من القبائل يقلدهم فى لغتهم فمن عادة المعجب أن
يقلد من يعجب به ومن عادة الطبقات الاجتماعية أن تخضع لصاحب
السلطان الأقوى فى كل شئ وتحاول تقليده^(٣٦) مما جعل كثيرا من
القبائل تترك كثيرا من مظاهر لهجاتها وتلجأ الى محاكاة القبيلة ذات
السيادة الطبيعية •

٣ — ثم أضاف ابن فارس الى ذلك أن القرشيين أنفسهم مع
مالهم من زعامتين دينية وسياسية كانوا غير متعصبين للهجتهم
فجعلوها تستفيد من لهجات اخوانهم العرب وتلك عادة لغوية تحقق الوفاء
الكامل بحاجات المجتمع المتحضر الذى اتسع ليشمل قبائل العرب
بأسرها فى مناطق الجزيرة الواسعة •

وكان للقرشيين اختيار وذوق رفيع فبعدوا عن كل شوائب
اللهجات التى تحول بينها وبين الفصاحة مما يعكر صفوها أو يشينها
يقول :

(٣٦) انظر كتابنا (علم اللغة بين القديم والحديث) ص ١٧٦

وما بعدها •

وكانت قريش — مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها — اذا أتت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب (٣٧) .

وهذا دون ريب جعل للقرشية سيادة على غيرها من اللهجات أفادها بالحسن الجيد وزحزح عنها القبيح الرديء حتى استوتت فى صورة عامة سيطرت على اللهجات الأخرى وجعلتها تنزوى ، ويقتصر تداولها على المجتمعات والبيئات الخاصة أما فى المجتمع العام فقد سيطرت لغة مشتركة معظم مادتها قرشى وبعضها من اللهجات الأخرى ، ولما جاء الاسلام وجد العربية مستوية على سوقها فى اطار لغوى عام فنزل بها كتابه القرآن الكريم ، ولم يكن ذلك تعصبا للهجة قريش على الاطلاق ، وقد تهيأت لها فوق الأسباب المشار اليها قوة وسعة وهيبة وسلطان حينما حالفها الحظ بنزول القرآن الكريم بها حيث اختار الله نبيه من رهط قريش ، وهذا هو ما ذهب اليه ابن فارس وسائر علماء اللغة .

والذى يدل على أن القرشية ضمت اليها بعض مظاهر اللهجات الأخرى ولم نثر عليها ثورة تحكم واستبداد أن القرآن اشتمل على عناصر أخرى غير القرشية ، وقد أشار ابن فارس الى ذلك فذكر أن القرآن جاء بلهجات اليمن كالأرائك فى قوله سبحانه : (متكئين فيها على الأرائك) (٣٨) فالأريكة — بلغة أهل اليمن — الحجلة فيها سرير « الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والنستور » (٣٩) وكذلك المعاذير فى قوله تعالى (ولو ألقى

(٣٧) الصحبى ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣٨) سورة الانسان الآية ١٣ .

(٣٩) الصحبى ص ٤٢ الاصل والتعليق .

معاذيره) (٤٠) هي الستور وأهل اليمن يسمون الستر المعذار (٤١) .

وبعد هذا البيان نرى أن علماء العربية لم يقصدوا بمدح القرشية أنها أشرف لغات الأرض قاطبة على سبيل التعصب ضد غيرها ، وإنما كان من باب بيان فضائل العربية ومزاياها ، ومن هنا يفسد حكم الدكتور لويس بأن كثرة التفاعلات بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية عنها هي التي أنضجت اللغة العربية انضاجاً عظيماً واكسبتها مرونة كافية ، وخصوبة أفرغتها في لهجة قريش وأمكنها ذلك وأهلها أن تكون وعاء لوحى عظيم فى عصر الرسول وأداة صالحة للتعبير الفكرى العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تتقهر بعض ما جاورها من اللغات تماماً كما قهرت اللغة اللاتينية عديداً من لغات أوربا التى فتحتها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة فى بداية نحو (١٤٠٠) م .

فهذا الحكم — فى رأينا — أصبح غير ذى موضوع ، وأن ما بنى عليه يعد غير صحيح على الاطلاق بعد ما أوضحنا من صلات بين العربية وسواها من اللغات وأنها فرع اللغة السامية ذات الخصائص المستقلة .

ونضيف فى تنفيذ هذا الزعم أن القرشية لم تكتسب الزعامة بين لهجات العربية نتيجة لما دخلها من ألفاظ هندية أووروبية أو مصرية قديمة بل ان الثابت تاريخياً ولغوياً أن زعامتها كانت نتيجة عوامل كثيرة هيأت لها سبيل الغلب كما ذكرنا .

وبهذا يثبت ما قرره علماءنا من أن للعربية خصائصها واستقلالها وإذا كانت قد انتفعت باتصالها بغيرها من اللغات فهذا فى حدود

(٤٠) سورة القيامة الآية ١٥ .

(٤١) الصحابى ص ٤٢ .

القليل الذى لا يخل بشخصيتها على حد ما ذكر الجواليقى فى كتابه (العرب) والشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) وأضرابهما من العلماء الذين أشاروا الى بعض الألفاظ التى نقلت الى العربية من اللغات الأخرى ، بل ربما أفادت العربية أكثر مما استفادت ، ويكفى أن نعلم أن نحو نصف اللغة الفارسية مستعار من اللغة العربية ، وأن نصف ألفاظ اللغة التركىة مأخوذ اما من الفارسية أو من العربية^(٤٢) .

(٤٢) دلالة الألفاظ د. أنيس ص : ١٥١ .

البَابُ الرَّابِعُ

اِخْتِلَافُ اللُّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُظَاهِرُهُ

آثار اللهجات العربية ودراستها :

بدا الاختلاف اللهجي واضحا فى الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض فى التجارة والأسواق التى كانت تعقد للأدب والشعر وهم وإن كانوا يلجأون فى هذه الأسواق الى الفصحى فإن لهم لهجاتهم التى كانت تتسرب الى منطقهم فى بعض الأحيان وكانوا يتكلمون بها فى شئونهم الخاصة .

وكان الحجازى يلاقى التميمى وكلاهما من عرب الشمال وكان يلتقى بأهل اليمن وقد علمنا أن اليمن كان المصدر الأساسى لكثير من الهجرات التى كانت تتم من الجنوب الى الشمال وكانت رحلات أخرى تتم الى اليمن من الشمال ، وهنا وهناك اختلطت لهجات المهاجرين من كل صوب ولا بد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة الى اختلاف البيئات مما هيا للهجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك الى سيادة لغة عامة بين العرب جميعا .

ولم يكن الخلاف جوهريا بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب ، وقد أورد ابن جنى ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات فى الفروع لا الأصول ، قال :

« فإن قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها ، وقد نراها ظاهرة الخلاف ، أفلا ترى الى الخلاف فى (ما) الحجازية والتميمية والى الحكاية فى الاستفهام عن الأعلام فى الحجازية وترك ذلك فى التميمية الى غير ذلك ؟ قيل : هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته مختصر غير محتفل به ، ولا معيب عليه ،

وانما هو فى شىء من الفروع يسير ، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ، ولا مذهب للطاعن به»^(١) وهذا فى اللهجات العربية الشمالية والجنوبية بعد التوحد .

ومع توحد هذه اللهجات تحت لغة عامة فإن بقايا اللهجات كانت تجرى على الألسنة فى نطاق بيئاتها المتعددة وظهر أثرها فيما كان النبی ﷺ يفعل من مخاطبة كل الوفود والقبائل التى ترد عليه بلغاتها وحديثه ﷺ : (ليس من امبر امصيام فى امسفر)^(٢) مما قاله الرسول لبعض اليمنيين وفيه استعمل المصطفى ﷺ (ام) للتعريف مكان (ال) على طريقة اليمنيين وذلك يعرف فى اللهجات العربية باسم : (ططممانية حمير) وقد قال على - رضى الله عنه - :
ينا رسول الله : نحن بنو أب واحد وأم واحدة ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال : (أدبنى ربى فأحسن تأدينى) .

وقد ظهر أثر هذه اللهجات فى قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى بن كعب واضح فى هذا الصدد وفى نهايته :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » .

(١) يستثنى من ذلك بعض المظاهر اللهجية فى اليمن قبل الاسلام بزمان طويل حين كان لهجة اليمن خصائصها التى جعلت بعض اللغويين يكاد يرى أنها ليست من العربية فى شىء كما نقل ذلك عن أبى عمرو بن العلاء الذى يقول : (ما لسان حمير واقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) وابن جنى الذى يقول : (لسانا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة (بنى نزار) وابن خلدون الذى يقول : (وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصريف كلماته الخ) . انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها ط ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) شرح الفصل ٣٤/١٠ .

وقد أخذ العلماء يشرحون هذا الحديث ويبينون وجوهه وما أريد بالسبعة فيه حتى جعل السيوطي من ذلك بابا لعرض هذه الآراء واستيفائها وهي تربو على الثلاثين^(٣) .

ولما أخذ العلماء فى كتابة اللغة وجمعها وتدوينها نظروا الى اللهجات على أنها شيء لا ينبغي الاهتمام به لأن المهم هو الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم ويمكن فهمه على أساس دراستها وكذلك فهم سنة النبى الكريم وهنا توافروا على الاهتمام بالفصحى ونبذ اللهجات كما خشوا أن يؤدى جمعهم للهجات الى عدم جمع الكلمة الاسلامية ونقص الوحدة بين الأمة وأخذ العلماء ينظرون الى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها الى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل ابن فارس فى كتابه (الصاحبى) : (باب الردىء والمذموم من اللغات) واقتبس السيوطى كثيرا مما ذكر فيه من اللهجات وقد اقتصر رواة اللغة فى الأخذ عن قبائل معينة بحجة أنها فصيحة دون غيرها مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وبعض الطائيين^(٤) .

وحين وضعت قواعد النحو والمغة لم ينظروا الى اللهجات الا على أنها تنضوى تحت اطار اللغة العامة : فحاول النحاة صهرها فى بوتقتها ، واخضاعها للقوانين اللغوية العامة ان طوعا وان كرها ، فاذا ثابت عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة .

وقد روى ابن نوفل قال : سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سميتة عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقال : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات^(٥) .

(٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الثانى عشر .

(٤) الزهر ٢١١/١ ، ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق ١٨٤/١ ، ١٨٥ .

وقد ألفت في اللهجات بعض الكتب الخاصة التي تحددها وتبين بعض ألفاظها ، وكانت تسمى كتب (اللغات) وهي كثير منها كتاب (اللغات) للأصمعي ، وكتاب (اللغات) لأبي زيد الأنصاري وكتاب (اللغات) للفراء وكتاب (اللغات) لابن دريد وغيرها مما لم يصلنا ومما وصلنا منها كتاب (اللغات في القرآن) لاسماعيل بن عمر المقرئ^(٦) ، وكتاب (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلام^(٧) ، ويتصل هذان الكتابان بالنواحي الدلالية أكثر من غيرها ، ففيهما كثير من اللهجات المنسوبة لقريش وتهيم وهذيل وقيس وغطفان وثقيف وحمير والأزد وطى وهمدان وخزاعة وحضرموت وختعم ومذحج وسبأ الى غير ذلك ، وفي القرآن بعض الألفاظ غير العربية فارسية ورومية ونبطية وسامية * الخ كذلك كتب التفسير وعلوم القرآن تحوى كثيرا من اللهجات^(٨) .

والى جانب ذلك المعاجم اللغوية فهي تشتمل على ثروة عظيمة من لهجات العرب كالجمهرة لابن دريد والتعذيب للأزهري ولسان العرب لابن منظور الذى جمع مواد اللغة العربية التى تبلغ ثمانين ألف مادة ، كذلك كتب النوادر كنوادر أبي زيد فيها بعض الجوانب اللهجية وكتب النحو كذلك وان كانت لا تهتم كثيرا باللهجات لأنها (تتناول اللغة بالتقنين والتنظيم ولو أعطى النحاة اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التى تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية)^(٩) ، وفى كتاب سيبويه اشارات واضحة الى هذه اللهجات

(٦) حققه ونشره د. صلاح الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦ م .

(٧) طبع مع تفسير الجلالين دار القلم ١٩٦٦ . ونقل عنه السيوطى في النوع السابع والثلاثين بالانتقان ١٧٥/١ وما بعدها .

(٨) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشى والانتقان للسيوطى وغيرهما .

(٩) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٥٧ ، ٥٨ .

كأن يقول « قوم من العرب يقولون »^(١٠) أو ناس من العرب^(١١) أو بعض العرب الموثوق بهم^(١٢) الى غير ذلك ، وسيبويه يصف اللهجة أحيانا بأنها جيدة^(١٣) وأحيانا أخرى بأنها رديئة^(١٤) أو رديئة جدا أو ضعيفة أو قليلة خبيثة^(١٥) .

وقد اهتم النحاة المتأخرون باللهجات اهتماما كبيرا كابن مالك والرضى والسيوطى « ولابد لنا من التنبيه على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الاسلام وأشياء أصابوها فى أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك »^(١٦) .

وفى القرن الرابع بدت نظرية ابن جنى فى العناية باللهجات ، وعدها حجة اذا كانت موافقة للقياس أو مخالفة له ، فما وافقه قيس عليه ، وما لم يوافقه حفظ ولم يقس عليه ، وقد وضع تفصيل ذلك فى « باب فى اختلاف اللغات وكلها حجة »^(١٧) وهو يعنى بذلك جواز استعمال اللهجات جميعا .

وقد وضع ابن جنى فى هذا الباب قواعد لقبول اللهجة أو ردها .

١ — فنقبل اللهجتان أو اللهجات اذا كانت على قدر واحد من

-
- (١٠) الكتاب ١٦٤/١ .
(١١) المصدر السابق ٢٥٤/١ .
(١٢) المصدر السابق ٣٢٤/١ .
(١٣) المصدر السابق بتحقيق الأستاذ هارون ٨٢/١ ، ٢٠٥ ، ٤٠٧/٢ .
(١٤) المصدر السابق ط بولاق ٢٩٤/٢ .
(١٥) المصدر السابق ٣٥٨/٢ .
(١٦) تاريخ آداب العرب ١٢٠/١ ، ١٢١ .
(١٧) الخصائص ١٠/٢ والمزهر ٢٥٧/١ .

الاستعمال والقياس وهذا معنى قوله بقبول اللهجتين اذا كانتا فى
الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين •

وطبق ذلك على لغتى الحجازيين والتميميين فى (ما) فلفة
التميميين فى ترك اعمالها يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى اعمالها
— كذلك — يقبلها القياس لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس
يؤخذ به ، ويخلد الى مثله (١٨) •

لكن لك أن ترجح احدهما على الأخرى اذا كانت أقوى قياسا
أو أكثر استعمالا فقال : لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير احدهما
فنتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد
أنسابها » •

ويصرح فى موضع آخر بأن التميمية أقوى قياسا من حيث كانت
عندهم كهل (١٩) •

ومع ذلك يفضل ابن جنى الأكثر استعمالا فى القرآن يقول :
(الا أنك اذا استعملت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر
استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل) •

(١٨) قياسا عند بنى تميم أنها حرف مشترك بين الأسماء والأفعال
ومن حق الحرف المشترك أن يكون ميملا فهى كهل ، قال سيبيويه : (وأما
بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهى القياس لأنها ليست بفعل وليس
ما كليس ولا يكون فيها اضممار) • الكتاب ٢٨/١ •

وقياسها عند الحجازيين شبهها بليس فى ثلاثة أمور : الدلالة على
النفى فى الحال ، ودخول كل منهما على المبتدأ والخبر ، واقتران الخبر
بعد كل منهما بالباء مثل : ليس الله بكاف عبده ، — ما انت بنعمة ربك
بمجنون •

(١٩) الخصائص ١٢٥/١ •

وليس معنى ذلك أنه يناقض نفسه لأنه جعل القضية دائرة على أساس الاختيار بين قوة القياس وكثرة الاستعمال وهو يفضل ما كثر استعماله على ما قوى قياسه .

أما ما تساويا فيه قياسا واستعمالا فأنت بالخيار فيه ، ومع ذلك وردت اللهجة التميمية فى بعض القراءات كما فى قراءة (ما هذا بشر) و (ما هن أمهاتهم) — بالرفع — ولذا قدم فى كلامه الاستعمال على القياس .

٢ — اذا كانت احدى اللهجتين أكثر استعمالا ، وأقوى قياسا من الأخرى فالمختار الأكثر استعمالا الأقوى قياسا ، قال : فأما أن تقل احدهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا فانك تأخذ بأوسعهما رواية . وأقواهما قياسا ، ألا تراك لا تقول : مررت بك — بفتح الباء — ولا المال لك — بكسر اللام — قياسا على قول قضاة : المال له — بكسر اللام — ومررت به — بفتح الباء — ولا تقول : أكرمتكش قياسا على لغة من قال : مررت بكش وعجبت منكش (٢٠) .

والأساس هو كثرة الاستعمال — على ما يبدو — وان اعتمد معه قوة القياس — ليزيد الأمر وضوحا — فالقياس على قول قضاة قياس لا يعضده كثرة الاستعمال ، مع أن كسر اللام يمكن أن يكون له وجه من القياس على المفرد الظاهر مثل (له) و (لزيد) والكثكشة ربما كانت موضحة للمؤنث وفارقة بينه وبين الذكر قياسا حال الوقف .

٣ — جواز استعمال اللهجة القليلة الاستعمال ، الضعيفة فى القياس فى الشعر والسجع ، وهو فى نظر ابن جنى مقبول عند الاحتياج

اليه وغير منعى عليه فهو فى ذلك جرى على لهجات العرب وسننها ،
فلو استعملها انسان لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا
لأجود اللغتين ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير
مخطى .

والجودة تأتى بكثرة الاستعمال ، وقوة القياس ، وهذا فيما
وضع فى عصور الاحتجاج ، أما كلام المولدين فلا يحتج به (٢١) .

وهذا هو الأزهرى ينقل الروايات المتعددة عن قول العرب :
ماء ملح ومالح وأن المسموع كثيرا هو ملح لا مالح الذى لم يجيء
الا فى بيت العزاز :

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

ونقل عن يونس أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول (مأوها
مالح) وأنه يقال : سمك مالح وأحسن منه سمك مليح ثم قال
الأزهرى :

هذا وإن وجد فى كلام العرب قليلا فهمى لغة لا تنكر (٢٢) .

وهذا مما أعطى اللهجات أهمية لغوية يمكن أن يفاد منها فى اللغة
والقراءات ويبعد بها عن الذم والتجريح ، وكانت منطلقا لرد نقد
النحاة لبعض القراءات وادعاء مخالفتها للفصاحة (٢٣) .

ولكننا لو ألقينا نظرات فاحصة على دراسة ابن جنى للهجات

(٢١) المصدر السابق ١٢/٢ .

(٢٢) التهذيب ٩٨/٥ ، ٩٩ .

(٢٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات .

وهو من هو فى اللغة والنحو لوجدناه يسلك الطريق السديد فى معرفة اللهجات واحتجابه بها ولها فلم يكن نحويًا عاديًا يجمع ثم يكتب بطريقة تقليدية بل اعتمد على مصادر موثوق بها فى الوصول الى هدفه وهى مشافهة الأعراب (٢٤) .

وقد لاحظ الدكتور الراجحي ذلك صفة واضحة عند ابن جنى فقرر « أن أبا الفتح يدرك ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة فى استقاء اللغة ، هذا المصدر الذى يعتمد عليه دارسو اللهجة فى المقام الأول والذى يسمونه the informer و فرّق بين المشافهة لصاحب اللهجة وبين روايتها بطريق السماع عنه (٢٥) » وقد نقل قوله فى ذلك :

« فليت شعري اذا شاهد أبو عمرو وابن أبي اسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيديويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر الى قصود العرب وغوامض ما فى أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه اشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير متهم الرأى والنحيظة والعقل (٢٦) فلا غرو — اذا — أن يكون للهجات نصيب كبير فيما وصلنا له من آثار علمية .

وكان ظهور اللهجات فى كتب ابن جنى ثمرة من ثمرات فكره وعلمه العزيز فقد درس اللغة وأبرز سماتها الخاصة وملامح جمالها

(٢٤) انظر ص ٢٩٤ من رسالتنا للدكتوراه عن (ابن جنى اللغوى) .

(٢٥) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٦١ .

(٢٦) الخصائص ٢٤٨/١ .

وحيويتها وتوليدها واتساعها بمظاهرها المتعددة من الأصوات والاشتقاق والقياس والدلالة بما تشمله من معان متطورة ومتقابلة أو متلاقية وكل ذلك له صلة باللهجات التى هى المصدر الوثيق لكل ما وضع من مبادئ وما أرسى من دعائم وقد حرص دائما على بيان هذه الصلة فى دراسته لها ، والباحث يرى فى كتبه لهجات للقبائل الآتية : قيس — بنى سليم — هذيل — عقيل — الحجاز وتميم — الأنصار — أزد السراة — بنى كلاب — بنى أسد — ربيعة — هذيل ، وهذه اللهجات لها ما يسوغها من البيئة التى نشأ بها أصحابها فهناك بيئة البادية وبيئة الحاضرة ولكل منهما آثار على أهلها جسميا واجتماعيا وفكريا كما أن لها أثرا ملحوظا فى كلامها واتجاهاتها الصوتية والمعنوية ولا ريب أن عالمنا ابن جنى قد أورد هذه اللهجات ليوضح خصائص العربية وسماتها المميزة أو ليحتج بها لقراءة وصفت بالشذوذ عند غيره .

وقد أبرزت كتب لغوية متعددة ألوانا ومظاهرا من اللهجات العربية ككتاب فقه اللغة لابن فارس وفقه اللغة للشعالبي والأمالى للقسالى ، وأدب الكاتب لابن قتيبة وشرح الفصيح للبطليلوسى ولابن درستويه ولابن خالويه ومعجمات اللغة وغيرها .

وكان أصحاب هذه المؤلفات يعبرون عنها (باللغات) ولم يظهر مصطلح اللهجات واضحا الا فى العصر الحديث الذى برزت فيه دراسة اللهجات واعتنى بها كثيرا وظهرت فيها البحوث العلمية الجادة .

وقد وردت إلينا بعض الشواهد القليلة من الأبيات الشعرية وبعض الآثار الأدبية الأخرى التى تحمل طابع اللهجات المنزوية المقهورة ، ويتمثل ذلك فى بعض ما ورد من الآثار التى صحت روايتها فى العصر الجاهلى والاسلامى أو ما سمعه الرواة من أفواه العرب المعاصرين لهم فى البدو والحضر .

ولم يكن هم رواة اللغة حصر أنواع اللهجات وجمع كل نصوصها
وشواهدا والعناية بحفظها من عوادي الزمن لتؤكد الجوانب اللغوية
المتنوعة بين القبائل وتجعل لها تاريخا يوضح آثارها وعلامتها
وصفاتها وما عرض لها من تغير مع مرور الزمن على لسان القبائل
الناطق بها وما بينها من صلات القرب أو البعد ♦

ولو أنهم فعلوا ذلك لأفادوا العربية افادة كبيرة لتفسير أمورها
والغامض من أسرارها ♦

مظاهر اختلاف اللهجات

ان الناظر فيما وصل اليها من آثار هذه اللهجات يجدها تتنوع بين ما يتصل بالجانب الصوتي وما يتصل بالجانب الدلالي .

فما يتصل بالجانب الصوتي يتجلى فى الاختلافات التى تبدو فى تغير بعض الحروف والحركات من قبيلة الى أخرى أحيانا ، وهذا ما يطلق عليه اللغويون اسم (الابدال)^(١) وعلى ذلك تختلف بنيتها وصيغتها ، كما يمكن أن تختلف الحركات الاعرابية وغيرها من وجوه النحو بين القبائل ، ويمكن أن يتقدم حرف على آخر فيما يسمى ظاهرة (القلب المكانى) ، وقد يلاحظ الاختلاف بين القبائل فى حذف بعض الحركات أو الحروف أو زيادتها ، وهذا كله يتعلق بالجانب الصوتي .

أما ما يتصل بالجانب الدلالي فيبدو فى اختلاف القبائل العربية فى معانى الألفاظ وتنوع دلالتها وقد نشأ عن تنوع الدلالة ظهور المشترك والمتضاد والمترادف فى ألفاظ العربية .

ومن ذلك ما روى أن أبا هريرة — وهو دوسى —^(٢) قال له النبى ﷺ يوما : ناولنى السكين — وكانت قد وقعت من يده — فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد بلفظ السكين ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، فلم يفهم ، ثم قال أبو هريرة : ألمدينة تريد ؟ فقليل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم سكيناً ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها الا يومئذ .

(١) سنتحدث — ان شاء الله — عنه تفصيلا بعد قليل وننتحدث ايضا عن أهم المظاهر الأخرى .

(٢) دوسى بطن من الأزد .

وقد ينفرد عربى ببعض ما تقدم دون أن نعرف القبيلة التى يسمع منها ذلك بأن تجمع العرب على نطق معين أو معنى خاص ، ثم يسمع من أحدهم ما يخالف ذلك مما لم يسمع من غيره .

وقد ذكر ابن جنى بعض ذلك فى خصائصه فى أبواب منها : (باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور) (٣) و (باب فى الشيء يسمع من العربى المفصيح لا يسمع من غيره) (٤) ، وقد ذكر ابن جنى تفسير هذا الوارد بأنه إذا كان العربى فصيحاً فى غير ذلك وكان ما جاء به مما يقبله القياس إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به . وألا يحمل على فساده ويمكن أن يكون ذلك قد وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدا ، وعفا رسمها ، وتأبدت معالمها (٥) .

وأما أن يكون شيئاً ارتجله كابن أحمر الذى ثبتت الشهادة بفصاحته ، والأعرابى إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف . وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به ، وقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، فيحمل الأمر على ما يبدو وإن كان يحتمل غير ذلك ، فمن شهرت فصاحته يقبل منه ما يورده ، ويحمل أمره على ما عرف من حاله ، لا على ما عسى أن يكون من غيره ، وذلك كقبول القاضى شهادة من ظهرت عدالته ، وإن كان يجوز أن يكون الأمر عند الله بخلاف ما شهد به ، فالقاضى مأمور بحمل الأمور على ما تبدو لا على العمل بما عند الله لأنه لم يقع له به العلم (٦) .

(٣) الخصائص ٣٨٥/١ — ٣٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢١/٢ — ٢٨ وانظر ما نقله السيوطى فى

المزهر ٢٥٥/١ .

(٥) المصدر السابق ٣٨٦/١ .

(٦) المصدر السابق ٢٣/٢ — ٢٧ .

أما إذا كان ما سمع منه يخالف القياس كرفع المفعول ، وجر الفاعل ، ورفع المضاف إليه ، فينبغي أن يرد ذلك لأنه جاء مخالفاً للقياس والنسماع جميعاً •

وإذا كان العربي الذي سمع منه ذلك مضعوفاً في قوله مألوفاً منه لحنه وفساد كلامه فالصواب أن يرد ذلك عليه ولا يقبل منه^(٧) •

وإذا سمع ما هو ضعيف في القياس من عدد كثير فالحتمل أحد أمور :

١ — أن يكون من نطق به لم يحكم قياسه على لغة آبائهم •

٢ — أن يكون السامع قصر في استدراك وجه الصحة •

٣ — أن يكون هذا الضعيف الوجه قد تسرب الى لسان هذا الفصيح من لغة غير فصيحة فاسدة الأصل ترددت على سمعه كثيراً فسرت في كلامه ، مع صحة لغته في غيرها ، فكأنه جمع بين لغتين ، الأولى فصيحة هي لغته ، والأخرى فاسدة انتقل لسانه اليها في هذا الأمر الفاسد فقد يتوهم من يسمع فصاحته أن يقبل منه الفاسد ويدخل عليه ظناً أنه فصيح كلغته السائدة •

وهذا جائز إذا سلمنا بأن العربي ينتقل لسانه ، وقد ينتقل الى لغة فصيحة أحياناً ، وإلى لغة فاسدة أحياناً أخرى •

ويستبعد ابن جنى الاحتمال الثالث باعتبار أن العربي الفصيح ينفر من الخطأ في اللغة ، فلا يطاوعه لسانه عليه (فالفصيح إذا عدل به عن لغة فصيحة الى أخرى سقيمة عافها ، وله يبيهاً بها) وقد جرب ذلك ابن جنى بأن سأل أبا عبد الله الشجري — وهو أعرابي فصيح — ومعه ابن عم له دونه في الفصاحة يسمى غصنا ،

(٧) المصدر السابق ٣٨٧/١ ، ٣٩١ •

فقار لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حمراء ، قال لهما : فسوداء ؟ قالا : سوידاء ، ووالى ابن جنى من ذلك أحرفا أخرى ، وهما يجيئان بالصواب قال ابن جنى : فـدست فى ذلك (علباء) فقال غصن — الضعيف فى الفصاحة — : (علياء) ، وتبعه الشجرى ، فلما هم بفتح الياء تراجع كالمذعور ، ثم قال : آه : عليى ، ورام الضمة فى الياء •

ودلل ابن جنى بذلك على أن العرب — ولا سيما أهل الجفاء وقوة الفصاحة — يستتكرون خلاف اللغة استتكارهم زيغ الاعراب ، ويتنبهون الى زيغ الاعراب أكثر من خلاف اللغة لاعتمادهم على سماع لهجات كثيرة غير ما ينطقون به من السنة اخوانهم المجاورين لهم أو البعيدين عنهم^(٨) •

(٨) الخصائص ٢٥/٢ ، ٢٦ •

الفصل الأول

الابدال وأثره في اللهجات

تأريثه : في اللغة مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه (١) والأصل فيه : جعل شيء مكان شيء آخر (٢) .

وفي الاصطلاح : جعل حرف مكان آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة (٣) . وينظر إليه اللغويون على أنه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى .

والابدال نوعان :

١ - مطرد عند جميع العرب وهذا إذا استوفى شرطه وجب

(١) شرح التصريح ٣٦٦/٢ ولسان العرب ٥٠/١٣ ، ٥١ .

(٢) اللسان ٥٠/١٣ .

(٣) في كتب التصريف تفريق بين الابدال والتعويض والقلب وبيان للنسبة بينها فهي تعرف الابدال بأنه : جعل حرف مكان آخر مطلقا والتعويض بأنه جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض في غير مكان المعوض عنه مثل عدة وابن أو في مكانه نحو اصطبر ومخيرج في تفسير مستخرج ، فكل ابدال تعويض ولا عكس ، والقلب هو : جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها مثل قام وقائم فكل قلب ابدال ولا عكس ، وقد خرج التعويض عن تعريف الابدال بقيد المكان . وخرج القلب بقيد الاطلاق اذ هو يختص بكون المبدل في مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة ، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين . انظر الأشموني مع الصبان ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ ، والتصريح ٣٦٦/٢ والخصائص ٢٦٥/١ ، ٢٦٦ والأشباه والنظائر ١٢٣/١ - ١٢٥ ومقدمة الابدال لأبي الطيب اللغوي ٩/١ .

تنفيذه وهو الخاص بحروف (هدأت موطيا) وقد تكفل علم الصرف بدراسته .

٢ — الابدال غير المطرد ، وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث اذا لم ينفذ عد مخالفه مرتكبا سبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ولكن يتنوع بين القبائل^(٤) فقبيلة تقول أن وأخرى عن وهذا هو الذى تتنوع عن طريقه اللهجات العربية ويمكن الانتفاع به فى دراستها كما يمكن الربط بين الألفاظ المتشابهة فى اللغات السامية^(٥) فالعربية والسريانية والعبرية وغيرها من أخواتها ترجع الى لغة واحدة هى السامية الأم الا أنها اختلفت لاختلاف البيئات والأحوال وأحيانا يكون هذا الابدال قياسيا ، فالتاء فى العربية تقابلها الشين فى العبرية والتاء فى السريانية فـ (يثب) العربية يقابلها (Yashav) العبرية و (Yateb) السريانية وأمثلة هذا التبادل كثيرة فى الأخوات الساميات^(٦) .

كما يمكن الربط عن طريق الابدال بين اللغات الانسانية بعضها وبعض بكشف أوجه التشابه والاختلاف فى الأصوات كما فى (Cable) الانجليزية و (كبل) و (حبل) فى العربية ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة الى أخرى وهذا يكشف عن تفرع اللغات الانسانية من أصل واحد ويمكن اجراء مثل هذا النوع من البحوث الابدالية بين العربية واللغات الأخرى وتحديد الأصل فى هذه اللغات والمنقول .
وهى عملية مطروحة للبحث والدراسة لكنها تحتاج الى حيدة علمية ودلائل موضوعية لاثبات الأصالة والفرعية فى اللغات ولعلنا نستطيع

(٤) فقه اللغة د. نجا ص ٢٦ ، ٢٧ واللهجات العربية ص ٥٥ .

(٥) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك ص ٥٠ .

(٦) الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان ص ٣٦ ، ٣٧ وفيه امثلة للابدال فى العبرية والآشورية .

— ان شاء الله — أن نقوم بنوع من هذه البحوث في دراسة مقارنة بين العربية وغيرها لنضع الحقيقة الناصعة أمام العيون بسبق العربية لسواها من اللغات الأخرى وإثبات قدمها الراسخة في وضع الألفاظ والدلالات اللغوية .

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مثار البحث بين علماء اللغة .

آراء العلماء في الابدال

لما كانت ظاهرة الابدال تمثل قدرا كبيرا في تفسير ما قيل انه من اللهجات العربية أرى من الضرورة العلمية ذكر آراء العلماء في قضية الابدال ، وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض أو ما نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات ، وأسباب هذا الحكم أو ذاك .

وقد أولى ابن جنى هذه الظاهرة عناية فائقة في بعض كتبه ، ونسب اليه رأى أصبح شائعا في أوساط اللغويين ممثلا للرأى القديم عند علماء اللغة العرب ، ولذا كان علينا أن نورد رأيه مدعما بأدلته ، ونبين من تابعه عليه من القدامى والمحدثين ، ثم نذكر علاجا حديثا لهذه المشكلة اللغوية ليتضح تفرع الألفاظ العربية المختلفة في بعض الحروف وطرق نشأتها ، هل حدثت بطريق الابدال والتطور الصوتى أو المعنوى أو نشأت عن لهجات متعددة لا صلة لاحداها بالأخرى ، وبهذا نكشف نوع الصلة بين بعضها وبعض . ونضع أساسا صالحا للتفسير اللغوى الذى نرتضيه فيما حدث من اختلاف لفظى أو معنوى بين القبائل فيما يمكن تفسيره على أنه من الابدال أو اختلاف اللهجات .

رأى ابن جنى :

ان ابن جنى قد عرض للأبدال كظاهرة لغوية لها أهميتها فخصص لها قدرا كبيرا من مؤلفاته — كما ذكرنا — ويكفيها دلالة على هذا الاهتمام قوله في اعترامه أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في القلب والابدال « ونحن نعتقد ان أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت في القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه

أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس
أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس (٧) .

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر الى كل كلمتين اتحدتا فى
جميع الحروف الا حرفا واحدا واتحدتا فى المعنى على أنهما تارة
يكونان من الابدال والآخرى من اختلاف اللغات (اللهجات) وقد
وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الابدال ومتى
تكونان من اختلاف اللهجات ؟

« فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليين كل واحد منهما
قائم برأسه ثم يسغ العدول عن الحكم بذلك فان دل دال أودعت
ضرورة الى القول بابدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة
وصير الى مقتضى الصنعة (٨) ، وقد تبين من كلامه العديد فى سر
الصناعة والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين اذا تساويا فى
الاستعمال والتصرف « فليست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى
منه بحمله على ضده » وعلى هذا فكل لفظة لغة لقوم بأعيانهم يقول فى
سر الصناعة : عث الطعام — وغلثه والنشوع والنشوع لغات كلها
لاستوائها فى الاطراد والاستعمال (٩) ويقول فى الخصائص « هتلت
السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف يقولون

(٧) الخصائص ٨٨/٢ .

(٨) المصدر السابق ٨٢/٢ .

(٩) المصدر السابق ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ ، عث. وغلث الطعام : خلطه ،
والمادتان مذكورتان فى المعاجم (اللسان ٤٧٤/٢ ، ٤٧٨) ولعل
أحدهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف ، ومادة (نشع) —
بالعين — فى المعاجم دون الفين ، والنشوع هو السعوط والوجور الذى
يوجره المريض أو الصبي والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم ، ويقال :
نشع الطيب : شمه (اللسان ٢٣٢/١) .

هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهل تهتالا وهى سحائب هتن وهتل^(١٠) ويقول فى موضع آخر : « فأما قولهم اناء قربان وكربان اذا دنا أن يمتلىء فينبغى أن يكونا أصليين لأنك تجد لكل واحد منهما متصرفا أى قارب أن يمتلىء وكرب أن يمتلىء^(١١) فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما اذا تساوت الكلمتان فى التصرف والاستعمال وهى أن تكون كل منها لغة (لهجة) ، أما اذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت احدهما أكثر تصرفا أو أدور استعمالا فانهما حينئذ من قبيل الابدال وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هى الأصل^(١٢) والقليلة هى الفرع^(١٣) وهذا يتضح لنا أيضا من كلام ابن جنى نفسه يقول فى الخصائص « رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خمل يخمل خمولا وكذلك قولهم قام زيد فم عمرو الفاء بدل من الشاء فى ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا^(١٤) » ويقول فى سر الصناعة « وأما

(١٠) ٨٢/٢ بتشديد التاء المفتوحة فى هتن وهتل وتتنش اللام والذين فى المخرج وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء وتتنقان فى جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما وقد جزم ابن جنى بأنهما أصلان يعنى أنهما فى لهجتين مختلفتين وليس من الابدال وقد ورد فى كتب اللغة ما يؤيد أنهما لهجتان ونسبت الكلمات التى باللام الى أهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد ، ونسبت الكلمات التى بالنون الى بنى سعد من مضر وبعض كلب (البحر ٣١٨/١ والتعذيب ٣٩٤/١٥ والقلب والابدال ٢٨٧) .

(١١) ٨٦/٢ ولا مانع من التبادل بين القاف والكاف لأنهما من مخرج واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفتقان فى الانفتاح والأصمات والهمس — على رأى المحدثين فى القاف ، ويمكن نسبتهما الى اللهجات أيضا ، ولعل القاف مناسبة للقبائل البدوية لأنها من الأصوات المستعلية والكاف للقبائل الحضرية لاستئصال الكاف ورفقتها .

(١٢) المبدل منه . (١٣) المبدل .

(١٤) ٨٤/٢ ولا مانع من التبادل بينهما لتوافر العلاقة الصوتية فهما شفويان ومتفتقان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والأصمات للشاء ، ويجوز أن تكون كل منهما أصلا دون النظر الى حكم لابن جنى بأصالة الشاء لكثرة التصرف ، ومن الجائز نسبتهما الى اللهجات على أن تكون الفاء للحجاز والشاء لتميم .

قولهم فى الدرع نثرة ونثلة فينبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا فهى الأصل « (١٥) ويقول فى موضع آخر « يقال تركته وقيذا أو وقيظا والوجه عندى والقياس أن تكن الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه والموقوذة بالذال ولقولهم وقوذة يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوطة فالذال اذا أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هى الأصل « (١٦) .

ويمكن بعد هذا أن نقول ان رأى ابن جنى هو : الكلمتان المتحدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان .

١ — من الإبدال : اذا أمكن الحكم بأصالة احدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك — كما نقلنا عنه — اذا كانت احدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبتها ، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا .

٢ — من اختلاف اللهجات : اذا لم يمكن الحكم بأصالة احدى

(١٥) ٢٠٦/١ ومعانى المادتين مقاربة ، فبما تدوران حول التفریق ونقل الشيء من مكان الى غيره ، ونثر معروفة فى التفریق ونثل : منها نثل الركبة أخرج ترابها ، ونثل كنانته : أخرج ما فيها من النبل ، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا ، ومقياس التصرف ليس هو الأساس لمعرفة الأصل فيجوز أن يكون كل من الراء أو اللام أصلا أو أن اللام نشأت لثغة عن الراء أو كل منهما أصل فى لهجتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز (التهذيب ٢/٣٨٢ ، ٨/٩١ ، ١٢/٣٥٥ ، ١٣/١٥٨ ، ٢٥٧) .

(١٦) ٢٣٣/١ والتبادل سائغ بينهما لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والاطباق فى الظاء والاستفال والانفتاح فى الذال ، وحكم ابن جنى بكثرة تصرف الكلمة بالذال غير سديد لكثرة تصرف الكلمة بالظاء أيضا كما ورد فى المعاجم (القاموس ٢/٤٠٠) واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة بدوية تميل الى التخخيم والأصوات المستعلية المطبقة ، وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل الى الترقيق والأصوات المستعلة المنفتحة .

الكلمتين وفرعية الأخرى ، وذلك بأن تتساوى الكلمتان تصرفا واستعمالا ويكون عنده قبائل متعددة .

وهذا الحكم المبني على الشيوع وكثرة التصرف قد تعرض لنقد علماء اللغة فوجهته غير صالحة لأن تكون مقياسا علميا سديدا وقد ناقش هذه الفكرة أستاذنا الدكتور نجا وأثبت عدم صلاحيتها وحدد وجوه الضعف في نقاط نجملها فيما يلي :

١ — مقياس التصرف لا ينبغي أن يعول عليه لجواز الاستغناء عن تصرفات الكلمة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخرى أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل إليها الرواة ويعقب أستاذنا على ذلك بقوله « وعلى هذا فعدم الاشتقاق في الظاهر لا يصح أن يكون مقياسا معولا عليه في الحكم بالفرعية لما سبق » .

٢ — كثرة الاستعمال الذي يعتبره أصحاب هذا الرأي مقياسا للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطرد حتى نتخذه مقياسا لهذا الأمر فالكلمة قد تنتشر في عصر وتهمل في غيره مما يجعل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية ثم يقول معقبا « وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ » (١٧) .

على أننا نلاحظ أن ابن جني نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس في قرارة نفسه وظهر في تطبيقه له بما يؤكد لنا تشككه في صلاحيته : يقول في سر الصناعة : وقالوا خطر بيده يخطر وخطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا أن أحدهما أقل من صاحبه (١٨) ، ويقول في الخصائص « فأما قولهم

(١٧) اللهجات العربية ٥٧ وفقه اللغة ٢٩/٤ .

(١٨) ٢٤٧/١ ، ظاهر أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الخاء والفيين فكلاهما من حروف الحلق من أدنياه وتتفقان في الرخاوة والاستعلاء ، ويبدو أن الاختلاف — هنا — ناشئ عن اختلاف اللهجات ، والفيين للبدو ليلهم إلى الحروف المجهورة والحاء للحضر ليلهم إلى المهنوس وهو المشهور في كتب اللفظة .

ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى الى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة براسها^(١٩) ، ففى النضين السابقين دليلك واضح على عدم اعتداد ابن جنى بهذا المبدأ وتشككه فيه .

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة : « وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا اجدمعوا فى اجتمعوا واجدز فى اجتز ومنه قول الشاعر :

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصوله واجدز شيحا

« وهذا يعطينا صورة صادقة عن ضعفه » على حد تعبير أستاذنا^(٢٠) ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الابدال نجده يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع فلعله قد رجع عن رأيه السابق بعد ما دون نظريته وأجراها تطبيقا على كثير من الألفاظ التى تصدق عليها .

ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقا صحيحا أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربا الخارج ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضا .

ويمكن ادراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته.

(١٩) ٨٤/٢ .

(٢٠) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ٢٠١/١ .

«التقى أشرفتا إليها ومن ذلك قوله « القلب فى الحروف، إنما هو فيما تقتارب منها وذلك الدال والطاء والطاء والذال والطاء والطاء والهاء والمهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجة^(٢١) وقوله فى موضع آخر : وتحو من هذا التقريب فى الصوت قولهم فى سبقت صبقت وفى سقت صقت وفى سلق صلق وفى سويق صويق وذلك أن القاف حرف مستعل والسين غير مستعل إلا أنها أخت الصاد المستعلية فحقروا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد^(٢٢) ، وكثيرا ما عبر ابن جنى فى الأبدال بأن هذا الحرف أخ لهذا الحرف فالراء أخت اللام والياء أخت الميم والزاي أخت الصاد وهكذا^(٢٣) ، وهذا الشرط أساسى لتحقيق الأبدال ولذلك رأيناهم لا يذكر فى كتبه شيئا مما لم يتحقق فيه هذا الشرط هما تباعدت مخارجة مثل خلع وجالع : ذهب حياؤه^(٢٤) والزحائف

(٢١) سر الصناعة ١/١٩٧ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠١ ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا المستلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم ، وتأثير السين بأصوات الإطباق متقلب إليها وتسببت هذه الظاهرة التى قرئش ، ويقول أبو حيان : انه اللغة الجيدة (البحر ١/٢٥) ولعل هذه الظاهرة أن تسبب إلى أهل البادية أجدر فصوص الإطباق فيه من الرضوخ ما يتناسب مع البيئة الصحراوية (اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠) وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم هم بلعنبر أو إلى قوم من اليمن (الجمرة ٢/١٥٤ ، ١٦٣) وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لهجة البدو (الكتاب : باب ما تقلب فيه السين صاداً فى بعض اللهجات ٤/٤٧٩ ، وسر الصناعة ١/٢٢٠) .

(٢٣) الخصائص من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢٤) اللسان ٩/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ والعلاقة الصوتية بعيدة مع الربط بينهما للملاسة ما وربما دخل ذلك التصحيف (من أسرار اللغة ص ٥٢) .

والزحاليق وفى صدره على حسيقة وحسيكة^(٢٥) ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط فى أى مثال من أمثله على هذه الظاهرة اللغوية^(٢٦) ، وربما أضاف إليها مقويا لها اشتراكها فى بعض الصفات كما قال عن ابدال التاء من السين فى النّات وأكيات يريد الناس وأكياس « فأبدلت السين تاء لموافقتها اياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخرج »^(٢٧) ويقول فى موضع آخر : معللا لقلب التاء تاء فى افتعل من الثريد « وانما قلبت تاء لأن التاء أخت التاء فى الهمس فلما تجاورتا فى المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء ، وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا^(٢٨) ويبدو من ذلك أن ابن جنى يقصد بتقارب المخرج اتحادها أو تجاورها .

(٢٥) المزهر ٢٦٨/١ والزحاليق أو الزحاليق آثار تزلج الصبيان من أعلى الى أسفل ، وفى اللسان ٣٩٢/١٠ : الحسيقة والحسيكة : النيط والعداوة والعلاقة متباعدة بين الفاء والكاف ولذا فهما من اللهجات ، فالصوت الشديد للقبائل البدوية والرخو للحجازية .
(٢٦) لم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط بمعنى البعد البعيد كالأمثلة المذكورة والا فانه قال بابدال السين من الشين فى مثل سده وشده وهما متباعدان مخرجا ، ويظهر أن ابن جنى يلاحظ هذا التباعد بين السين والشين فيشك فى الابدال بينهما ، ولذلك لم يصرح فى باب السين بأنها تبدل من غيرها ، وقال : ينبغى أن تكون السين بدلا منها بأسلوب التضعيف كما ترى ، ولم يلتزم ذلك كثير ممن رووا الفاظ هذه الظاهرة من القدماء كابى الطيب اللغوى انظر كتابه الابدال ج ١ صحائف ٢٠٥ — ٢٥٢ ومقدمة محققه ص ١٠ ، ١١ .

(٢٧) سر الصناعة ١٧٢/١ .

(٢٨) المصدر السابق ١٨٩ ، وذلك مثل قولهم : اترد وهو مترد وجاء عكس ذلك بقلب التاء تاء : اترد ومترد واثار واثنى .
ونرى أن ابدالهما أمر مستقيم لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والتاء من طرفه الا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا والحرسان يتفقان فى صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والاصبات والتاء حرف يحتاج الى مجهود عضلى فى نطقه مما دعا الى تسهيله والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع اهل البادية الذين يعملون الى الأصوات

ويتصل بتمام رأى ابن جنى فى هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتى المعنى والاشتقاق والا فإذا كان المعنى مختلفا أو كان الاشتقاق مختلفا ولكنه أدى الى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعتبر هذا من الابدال كما صرح ابن جنى فى مواضع كثيرة فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال « وذهب بعض أهل التفسير فى قوله عز اسمه وفومها الى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء » (٢٩) ، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حثثوا وحثثوا) فى التعليق على قول الشاعر :

كأنما حثثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى ثث وطباق

قال « فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما الى أختها وينقل عن أبى على أستاذة قوله : وانما حثث أصل رباعى وحثث أصل ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه الا أن حثث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا

الشديدة ، على حين يميل الحضر الى الأصوات الرخوة (فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٠ — ١٠٧) وربما وقع التصحيف بينهما مثل فى لسانه رثة والصواب بالتاء ولث السويق والصواب بالتاء ، ويحى ابن أكرم وهى بالثاء (ثيف اللسان ٨) — ٥٣ باب التصحيف الى ص ٧٣) .

(٢٩) المصدر السابق ٢٥٢/١ ، ولا مانع — كما ذكرنا — من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للتقارب فى الخارج والاتفاق فى بعض الصفات ، ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الابدال كما ذهب اليه ابن جنى ووجد فى معاجم اللغة نفيها : الثوم : الزرع أو الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم : الفوم الحصى لغة شامية والفوم الخبز أيضا يقال : فوموا لنا أى اختبروا وينقل ابن منظور عن الفراء أن الفوم لغة قديمة وهى الحنطة والخبز معا . (اللسان ١٥/٣٥٧) .

بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما ، ثم يقول : وهذا هو حقيقة مذهبنا — وإذا قامت الدلالة على أن حثث ليس من لفظ حثث فالقول فى هذا وفى جميع ما جاء منه واحد وذلك نحو تململ وتملك ورقرق ورقق وصرصر وصرر^(٣٠) .

موقف العلماء من هذا الرأى :

ونحن اذا استعرضنا آراء العلماء من قدامى ومحدثين فى حل هذه المشكلة اللغوية فأننا نجد من سار على درب ابن جنى كما نجد فى الوقت نفسه من خالفه وربما كانت الموافقة له أو المخالفة فى جانب من الموضوع وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة فقد وافق ابن جنى فى رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيدة وابن يعيش^(٣١) وان كان يبدو لنا من حديث ابن سيدة عن الابدال نوع من عدم الدقة ، ومما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيدة : وأذكر الآن شيئاً من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) واما لافتراق القبيلتين فى لغتين فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعله فلا حاجة الى ذكره فى هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف^(٣٢) ويشترط ابن سيدة توافر التقارب بين الحروف حتى يصح الابدال فهو يقول : فأما ما لم يتقارب مخرجاً ألبتة فقليل على حرفين غير مقاربين فلا يسمى بدلاً^(٣٣) .

(٣٠) المصدر السابق ١٩٧/١ ، ١٩٨ ، واضح أن ابن جنى لم يتل بالابدال لبعده الخارج وان اتفقت اللثاء والحاء فى الصنات ، وهى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والاصمات ونحن مع ابن جنى فيما ذهب اليه إذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالابدال ولابد كذلك أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقاً .

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ٢٧/٤ .

(٣٢) المخصص ١٩/١٤ .

(٣٣) المصدر السابق ٢٧٤/١٣ .

وابن سيدة كابن جنى يرى أنه لابد من اتحاد المعنى فى اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الأبدال ولا بد أن يكون المعنى حقيقيا لا تجوز فيه فبعض العرب يقول جمس الودك وجمد الماء ولا يقال جمس الماء ولا جمد الودك وكان الأصمعى يخطئ ذا الرمة فى قوله :

ونقرى سديف الشحم والماء جامس^(٣٤)

وعلى هذا فاذا قال بعضهم جمس الودك وجمد فليس هذا بدلا اذ مع تباعد مخرج السين والبدال فى اللفظين لا يمكن الجمع بين معنييهما الا على ضرب من المجاز^(٣٥) ، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضحة عنده ولهذا رأيناه يعقد فى الفصل الواحد أبوابا مختلفة فمنه البدل ومنه ما يجرى مجرى البدل وباب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه وباب ما يجيء مقولا بحرفين وليس بدلا وباب المحول من المضاعف^(٣٦) وابن يعيش ينقل فى شرح المفصل كلام ابن جنى وأمثله وينبه على تقارب المخرج والمصنفات بين المتبادلين ويحكم بالأصالة والفرعية تبعا لكثرة التصرف والاستعمال حسب ما عرفناه عن ابن جنى^(٣٧) ومن ذلك ما قاله فى ابدال الطاء من التاء فى نحو اصطبر وفحصت برجلى قال : فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج

(٣٤) السديف : السنام المقطع وقيل شحمه . الودك : الدسم وجمس وجمد بمعنى واحد وقيل الجموس للودك والجهود للماء والجامس من النبات ما ذهب غرضته ورطوبته فولى وجسا . اللسان ٣٤١/٧ ، ٣٤٢ ، ٤٧/١١ ، ٤٨ ، ٤٠٠/١٢ ، ٤٠١ .

(٣٥) المخصص ٢٨٧/١٣ .

(٣٦) المصدر السابق ٢٦٧/١٣ — ٢٩٠ .

(٣٧) انظر شرح المفصل ٧/١٠ وما بعدها .

واحد^(٣٨) وقال عن ابدال الهاء من الهمزة انهم « أبدلوا منها ابدالاً صالحاً على سبيل التخفيف اذ الهمزة حرف شديد مستقل والهاء حرف مهموس خفيف فمخرجاهما متقاربان الا أن الهمزة أدخل منها في الحلق قالوا هزقت الماء أى أرقته ... الخ^(٣٩) وقال « قالوا ما زلت راتماً على هذا الأمر أى راتباً حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء فاليم بدل من الباء لكثرة الباء وتصرفها الا تراك تقول رتب يرتب فهو راتب أى ثابت ولا تقول رتم يرتم فى هذا المعنى فكانت الباء هى الأصل وقالوا رأيت من كثم وكثب أى من قرب حكى ذلك يعقوب فالباء ينبغى أن تكون أصلاً واليم بدلاً منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال قد أكتب لك الأمر ورماء من كثب أى من قرب^(٤٠) .

(٣٨) المصدر السابق ٤٦ ، ٤٧ . للتاء والطاء والذال علاقة صوتية تسوغ التبادل بينها فالخرج واحد وقد يقتضى تجاور التاء مع حروف الاطباق ابدال التاء طاء لمناسبتها فى الاستعلاء والاطباق مع أنها اخت التاء فى المخرج ونحصر — بالطاء — تنسب الى تميم الذين يفضلون الصوت المستعلى المطبق ، فى حين تنسب التاء الى الحجازيين الذين يفضلون الصوت المستقل المهموس .

(٣٩) المصدر السابق ٤٢ ، لا مانع من حدوث التبادل بين الهمزة والهاء لتداني المخرج فهما من حروف الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والاصمات ويمكن أن تكون بعض العرب نطقت باحدهما والآخرين بالثانية ونسبت بعض الكلمات بالهاء الى طيء (اللهجات العربية ٦٥ ، ٦٦) .

(٤٠) المصدر السابق ٣٥/١٠ ، وانظر سر الصناعة (مخطوطة الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٨١ فقد نقل كلام ابن جنى مع تغيير قليل ، والراى الذى قاله ابن يعيش هو راى ابن جنى وهو اجازة ابدال بين الباء والميم والباء هى الأصل لكثرة تصرفها فى المثالين ، واجاز ابن جنى كون كل منهما أصلاً مستقلاً عن الآخر قال : (ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلاً غير بدل) لتصرفات أخرى ذكرها هناك ، والباحث فى المعاجم يرى لكل من (رتب ورتم) معانى خاصة بها مع اتفاقهما فى الدلالة على معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازاً ، وكذلك (اكثب واكثم) تشتركان فى معنى القرب الذى يجمع بينهما وليست الباء أكثر تصرفاً من الميم كما ذكر ابن جنى ، وعلى هذا يجوز أن تكون كل من الباء والميم بدلاً من الأخرى أو أن كلا منهما مستقل عن الآخر خاص بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق .

وكثير من المحدثين لم يزدوا على ما قاله ابن جنى شيئا وان اختلفوا معه عرضا وأسلوبا فيرى بعضهم — كما يرى ابن جنى — تقسيم الألفاظ التي تحمل اسم هذه الظاهرة قسمين :

١. — فبعضها من الأبدال : اذا كانت هناك علاقة صوتية .

٢. — وبعضها من غيره اذا لم توجد هذه العلاقة « وأغلب الظن حينئذ أن الصورتين تنتميان الى منبعين مختلفين وأن كلا منهما أصيل فى ذاته وليس مثل هذه الكلمات الا مثل كل المترادفات (٤١) . »

يقول الدكتور أنيس « حين نستعرض تلك الكلمات التى فسرت على أنها من الأبدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر لا نشك لحظة فى أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتى أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير أنه فى كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه (٤١) والعلاقة الصوتية التى أرادها الدكتور أنيس هى القرب فى المخرج أو الصفة اذ انه « شرط أساسى فى كل تطور صوتى (٤٢) » ، ويقول الدكتور الصالح عقب نقله رأى الدكتور أنيس السابق « ورأى المحدثين — على جرائته — أسلم اتجاهها وأصح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا الى اكثار العرب من الأبدال كأنه سنة أو عادة وكان النطقين المختلفين عندهم متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر وكأنهم يعتمدون هذا الأبدال اعجاباً به وتفنناً فيه (٤٣) » ، ولكن الدكتور الصالح يعتمد فى العلاقة الصوتية

(٤١) من اسرار اللغة ط ٣ ص ٥٩ .

(٤٢) المصدر السابق ط ٣ ص ٥٩ .

(٤٣) دراسات فى فقه اللغة ٢٣٩ .

المخرج لا الصفة فهو يقول « فقد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخرج أما اختلاف الصفة فليس بذى بال لأن المول فى معرفة نوع الصوت ودرجة ايقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيفية التى تم بها انطلاق هذا الصوت. فالدال والتاء حرفان نطعيان كلاهما يخرج من سقف غار الحنك الأعلى المسمى بـ « النطع » فهما اذا متجانسان وعلى هذا المول فلا خير بعد هذا أن توصف الطاء بالاطباق والاستعلاء وهما صفتان تويتان على حين توصف الدال بالصفتين المصادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال^(٤٤) وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الابدال ابدالاً حقا الا اذا كان بين البديل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة)^(٤٥) .

وقد قسم الدكتور أنيس الكلمات التى توجد بينها علاقة صوتية أقساما ثلاثة :

١ — كلمات روى كل منها بنطقين ونسب كل نطق الى بيئة معينة : فمتى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك وبحسنا عن سر التطور الصوتي^(٤٦) وان لم يمكن « نستعين بالقوانين الصوتية وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيها هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحا لا مؤكدا »^(٤٧) .

٢ — كلمات روى لكل منها نطقان ونسب أحد النطقين لبيئة معينة ولم ينسب النطق الآخر : نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منها على كثرة التصرف والاستعمال وورود النص القديم مشتملا على

(٤٤) المصدر السابق ٢٤٥ .

(٤٥) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٧٣ .

(٤٦) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٥ .

(٤٧) المصدر السابق ص ٦١ .

الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصلة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصلة عن طريق الشيوخ مرجحة رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع عن هذا الا اذا أبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار^(٤٨) .

٣ — كلمات روت المعاجم لكل منها نطقين متساويين في الفصاحة والشيوخ ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة : اذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك والا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلا لصاحبه « فاذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل .. أما حين يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته^(٤٩) .

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع — بعد تحقق العلاقة الصوتية — مقياسا له جانبان :

١ — معرفة المتقدم في وجوده على الآخر فاذا وجد ما يدل على سبق أحدهما زمنا كان هو الأصل والثاني هو الفرع .

٢ — اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوخه وتصرفه والفرع بضد ذلك .

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئا فقد جعل — مثله — معرفة الأصل من الفرع مرهونة بمرور الدليل الذى يبين أسبقهما^(٥٠) معتمدا على الشيوخ وكثرة التصرف .

وقد تابعه أيضا في اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح فيقول « ومقياسنا فيما ورد بوجهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة

(٤٨) من اسرار اللغة ط ٣ ص ٦٢ .

(٤٩) المصدر السابق ٦٣ .

(٥٠) سر الصناعة ٢٢١/١ .

الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين فما أكثر الأمثلة على كُثْب والأقطار
واللثام وما أقلها في كُثْم والأقطار واللفام^(٥١) .

فهذا كله يؤكد أن الرأي الحديث لا يختلف عن القديم
إلا أسلوبا فقط وهو يروى الحقيقة التالية :

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان :

١ — من الإبدال اذا وجد مسوغه وهو التقارب الصوتي وهذا
عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا أو أحد اللفظين في قبيلة
والآخر في غيرها .

٢ — من اختلاف اللهجات : اذا لم يتحقق هذا التقارب وشأنها
شأن كل المترادفات على أن الحكم الفيصل — كما قرروا — لمعرفة
الأصل من الفرع هو الشيوخ وكثرة التصرف .

واعتقد بعد هذا الإفصاح التام — أن ذلك هو رأى ابن جنى
نفسه مع اختلاف طفيف .

وكان الدكتور أنيسا قد أحس بذلك حين قال معبرا عن رأى
ابن جنى « وأخيرا تعرض ابن جنى في الفصل الرابع الى أن بعض
الكلمات قد تختلف بنيتهما وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين
مكان صاحبه ثم ضرب أمثلة لذلك مثل طبرزن وطبرزل ودهمج ودهنج
وخامل وخامن وبنات مخر وبناب بحر ، ومثل هذه الكلمات يمكن أن
تنتمي الى لهجات متعددة أو الى لهجة واحدة ولكن في جيلين مختلفين
من أبنائها على أن ابن جنى لم يحدثنا في هذا الفصل عن معنى تقارب
الصوتين ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية^(٥٢) .

(٥١) دراسات في فقه اللغة ص ٢٧١ .

(٥٢) في اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٥ .

ونقد الدكتور أنيس لابن جنى بأنه لم يوضح معنى تقارب الصوتين فى الفصل الذى ذكره غير مسلم فقد أوضح أنه هو تقارب المخارج والصفات فى مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيه وتفصيلاته^(٥٣) .

ويرى فريق آخر من العلماء قدامى ومحدثين أن الفاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات .

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوى فقد قال : ليس المراد بالاببدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين والمعنى واحد حتى لا يختلفا الا فى حرف واحد ، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى وكذلك ابدال لام التعريف ميمًا والمهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو أن عن لا تشترك العرب فى شىء من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك آخرون^(٥٤) .

وقد أوضح لنا هذا رأى أسناذنا الدكتور نجبا فى كتابيه اللهجات العربية وفقه اللغة وقال بعد عرضه لرأى أبى الطيب ومناصريه : وهذا الرأى يفهمنا أن الابدال لا يكون الا من قبائل متعددة^(٥٥) .

ويوافق أبا الطيب فى هذا الرأى من القدامى ابن السكيت وأبو محمد البطليوسى وابن خالويه وأبو على القالى : فقد نقل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم الى هذا الرأى وأخذهم به .

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه

(٥٣) انظر ص ١٢٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٥٤) المزهر ١/ ٢٢٢ .

(٥٥) اللهجات العربية ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ص ٢٧ .

وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللهجات يقول فى ابدال الهمزة من العين والأسن قديد اللحم وبعضهم يقول العسن^(٥٦) ويقول بعد ذلك بقليل : وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ولغة نجد ذوى يذوى^(٥٧) وكذلك قوله : الأثافى ولغة بنى تميم الأثائى^(٥٨) ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الابدال) وقال ابن السكيت : حضرني أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما انفحة وقال الآخر منفحة ثم اختلفا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا وهما لغتان^(٥٩) .

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح : ليس الألف

(٥٦) الزهر ٢٢٢/١ وعبارة القاموس الأسن بقية الشحم ، والواقع أن الابدال يكون من الهمزة الى العين كثيرا لأن العين أسهل من الهمزة ، والابدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس ، وإن كانت الشعوب تختلف فى احساسها بالثقل والخفيف من الحروف فالهمزة أخف فى النطق الإنجليزى من العين وعند العربى بالعكس ، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل يا ابد الله — فى عبد الله — فى لهجة مكة وهو قليل (سر الصناعة ١٢١/١) .

(٥٧) المصدر السابق ٢٢٣/١ ، لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل والمسألة ترجع الى اختلاف اللهجات بين الحجاز وتمدن وكان الأصل أن الهمز للتميمين وأحرف العلة للحجازيين واشباه كل من البدو والحضر ولكن النسبة هنا وردت بعكس ذلك وهذا مما يوضح عدم الاطراد فى الظواهر اللغوية (انظر ابدال الهمزة من حروف العلة والعكس فى هذا الكتاب) .

(٥٨) المصدر السابق ٢٢٤/١ ، الأثافى والأثائى : الحجارة التى تنصب ويوضع عليها القدر ، وقد رجح ابن جنى أن تكون الاء بدلا من الفاء لكثرة تصرف الفاء ولو مع بعد الاشتقاق إذ ورد أثفية ولم يرد أثية ، ولكن ذكرت المعاجم تصرفات للكلمتين فيمكن أن تكون أثافى من (ثفا يثفو) تبع أو من (أثف الرجل) تبعه أو من (أثف القدر) وتشترك معها (أثافى) فى ذلك الاشتقاق ، ويمكن أن تكون (أثافى) من (أث يثف ويؤث) إذا كثر والتف وفى هذا المعنى ثبات الشيء فى موضعه ويقال : تأثف الرجل المكان إذا لم يبرحه ، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا ابدال بين الكلمتين ، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالفاء للحجاز والاء لتمدن .

(٥٩) الزهر ٢٢١/١ إذ لا علاقة بين الهمزة والميم فلا ابدال .

فى الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال : قلت لأعرابى أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه فقال لا أقول مثل حلكه^(٦٠) ، وقال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأُم الهيثم كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ قالت من حلك الغراب قلت أفتقولينها من حنك الغراب فالت لا أقولها أبدا^(٦١) وقد ذكر ابن خالويه فى شرح الفصيح ما يقرب من هذا قال : أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما بالسین وقال الآخر بالصاد فتحاكما الى أعرابى ثالث فقال أما أنا فأقول الزقر بالزى قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات^(٦٢) . ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه : يقلل : هرت الثوب وهرده وهرطه ثلاث لغات^(٦٣) .

وقد أيد هذا الرأى من المحدثين فريق من العلماء على رأسهم أستاذنا الدكتور ابراهيم نجا فهو يقول — بعد أن أفصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقشها مناقشة علمية دقيقة « فالحق أحق أن يتبع وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب الى ذلك أبو الطيب اللغوى^(٦٤) ، ومن ذهب الى

(٦٠) المصدر السابق ٢٢٩/١ .

(٦١) المصدر السابق ٢٢٩/١ ، ولا مانع من التبادل بين الزاى والسين والصاد لاتحاد المخرج وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشترك فيما بينها فى الرخاوة والصغير والاصمات ، ويجوز ارجاع هذا التبادل الى اختلاف اللهجات وينسب اللغويون النطق بالزى والصاد الى القبائل البدوية كقبائل عذرة وكعب وبنى القين (البحر ٢٥/١) وازد عمان وبنى العنبر ، كما تنسب السين الى الحجاز وهذا لأن الاصوات المجهورة والمستغلية تناسب البدو والمهموسة والمستغلة تناسب الحضر . وبين الدال والتاء والطاء علاقة صوتية تسوغ التبادل ويمكن أن تعود الى اللهجات على أن التاء للحضر والدال للبدو لمناسبة المهموس للحضر والمجهور للبدو والطاء تناسب البدو كذلك لاستعلائها واطباتها .

(٦٢) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٣٠/٤ .

هذا الرأى من المحدثين الدكتور السامرائى يقول بعد أن عرض آراء العلماء فى الابدال وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين فى هذه المشكلة الى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هى لغات القبائل المختلفة وطبيعى أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة وعلى هذا فسان كثيرا مما حمل على الابدال داخل ضمن هذه اللغات وعلى هذا فليس هناك ابدال بل هناك اختلاف بين العربيين فالذى يقول (صراط) لا يقولها بالسين سراط والعكس حاصل أيضا (٦٣) *

ويقول قبل ذلك بقليل : أريد أن أقول ان اللغة فطرة وبداهة فالذى يقول مدحه لا يمكن أن يتسرح لسانه فيقول مدمه والعكس صحيح أيضا (٦٤) ، وهذا يشرح رأيه بوضوح وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللهجات ، ويعتبر هذه النظرة هى النظرة الصحيحة فيقول : وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر الى هذه المشكلة النظر الصحيح فقد قال أبو الطيب اللغوى الحلبي : ليس المراد من الابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى لغات مختلفة (٦٤) ... الخ ويضيف الدكتور السامرائى « الى رأيه العلاقة الصوتية فلا بد من التقارب بين الحروف المختلفة فى لهجات الناطقين من قبائل متعددة وان لم تكن على طريق الابدال ، فقد نقل قول ابن السيد البطليوسى — مع شرحه — « ان الحرف الأضعف يقلب الى الأقوى ولا يقلب الأقوى الى الأضعف » *

ثم عقب عليه بقوله : وما ذكره ابن السيد صحيح فى كون تقارب المخرج هو الذى يؤدى الى هذه المعاقبة (٦٥) *

(٦٣) التطور اللغوى التاريخى ص ١١١ .

(٦٤) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٦٥) المصدر السابق ص ١١٣ .

ويرى هذا رأى أيضا الدكتور على عبد الواحد وافى ويشترط أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الاطباق مثل أسود حالك وحانك وخامل الذكر وخامن الذكر^(٦٦) ، ويذكر من أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الاطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسرائط والمصراط^(٦٧) ، ثم يقول : « ويرجع السبب في كثير من ظواهر هذا التناوب الى اختلاف التقابل في النطق بأصوات الكلمة فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدا وتميميا كانت تنطقها بالقاف »^(٦٨) وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزازی في كل ما ذهب اليه^(٦٩) الا أنه أفرد له بابا خاصا عنوانه بالابدال أو الاشتقاق الأكبر ولعل ذلك جمع بين موقفين وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للإشارة الى أقوالهم^(٧٠) .

ويلحظ أن هذا رأى على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسى أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها وهذا يشير الى تطور صوتي وان كان بين لهجات متعددة .

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء ومناقشتنا لها نحس أنه لا بد لنا من نظرة واعية وعميقة ومن تحليل علمي دقيق نتبع به الظواهر المختلفة والدواعي الكثيرة التي أحاطت وتحيط باللغة ونشأة مفرداتها والأحوال التي عاشت فيها ومرت بها في مراحلها التاريخية المتعددة حتى نصل الى الحقيقة ونستنتج القانون الذي ينظم حوادثها ان

(٦٦) فقه اللغة د. وافى ص ١٧٨ .

(٦٧) المصدر السابق ١٧٩ .

(٦٨) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٦٩) فقه اللغة للدكتور العزازی ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٧٠) انظر مثلا فقه اللغة للمبارك ص ٥٠ وغيره .

كان لها ثمنون مظهر، وهذا يعتبر المفتاح للعلم الاستنتاج الذي يكشفه الصلة بين كلمات، تباعدت أصولها (٧١) *

أسباب الابدال :

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة وقد أشار العلماء الى كثير منها وان مال كل منهم الى واحد أو أكثر وسحاول تتبع معظمها حتى نستطيع تفسير ما ورد من الفاظ هذه الظاهرة قريما رجوع اللفظان الى واحد أو أكثر من تلك العوامل ولا مانع من ذلك اذ هذه الأسباب غير متعارضة ، والذي جعلنا - كغيرنا من الباحثين - تفكر في هذا التفسير هو وجود بعض تلك الألفاظ في لغتنا العربية غير متسوية الى قائلها بل تضطرب المزاج في نسبتها فهي أحيانا من لسان قريش وأخرى من لسان تميم وثالثة من لسان غيرهم من قبائل العرب (٧٢) *

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها تحليلاً علمياً نحاول تطبيقها على الكلمات التي يمكن تطبيقها عليها في إطار دراستنا للهجات العربية *

أولا : اختلاف اللهجات :

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العربية وتفرقوا في أنحاءها وبيئاتها الطبيعية والاجتماعية المختلفة بين بدوة وحضارة ولذلك - بلا ريب - أثر كبير في تعدد اللهجات واللغة عادة اجتماعية وخروج الفرد عليها يلقي مقاومة من المجتمع تأخذه بعقاب (٧٣) ومن هنا صرح العلماء « بأن الذي يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدمه والعكس صحيح أيضا (٧٤) وقد مر بنا من الروايات

(٧١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٧٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٤٠١ وانظر

ما يقرب من هذا في الأصوات اللغوية ص ١٥١ .

(٧٣) اللغة والمجتمع د. وافي ص ٤٢٣ .

(٧٤) التطور اللغوي التاريخي ٦٠٨ .

اللغوية ما يؤكد تمسك الجماعات الانسانية بالنطق المتعارف بينها كرواية أبى حاتم عن أم الهيثم من حلك العراب أو حنكه فقالت لا أقول من حنكه أبدا^(٧٥) وكذلك رواية أبى حاتم عن الأصمعى : اختلف رجلان فى الصقر ... الخ ، واختلاف اللهجات فى الواقع يعد عاملا مهما فى تفسير هذه الظاهرة فالقبائل البدوية مثلا تميل الى الأصوات الشديدة فى نطقها وهو أمر طبيعى يلتم مع ما عرف عن البدوى من غلظة وجفاء فى الطبع وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التى تطرق الآذان كأنما هى فرقعات متعددة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون الى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام فالباء والتاء والdal والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة تستعمل فى أفواه المتحضرين على الترتيب فاء • سينا • زايا • شينا^(٧٦) ويمكن — بناء على ذلك — تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التى عدت من الابدال ، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ الى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها •

ثانيا : التطور الصوتى :

يرجع كثير من علماء اللغة — ومنهم ابن جنى — قدرا كبير من أمثلة الابدال الى التغيرات الصوتية وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة فى المخرج أو الصفات وان اختلفوا فى تحديد هذه العلاقة فكللمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس « فى كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فهى تكون نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها هذه هى أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهى ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من

(٧٦) فى اللهجات العربية ط ٣ ص ١٠٠ ومن أمثلة ذلك عكوب الطير وعكوف الطير ، والنات والناس والدغدغة والزغزغة . انظر المصدر السابق ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٨٦ وهذا مجرد فرض امكان حصول ذلك .

الأصوات^(٧٧) وان الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم وتبعاً لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معاً)^(٧٨) ، بل ان هذا الاختلاف فى النظام الصوتى « يتغير ان قليلاً وان كثيراً من سن الى أخرى »^(٧٩) وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناء اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقاً متماثلاً فى كل الصفات^(٨٠) وهذا التطور يؤدى الى وجود صيغ جديدة وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى فترة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة اذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاها الى اللغة المثالية أما فى البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى :

(أ) **أعضاء النطق** : ان جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص باخراج عدد لا يحصى من الأصوات^(٨١) ، وقد حاول بعض العلماء أن يعزو التبدلات الصوتية الى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعاً الموقف العلمى الصحيح •

١ — **اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب** : ينسب بعض العلماء التطور الصوتى الى اختلاف أعضاء النطق فهى « تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل عن طريق الوراثة من السلف الى الخلف^(٨٢) وهذا يعنى أن لكل شعب جهازاً مكوناً على

(٧٧) اللغة ٦٢ . المصدر السابق ص ٩١ .
 (٧٩) المصدر السابق ص ٦٦ واللغة بين الفزد والمجتمع (جيسبرسن) ٣٥ ، ٣٦ .
 (٨٠) الأصوات اللغوية ص ١٧٠ .
 (٨١) التجويد والأصوات ص ٨ .
 (٨٢) علم اللغة دء وافى ص ٢٧٤ .

نمط خاص يجعله قادرا على اصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى ، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح . بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح وعجز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلا على اختلاف أعضاء النطق فعجز الانجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف بل ان العادات الصوتية التى نشأ عليها والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها فالجهاز الصوتى مستعد لاصدار جميع الأصوات بلا استثناء كل ما هنالك أنه يحتاج الى المران عليها . فلو أن طفلا انجليزيا نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة الخارج والصفات كما ينطقها العربى تماما » وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيک) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شىء من المران والشرح العلمى دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحي » (٨٣) . وعلى كل حال فلا بد أن يكون هناك تأثير ما — وان لم يوجد اختلاف واضح — لأننا قررنا أن النطق يختلف من انسان لآخر والطقن يختلف عن أبويه الذين يقلدهما تقليدا ناقصا كما يقول الدكتور المبارك وقد وصف الأستاذ (فتدريس) هذا التغير بأنه « خطير النتائج لأنه لا يبشر بشىء أقل من انقطاع التوازن فى النظام الصوتى (٨٤) » ، وإذا كان هذا فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحا تبعا لما يحيط بالفرد فيها من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى .

٢ — تطور أعضاء النطق : حاول بعض العلماء أن يطبق على

(٨٣) الأصوات اللغوية ص ١٧٢ .

(٨٤) اللغة ص ٦٥ .

الجهاز الصوتى نظرية النشوء والارتقاء فلا بد أن يتطور كما يتطور كل ما فى الكون ولذلك تأثيره فى الأصوات وقد ذكرنا أن النظام الصوتى يتغير من سن الى أخرى^(٨٥) ويقول الدكتور وافي إن هذا أمر مقرر فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ان لم يكن فى تكوينها الطبيعى فعلى الأقل فى استعداداتها. وذلك تبعه تطور فى أصوات الكلمات وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول ورسلو الذى تجرى حقايقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة^(٨٦) ، ولكن الدكتور المبارك ينقصر ذلك بقوله « ان ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتى تطورا مطردا مردود اذ لا برهان له عليه »^(٨٧) ويبدو لنا أن التغير الذى يعترى كل ما فى الكون يشمل أعضاء النطق أيضا وان كان هذا التغير بنسبة ضئيلة غير ملحوظة الا أنها تترك أثرا ما .

٣ — عيوب أعضاء النطق : قد يولد الانسان مصابا بعلّة تمنع أعضاء الكلام عن تأدية وظيفتها وقد يعرض للانسان فى أثناء حياته مرض يتسبب فى احداث عيب فى أعضاء النطق وهذا يؤثر فى حديثه والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ولم يكن لهم اتجاه الى النظر فى أعضاء النطق للتحقق من سلامتها وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربى الواحد كما قرر ابن جنى^(٨٨) وربما كان هذا العربى الذى شهد له بالفصاحة مصابا بلكنة تسببت فى تغير بعض الأصوات وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو الى التراث اللغوى فاللغة اللسانية تتسبب — ولا ريب — فى ابدال بعض الحروف فالراء تتحول عند الألتخ الى غين أو همزة أو لام فكلمة

(٨٥) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٨٦) الفونيتيك التجريبي علم اللغة د. وافي ص ٢٧٠ ، ٢٧١ وفقه.

اللغة له ص ١٣٠ .

(٨٧) فقه اللغة ص ٤٠ .

(٨٨) الخصائص ٢١/٢ .

يأربى قد تتطق ياغبى ويأبى ويالبى^(٨٩) وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان إلى عيب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة . وقال « وهى فى الغالب نتيجة علة طبيعية فى أعضاء النطق »^(٩٠) . وجعل ذلك عاماً فى جميع الأمم ولكننا نرى فى هذا القول مبالغة وإن كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلة أثراً ما قد يتسبب فى ابدال بعض الكلمات على أن الأستاذ فنديس يقول ان التغير الذى يعبث به اللغوى هو التغير الذى يظهر فى كلام مجموعة من الأفراد . ثم يقول ولكن لابد من تفرقة بين التغيرات الفردية والتغيرات المشتركة بين جميع الأطفال فى نفس الجيل فقد يحدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات نتيجة لاستعداد خيىث موروث أى أن يكون عنده عبارة أخرى نقص فى النطق هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غير الطيبى وغاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يستدل بها على اتجاهات اللغة^(٩١) .

(ب) المكان والزمان : تؤثر الطبيعة التى تحيط بالإنسان فى سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة اذ هى لون من التصرف ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ويمكن أن نرى ذلك واضحاً فى البيئة العربية اذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة فاختلقت فى اتجاهها اللغوى على ما نرى فى اختلاف لهجات البدو والحضر فى الجهد العضلى والأناة والسرعة . هى النطق والفروق النطقية بينهم ماثوثة فى كتب اللغة

(٨٩) ومن أنواع اللغات الرثة والبأبة والتممة والفأفة . المزهر

٢٦٥/٢ وتاريخ آداب العرب ١/١٥٤ .

(٩٠) الفلسفة اللغوية ٣٩ ، ٤٠ .

(٩١) اللغة ص ٦٩ ، ٧٠ .

كَمَا أَنَّ انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصاحبه شيء من التغير في النظام الصوتي فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد أباه أو يتعلم منه « وأغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها في هذا التعلم ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء المعارض التي يمكن أن تعرض لسلامة النطق في كل جيل^(٩٢) وعلى مر الزمن يحدث تقليد الأبناء للأباء تبدلات في الحروف مهما بالغ السلف في تلقينهم وتعليمهم وهذا لا تسلم منه لغة في العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتلقين في المدارس^(٩٣) وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الإطلاق فقد بذل أهلها وعلماءها جهدا كبيرا في الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفا دقيقا وكان ذلك اهتماما بالقرآن الكريم الذي نقل الينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة^(٩٤) أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطوري وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات في لغتها ومن بينها تبدلات تعترض الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الابدال •

(ج) الحياة الاجتماعية :

١ - العزلة والاختلاط الاجتماعي : تتأثر اللغة — كغيرها من وسائل الحياة — بقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه فإذا قدر لطائفة من البشر أن تعيش في مكان لا صلة له بالآخرين — لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والآكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم — فإن هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة ومنه الاتجاه اللغوي الذي يأخذ شكلا يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن

(٩٢) اللغة ص ٦٤ •

(٩٣) فقه اللغة للمبارك ص ٤٠ •

بقية بنى جلدتهم فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتية بينهم وبين اخوانهم من أبناء لغتهم^(٩٤) وقد يكون لذلك أثر فى الابدال .

كما أن الاختلاط بصوره التى تحدثنا عنها — فى لقاء أصحاب اللهجات — يؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى وانقسام اللغة الى لهجات وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة ، « كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغات لأن الشعب الذى يتخذ لغة جديدة يطبق عليها — أحياناً — عوائد النطق فى اللغة التى تركها^(٩٥) فيمكن قراءة صفحة من الفرنسية وقد بدا عليها طابع النطق الانجليزى أو الألمانى^(٩٦) وإذا تكلم الانسان لهجة أجنبية تعرض للأخطاء بسبب التردد فى صيغة الكلمات^(٩٧) وهذا حدث للعربية فى تفرعها الى لهجات وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة وان التأثير الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه — ولا شك — صوتى وان الحروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك^(٩٨) .

٢ — الثقافة والحضارة : هذا العامل له اتصال بسابقه اذ ينشأ عن قطيعة شعب لجيرانه ألا يعرف تطور الحياة ونوازعها الجديدة وثقافتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر كما أن اتصال الشعوب وتبادل الثقافات عن طريق المعاملات الودية أو الغزو يؤدى الى رقى الشعوب وتقدمها وحضارتها وهذا — بنوعيه — له أثر فى النواحي اللغوية وبعضه يتصل بالأصوات وقد حدث ما يشبه ذلك للعربية

(٩٤) المصدر السابق ص ٤٩ .

(٩٥) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٨ .

(٩٦) اللغة ٨١ ، ٨٢ .

(٩٧) المصدر السابق ص ٦٣ . (٩٨) المصدر السابق ص ٨١ .

(٩٩) انظر كتاب سيبويه باب الادغام وكتابنا « أصوات اللغة العربية » .

الفصحى وقت نشأتها ونموها تأثرا بالثقافة والحضارة ونجم عن ذلك بعض أمثلة الابدال .

٣ — الحالة النفسية : ان الجو النفسى للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقا ضعيفا وقد يكون قويا ذا جرس وبقدر سرور الانسان أو حزنه واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ومن تفخيم أو ترقيق الى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة الى رخاوة أو العكس الى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب « فالشعب حين يميل الى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته الى الانتقال من الشدة الى الرخاوة فاذا اعتر الشعب بقوته وجبروته مال الى العكس^(١٠٠) وكما يحدث ذلك للجماعة يحدث للأفراد فيختلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم وهذا ذو أثر أيضا فى ظاهرة الابدال .

٤ — عوامل اجتماعية أخرى : وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى احياء صوت مهجور واماتة صوت مولد أو هجر صوت قديم وتوليد آخر وهذا يترك اثرا على ما يعيش من أصوات اللغة « فالرغبة فى العودة الى الفصحى فى بلاد العربية فى العصر الحاضر هى التى عادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت اليه كالهزمة بدل القاف فى كثير من المدن العربية والثاء والذال والظاء فى لفظها العامى الى نطقها القديم الفصحى^(١٠١) وقد كان القرآن الكريم عاملا دينيا دعا الى الحفاظ على اللغة العربية وأصواتها بطابعها القديم — كما ذكرنا — وقد تعصبت القبائل العربية للهجاتها المتعددة ونحن نعرف الصراع الطويل الذى حدث

(١٠٠) الأصوات اللغوية ٦٧٤ .

(١٠١) فقه اللغة للمبارك ص ٤١ .

بينها حتى استطاعت القرشية التغلب عليها بعد أن أثرت فيها اللهجات الأخرى^(١٠٢) وكم تصارعت أيضا مع اللغات التي اتصلت بها بعد الفتوح الإسلامية ولا شك أن هذا وغيره له آثار. يتعلق بعضها بظاهرة الابدال .

ثالثا : دواع لغوية :

هناك عوامل لغوية متعددة ذات أثر في الابدال نتحدث عن أهمها :

١ — تفاعل الأصوات : هو تأثير الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من الحروف وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات وهاك بيانها :

(أ) المماثلة : حروف المهجاء منها ما يأتلف ومنها ما يختلف ولا بد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتي فتمكن أعضاء النطق من التفوه به فإذا تجاوز حرفان متنافران غير أحدهما ليقتربا من الآخر أو. يتحد معه مخرجا أو صفة « وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه^(١٠٣) وهذا التأثير واقع في اللغة العربية قديما وحديثا كما يقول أستاذنا الدكتور نجاة^(١٠٤) كانقلاب النون الساكنة ميما إذا وليها بناء وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما في عمير وشمباء واصطبر واطلع واظلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر^(١٠٥) وهذا التأثير متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر الى الهمس أو العكس وأقصى ما يصل اليه الصوت في تأثيره بما يجاوره

(١٠٢) اللهجات العربية د. نجاة ص ٥١ ، ٥٢ .

(١٠٣) الأصوات اللغوية ١٢٦ .

(١٠٤) التجويد والأصوات ٢٩ .

(١٠٥) الخصائص ٢/ ١٤٠ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ — ٢٣٠ وغيرها .

أن يفتنى فى الصوت المجاور فلا يترك له أثرا» (١٠٦) ، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثير الى رجبى وتقدمى وذلك حسب الصوت المتأثر بالآخر .

(ب) الخالصة : الأحوال اللغوية مختلفة فقد يكون الصوتان مقبولين فى موضع غير مقبولين شئ موضع آخر لاعتبارات خاصة ومن ذلك أن الحرفين المتماثلين قد تبقى صورتاهما فى اللفظ اذا كان ذلك لا يحتاج الى مجهود عضلى كبير وقد يقلب أحدهما الى حرف آخر اذا احتاجا الى هذا المجهود توفيراً للجهد وتحقيقاً للسهولة فالأول مثل قطع وعلم بتشديد العين والثانى مثل أملئ وتظنى فالأول مقبول لأن ادغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من اظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة (١٠٧) ، والمثلان فى غير الادغام ثقيلان لما فى النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه الى مكانه الأول فهو شبيه بمضى المقيد كلما تحرك خطوة رجع أخرى (١٠٨) فلا انكار للتخفيف بابدال أحد المتماثلين ياء (١٠٩) ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه ولذلك كانت الكتابة بالسواد فى السواد خفية وكذلك سائر الألوان (١١٠) ، واذا كان ذلك فى المثليين فالثلاثة أولى وهذا هو معنى المخالفة التى أوضحها المحدثون وقد أشار اليها سيبويه فى (باب ماشذ فأبدل مكان اللام ياء لكرهية التضعيف وليس بمطر د) ومثل لها بقولهم تسريت وتظنيت وتقصيت .. وأصلها تسررت وتقصت (١١٠) ونبه ابن جنى أيضا على استئقالم المثليين حتى قلبوا أحدهما فى نحو أميلت - وأصلها أملت - وقولهم لا وربك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل (١١١) ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة

(١٠٦) الأصوات اللغوية ص ١٣٠ .

(١٠٧) الخصائص ٢/ ٢٢٧ .

(١٠٨) فقه اللغة د. العزازى ١٦٦ - ١٧١ .

(١٠٩) الخصائص ٢/ ٢٣٢ .

(١١٠) الكتاب ٢/ ٣٠١ . (١١١) الخصائص ٢/ ٢٣١ .

قد شاعت في كثير من اللغات السامية وليست الا تطورا تاريخيا للأصوات (١١٢) ويذكر أن كثيرا من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين الى صوت لين طويل — وهو الغالب — أو الى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان ولا سيما اللام والنون وهو يرى — كذلك — أن المخالفة « لا تكاد تتم الا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الاطباق أو الأصوات الرخوة على أن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (اجار) التي روى فيها (انجار) (١١٣) وكذلك (اجاص) روى فيها — أيضا — انجاص (١١٤) فالمخالفة تجري بين الحروف التي تحتاج الى جهد عضلى وفي غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة الا في النادر من الأحيان (١١٤) .

(ج) التناوب بين الأصوات : تبين من ملاحظة ظواهر التطور

في مختلف اللغات الانسانية ان الأصوات المتحددة النوع القريبية المخرج تميل بطبعها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض فكل صوت عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت لين آخر وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه (١١٥) ففي العربية تتناوبت أصوات اللين القصيرة (الفتحة — الكسرة — الضمة) فمثل (يعوم — يسمع — يلطم — يضرب — محمد — تعبان) تغيرت حركاتها الفصحى بأخرى في العامية المصرية وحدث كذلك تناسخ في أصوات اللين الطويلة نفسها وبخاصة في الألف اللينة اذا أميلت في لغات بعض القبائل العربية القديمة

(١١٢) الأصوات اللغوية ١٥٢ .

(١١٣) بمعنى سطح المنزل وفي حديث الهجرة واستقبل الناس النبي ﷺ على الأناجر .

(١١٤) المصدر السابق ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١١٥) فقه اللغة للدكتور وافي ١٣٦ ، ١٠

(ومنها قريش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة الى مصر وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقية والأصوات الساكنة كذلك فى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى ، والسين فى (يسداً) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى وهكذا ، ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية (١١٦) .

٢ - الاشتقاق : قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف الا حرفاً واحداً وأصلهما - فى الحقيقة - مختلف لأخذ كل منهما من أصل معين وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة كما فى حثثوا وحثثوا وأديته وأعديته فاذا أدركنا أصول الألفاظ على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظن أنها من الابدال .

٣ - تغير المعنى : تتغير معانى الألفاظ من آن لآخر تبعاً للأحوال التى تمر بها اللغة ويتطور المعنى باحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى - تضيقه - انتقاله) (١١٧) « وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المؤلف الى آخر غير مؤلف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير وتتراجع المعانى فى أذهانهم أو التجارب فى حياتهم ثم لا يسعفهم ما ادخروه من الألفاظ وما تعلموه من كلمات (١١٨) ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مؤلفاً ويبعد حينئذ من الحقيقة وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ فى حدود ضيقة ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان - وكلاهما من الحقيقة - غير أن احدى الدالتين تكون أكثر شيوعاً من الأخرى بل قد يصل الأمر الى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه وتكاد تعد بمثابة المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة (١١٨) ، وفى هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى معناها

(١١٦) علم اللغة د. وائى ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(١١٧) دور الكلمة فى اللغة ١٦٥ .

(١١٨) دلالة الألفاظ د. انيس ص ١٢٦ واللغة والمجتمع د. وائى

ص ١٧ ، ١٨ .

الحقيقي مع شيوع معناها المجازى على الألسنة حتى ليقع اللبس فى أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال^(١١٩) ، فالعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع فالعزيز فى الحالين غير السهل المباح^(١٢٠) ، وكلمة رأس التى تطلق على رأس الانسان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيرا رأس الحكمة^(١٢١) ، وهكذا نرى أن المعانى تتجدد وتتطور وبخاصة فى لغتنا المبنية على المجاز وهذا التطور المعنوى قد يتسبب فى مساواة لفظ بآخر فيتفق معه فى المعنى وقد يتصادف أن تتفق — حيث — الكلمتان فى جميع الحروف الا حرفا واحدا وقد يكون أحد المعنيين مجازا الا أنه عرف واشتهر فكانه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جنى من اختلاف المعنى بين كلمتى ثوم وفوم وان الفاء ليست بدلا من الشاء لاختلاف المعنى وتؤيده المعاجم فيما ذهب اليه^(١٢٢) ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعانى وبيان حقيقتها ومجازيها وصلة هذه المعانى بعضها ببعض لأدى ذلك الى تفسير قدر كبير من الألفاظ التى تدخل فى ظاهرة الابدال .

٤ — التصحيف والتحريف : هذا العامل يرجع الى عصر تدوين اللغة وكتابتها^(١٢٣) فان الحروف العربية تنقسم الى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة فى الشكل مثل (ب ت ث — ج ح خ — د ذ — ر ز — س ش — ص ض ط ظ — ع غ — ف ق)^(١٢٤) فان صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة الا التثنية ومقدارها والتحريف خاص برسم

- (١١٩) اللغة الشاعرة ص ٣٩ .
- (١٢٠) المصدر السابق ص ٤١ .
- (١٢١) فى اللهجات العربية ص ١٩٣ .
- (١٢٢) سر الصناعة ٢٥٢/١ والقاموس ١٠١/٤ ، ١٨٧ .
- (١٢٣) التصحيف والتحريف (للمسكرى) ص ٩ .
- (١٢٤) المزهرة ٢٥٥/١ — ٢٦٧ واللغة العربية كائن حتى ص ٥٧ .

الحروف المتشابهة وشكلها مثل (د ر - د ل - ذ ز - ز ن) في الحروف المتقاربة الصورة و (ل ع - م ق) في الحروف المتباعدة الصورة (١٢٥) .

والتصنيف قسمان تصنيف الخط وتصنيف النعم فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة - كما سبق - ومن صور الأبدال التي يمكن فيها ذلك « رجل صلب وصلت » والدبر والذئب والكرت والكرب وورغاث وورغاب وجاص وجاض والنافجة والنافحة (١٢٤) وقد وقع أصحاب المعاجم في كثير من هذا اللون من التصنيف (١٢٦) ، والثاني ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجاً أو صفة وهي - غالباً - لا تتشابه رسماً عند أهمال نطقها مثل (ء ه - ب م - ت ط - ث س ف - ج ش - د ض - ذ ز ظ - س ص - ق ك) ومن صور الأبدال التي يتوهم فيها ذلك أتمال وأتمهل ومن كتب ومن كثم والأقطار والأقطار والوطث والوطس واللتام واللفام والوقيد والوقيظ (١٢٧) وقد وقع التصنيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعي وأبى عمرو بن العلاء وأبى زيد وأبى عبيد وغيرهم كثير (١٢٨) وشرح ابن جني بوقوع التصنيف والتحريف في بعض أمثلة الأبدال في فصل التحريف (١٢٩) ومن كلامه فيه « قالوا لا بل ولا بن وقالوا : قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو وهذا وإن كان بدلاً فإنه ضرب من

(١٢٥) تحقيق النصوص ونشرها . ٥ - ٥٢ .

(١٢٦) مما يمثل ظاهرة الأبدال في المعاجم ويحتل فيه التصنيف ما ورد في باب البزء من القاموس مثل (جفأه وحفأه صرعه ، خفأه اقتلعه فضرِب به الأرض ، جلاً بالرجل : صرعه وبثويه رماه ، حلاه بالأرض صرعه وبالسيف ضربه ، سلساً وشلشاً دعا الحمار ليشرب رأت الطياء : يصيبت بأنفائها ، زازا الظليم : مشى مسرعاً رافعاً رأسه وذنبه الخ .

(١٢٧) انظر المخصص باب البذل ٣١٧/١٣ وما بعدها .

(١٢٨) المزهر ١٨١/٢ وما بعدها .

(١٢٩) المخصص ٤٣٦/٢ .

إلتحريف^(١٣٠) واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك كالـدكتور الصالح^(١٣١) والأستاذ جورجى زيدان^(١٣٢) والدكتور أنيس^(١٣٣) فليس من التجنى إذا أن نرجح أن بعض الكلمات التى قيل لنا ان بينها ابدالاً لا تمت للإبدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف^(١٣٤) والتحريف .

٥ - صنع الألفاظ واختلاقتها : لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر فقد كانت قبائل العرب ذات عصبية كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى ولذلك اخترع بعضها القصائد ونسبتها الى أجدادها الأوائل تحقيقاً لما تهدف اليه ، يقول ابن سلام « لما راجعت العرب فى الاسلام رواية الشعر بعد أن اشتغلت بالجهاد والغزو واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوثائق والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواية بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يشك على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الاشكال^(١٣٥) ويفهم من نص ابن سلام السابق أن الرواة زادوا فى الآثار الأدبية. واتهم بذلك خلف الأحمر وحمام الراوية^(١٣٥) ولا ريب

(١٣٠) المصدر السابق ٢/ ٤٤٠ .

(١٣١) دراسات فى فقه اللغة ٢٦٨ — ٢٧١ .

(١٣٢) اللغة العربية كائن حتى ٥٦ ، ٥٧ .

(١٣٣) من أسرار اللغة ٥٣ — ٧٠ .

(١٣٤) طبقات فحول الشعراء ٣٩ — ٤١ والمزهر ٨٦/١ ، ٨٧

ويقول ابن سلام أيضاً — وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه . الطبقات ٥ ، ٦ والمزهر ٨٥/١ .

(١٣٥) طبقات فحول الشعراء ٣٩ — ٤١ .

أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبي وبخاصة الشعر الذي كان يحتل الصدارة في البيئة العربية ويسرى على الألسنة في جميع الأصقاع فنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت في أبيات مصنوعة وقد قال الخليل «ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيث»^(١٣٦) وقد أورد السيوطي أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة في أبواب متعددة من مزهره^(١٣٧) ومن ذلك عنشج : ثقیل وخم وضهید : الرجل الصلب والألظ : نبت^(١٣٨) وغير ذلك كثير *

وقد ذكر الأستاذ السامرائي أن السعة التي أضيفت للمعجم العربى بطريقة الابدال قد توسع فيها وربما دخلها شيء من التجوز والتوسع والكذب وذلك أنك تجد الكثير مما عرض له الابدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر الى الشاهد الصحيح وضرب لذلك أمثلة — من المعاجم — منها بعير مبلند ، ومكلند : اذا كان شديدا وقد ابلندى بيلندى ابلندادا واكلندى يكلندى اكلنداء اذا اشتد^(١٣٩) ثم قال وما أظن أن العربية تفيد من هذه السعة غير المقتضاة^(١٤٠) ويؤيد لنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عن ليس من أهل الضبط والاتقان^(١٤١) وبعد هذا نقول لا يبعد أن تكون بعض الألفاظ المخترعة قد اضيفت الى اللغة وكان لها أثرها في ظاهرة الابدال *

وهذه الأسباب التي عرضناها تعد أساسا صحيحا لتفسير ظاهرة الابدال وبيان صلتها باللهجات العربية نشأة وظهورا وسنحاول تطبيقها على بعض ألفاظ هذه الظاهرة مما له مصطلح لهجى أو لغوى

(١٣٦) العين ٥٩/١ والمزهر ٨٥/١ .

(١٣٧) انظر مثلا ٥٢/١ — ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٥ — ٩١ ، ١٠٦ — ١١١ ، ١٢٠ — ١٢٤ .

(١٣٨) المزهر ٦٣/١ — ٦٧ ، ١٢٠ — ١٢٤ .

(١٣٩) لسان العرب ٦٥/٤ ، ٣٨٥ .

(١٤٠) التطور اللغوى التاريخى ١١٥ .

معروف ، وفى بحث آخر نحاول — ان شاء الله — تطبيقها على ما ورد من ألفاظ قليل فيها بالابدال مما لم يضح له العلماء مصطلحا لهجيا أو لغويا •

ويتسع الابدال ليشمل مظاهر كثيرة لاختلاف اللهجات فبعض القبائل تفضل حرفا معينا ، فى حين أن قبائل أخرى تفضل حرفا آخر •

وبعض القبائل تفضل حركة معينة فى حين أن غيرها يفضل حركة أخرى •

ولذا سنتكلم عن أهم مظاهر هذين النوعين فيما له مصطلح لهجى أو لغوى ونفسر قدرنا صالحا مما ورد فى كتب اللغة من أمثلة لهما نراها جديرة بالدرس والبحث . ونطلها تحليلا علميا مبنيا على ما صح من المقاييس التى وضعها القدامى والمحدثون من علماء اللغة ونبين بالحجة والدليل الرأى الجدير بالاتباع •

أولا : الابدال في الحروف

وقع الابدال فى بعض الحروف عند القبائل المختلفة ، وبعضه وضع له اللغويون مصطلحا لهجيا ، أو مصطلحا لغويا .

وقد وصفت بعض هذه الظواهر الابدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستبشع الألفاظ وذلك بعد أن هذبت اللغة ، وأطبقت العرب على النطق الحر والأسلوب المصفى^(١) .

ومن ذلك : الكشكشة والكسكسة والفحفة والعننة والاستنطاع ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذومة)^(٢) وذكره السيوطى — نقلا عنه — تحت عنوان : (معرفة الردى والمذوم من اللغات)^(٣) .

الكشكشة :

يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيئا فيقولون فى : رأيتك : رأيتكش ، وفى بك : بكش ، وفى عليك : عليكش^(٤) وهؤلاء الناطقون — كذلك — طوائف ، فمنهم من يثبت الشين حالة الوقف فقط حرصا على البيان فاذا وصلوا حذفوا وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضا ، ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف ، ويكسرهما فى الوصل ويسكنهما فى الوقف فيقولون فى مررت بك اليوم : مررت بكش اليوم ، وفى مررت بك فى الوقف : مررت بش ، قال الشاعر :

(١) تاريخ آداب العرب ١/١٤٠ .

(٢) الصحبى : ٣٥ .

(٣) المزهر : ١/٢٢١ .

(٤) الجهرة ١/١٥٣ .

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق
وأنشد ابن الأعرابي :

على فيما أبتغى أبغيش بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطبي ود بنى أبيش اذا دنوت جعلت تتبيش
وان نأيت جعلت تدنيش وان تكلمت حنت فى فيش
حتى تنقى كنعيق الديش

وجاء قلب الكاف شيئا فى غير كاف الضمير^(٥) فى (الديك)
لضرورة القافية قال ابن جنى بعد ذكره الأبيات : فشبه كاف الديك
لكسرتها بكاف ضمير المؤنث^(٦) .
وقال الراجز :

أى غلام لش علود العنق ليس بكياس ولا جد همق
لش : لك ، وهى لغة لبعض العرب^(٧) .

وعليها قرأ بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا)^(٨) .
وتنسب الكشكشة لأسد وهوازن ، وقال ابن فارس : هى فى
أسد ، ونسبها بعضهم الى تميم وبعضهم الى ربيعة ومضر^(٩) .
ويعد سيبويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة ، يقول : واعلم أن
ناسا من العرب يلحقون الشين ليبيّنوا بها الكسرة فى الوقف ، وذلك
قولهم : أعطيتكس وأكرمكس ، فاذا وصلوا تركوها ، وانما يلحقون

(٥) مجالس ثعلب ١١٦/١ . (٦) سر الصناعة ٢١٧/١ .

(٧) التهذيب ٢١٦/٢ . (٨) مريم ٢٣ : ١٠ .

(٩) الكامل ٣٧١/١ قال المبرد : انهم التميميون الذين منهم عمرو
ابن تميم ، والصاحبى ٢٤ والاساس ٨٢٢ ، والحكم ٣٩٧/٦ ، ٣٩٨ ، وشرح
المفصل ٤٨/٩ والزهر ٢٢١/١ وانظر سر صناعة الاعراب ٢١٦/١ ، ٢٣٥
وفقه اللغة للثعالبي ١٢٩ .

الثنين في التأنيث ، لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير^(١٠) .

واضافة الشين عند الوقف على المؤنث ، لأن الكسرة تخفى عند الوقف فأرادوا بيانها بإبدالها شينا أو بزيادة شين بعد الكاف .

ويروى سيبويه — كذلك — قلب الكاف شينا في الوصل مثل : أنش ذاهية ومالش ذاهية ، يريد : أنك وما لك^(١١) وقد نسبها الى تميم وناس من أسد^(١٢) .

والحاق الثنين بعد الكاف أو إبدالها منها لتوافقهما في كثير من الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والاصمات مع تقارب المخارج فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والشرين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى^(١٣) .

وبعض المحدثين يرى أنه لابد في الكشكشة أو الكسكة أن تحل الشين أو السين محل الكاف ليتمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات ، اذ ليس هناك ما يسوغ أن تتصل الكاف بصوت آخر في حالة الوقف ، بل الأقرب الى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر^(١٤) .

ونرى أنه لا يتحتم ذلك مطلقا ، اذ بعض اللهجات تزيد حرفا وبعضها تنقص ، ولا شيء في ذلك .

الكسكة :

يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المؤنث سينا كالكشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرمكس وأبوس وأمس في (أعطيتك وأكرمك

(١٠) الكتاب ١٩٩/٤ ، ٢٠٠ .

(١١) الكتاب ١٩١/٤ وانظر مجالس ثعلب ١١٧/١ وسر الصناعة

٢١٤/١ .

(١٢) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

(١٣) في اللهجات العربية د. أنيس : ١٢٢ .

وأبوك وأمك) وورد عن معاوية حين سئل : من أفصح الناس ؟ قال : قوم تياسروا عن كسكسة بكر أى ابدالهم السنين من كاف الخطاب حين يقولون : أبوس وأمنس يريدون : أبوك وأمك وبعضهم يزيد السنين بعد الكاف فى الوقف مثل : مررت بكس أى بك^(١٤) والكسكسة لبكر وأسد وربيعة ومضر^(١٥) ومنع الحريرى نسبتها الى ربيعة ومضر^(١٦) ، وصاحب القاموس يذكر أنها لتميم^(١٧) ، وقيل نسبت لهوازن^(١٨) ونرى أنها تنسب لهؤلاء جميعا .

ويحاول بعض المحدثين أن يفسر الكشكشة والكسكسة على أنها صوت مركب (ch) ثم قلبت الشين سينا فى الكسكسة يقول : فالأصل فى هذه الظاهرة أن تكون الكاف للمؤنث حتى تجتذب الكسرة الكاف الى الأمام ، فتقلب الى نظائرها من أصول الثنايا فتصير (ch) أى شجرية ، وبعد ذلك صارت (تس) . وقلب الشين سينا مطرد فى اللغات السامية ، فضمير الغائب « شون » فى الأكادية و « سون » فى بعض اللغات العربية الجنوبية^(١٩) .

وادعى بعضهم أن قلب الكاف سينا أو شينا أو صوتا مركبا (تس - تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذى يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبقي) الى الشفتين ، فالكاف على هذا التفسير تصير سينا^(٢٠) .

-
- (١٤) النهاية فى غريب الحديث والائر ١٧٤/٤ .
(١٥) الكامل ٣٧١/١ وقد نسبها المبرد فيما يختص بقلب كاف الخطاب للمؤنث سينا الى بعض بكر ومثله فى فقه اللغة للثعالبي ١٢٩ وسر الصناعة ٢١٤/١ والصاحبى ٢٤ فيما يختص بزيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف والفصل ٩/٧ وشرح شافى ابن الحاجب ٣٨١/٢ وفى التهذيب : الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ٤٣٠/٩ .
(١٦) درة الفواص فى أوهام الخواص : ٣٥ .
(١٧) ٦٢٥/٢ وانظر الاقتراح للسيوطى ٨٣ والمزهر ٢٢١/١ .
(١٨) الخصائص ١٢/١ ومجالس ثعلب ٨١/١ .
(١٩) اللهجات العربية فى التراث ٣٦٤/١ .
(٢٠) الأصوات اللغوية ص ٧٩ .

ونرى أن هذا غير صحيح ، لأننا لم نسمع به مطلقا على طريقة النطق والكتابة ، ولم يرد في كتب القدماء ، وإن شاع ذلك في بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية^(٢١) ولا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع في النطق الحديث بما أبعده عن الفصح ، ولا يحتاج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشوّه تشويها خطيرا ، فقد تحول - - - في نطق أهل الرياض - صوت الكاف - أول الكلمة الى (تس) مثل : كيف حالك (تسيف حالك) وفي وسط الكلمة كذلك ، فكلمة (باكر) تنطق هناك (بانتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصح من كلام العرب •

ويرى بعضهم أن الكسكة والكشكشة حدثتا نتيجة للتطور في مرحلتين :

الأولى : انتقال الكاف الى الصوتين المزدوجين : تس وتش •

والثانية : تطور الصوتين المزدوجين الى السين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخرى^(٢٢) وهذا كلام لا يسنده الدليل العلمى أو التاريخى •

الششنة :

ورد هذا اللفظ في كتب اللغة ولكن ليس بالمعنى الاصطلاحي المعروف ففي المعجمات أن الششنة : الطبيعة والخلق والسجية وفي المثل :

ششنة أعرفها من أخزم من يلق آساد الرجال يكلم^(٢٣)

(٢١) في منطقة الخليج والسعودية •

(٢٢) اللهجات العربية في التراث ص ١٢٣ •

(٢٣) مجمع الأمثال ١٥٥' واللسان ١١٠/١٧ والعين ٢٢٠/٦ •

وفى الاصطلاح : جعل الكاف شيئا مطلقا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث^(٢٤) وسواء كانت أصلية أو زائدة مثل : لبيش اللهم لبيش فى لببك^(٢٥) والديش فى الديك^(٢٦) وقد سمع بعض أهل اليمن فى الحج يقول (لبيش اللهم لبيش) • ويرى بعض المحدثين أن ما يسمى بالشنشنة هو صوت بين الجيم والشين أو هو الصوت المركب (تشى) Ch المعروف فى الانجليزية ، ولأن العرب لا يعرفون طريقة كتابة هذا الصوت فانهم كتبوه تارة بالكاف وثانية بالشين وقيل — أيضا — ان الكاف فى أى موضع من الكلمة حينما يأتى بعدها صوت لين أمامى فانها تقلب الى نظيرها من الأصوات الحنكية (أصوات وسط الحنك) •

ونحن لا نرتضى هذين التفسيرين لخالفتهما لطبيعة نطق الأصوات العربية وخصائصها لأن العربية لا تعرف الحروف المتداخلة أو المركبة بين حروفها وقد ماتت الأصوات التى بين بين منها •

ونسبت فى العقد الفريد لتغلب ففیه فى خبر الرجل — من السماط — الذى كلم معاوية عن أفصح العرب قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب^(٢٧) ، وتنسب أيضا الى بكر بن وائل ، وقد نسبها ابن دريد والقلقشندي الى حمير^(٢٨) ولكنها شائعة فى القبائل اليمنية وهى تنسب الى أهل البداوة منهم ، وما زالت حتى الآن فى اللهجة الشحرية والمهرية والقطرية وحضرموت •

(٢٤) لهجات العرب لأحمد تيمور ص ١٢٣ •

(٢٥) المزهري ٢٢٢/١ وتاريخ آداب العرب ١٤١/١ ومميزات لغات العرب ١٣ •

(٢٦) الجاسوس ١٨٣ •

(٢٧) ٤٧٥/٢ ، ٣٢٠/٣ •

(٢٨) الجهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وصبح الأعشى ١٦٠/١ •

العننة :

ورد في بعض كتب القدماء أن العننة قلب الهمزة عينا^(٢٩) ،
ويقول ابن دريد : العننة حكاية كلام نحو قولهم : عننة تميم ،
لأنهم يجعلون الهمزة عينا^(٣٠) ويقول السيوطي : أنهم يجعلون الهمزة
المبدوء بها عينا^(٣١) ومن ذلك قول الشاعر :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال جرّان العود :

فما أبن حتى قلن يا ليت عننا تراب وعن الأرض بالناس تخسف

وقال الآخر :

تعرضت لي بمكان حل تعرضا لم تأل عن قتلا لي^(٣٢)

وقال :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عاقر غج معتلى^(٣٣)

ومن ذلك : الأسف والعسف .

ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينا : كعص أي كأص
بمعنى أكل يقال : كعصنا عند فلان وكأصنا أي أكلنا ، قال أبو حاتم :

(٢٩) العين ١٢١/ وفيه اللغة للثعلبي ١٢٩ والأمالي
للحالي ٨١/٢ .

(٣٠) الجمهرة ١٦٠/١ . (٣١) المزهري ٢٢٢/١ .

(٣٢) قال ابن جني : يجوز أن يكون أراد (أن قتلاي) فأبدل الهمزة
عينا (سر الصناعة ٢٣٧/١) ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حكى
النصب الذي معتادا من قولها في بابيه أي كانت تقول : قتلا قتلا ثم حكى
ما كانت تلفظ به ، سر الصناعة ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ ، واللسان ١٧٨/١٦ .

(٣٣) الجمهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وسر الصناعة ٧٥/١ والخصائص
٤١١/١ والمزهري ٢٢٣/١ .

هى همزة قلبت عينا لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى
تصير عينا (٣٤) .

ومما ذكره الخليل فى العين : الخبع : الخبء فى لغة تميم
يجعلون بدل الهمزة عينا (٣٥) .

وحكى عن بنى تميم : هذه خباعنا ، يريد خباؤنا ، ويقال :
خبع الرجل فى المكان اذا دخل فيه ، وأحسب أن هذه العين
همزة (٣٦) .

ولا تزال هذه الظاهرة قائمة فى بعض اللهجات الدارجة فى
صورها المشار اليها أولا ووسطا وآخرها .

ففى مدن تهامة يقولون : (عالة) فى (آلة) و (العمام)
فى (الامام) (٣٧) ومن ذلك فى لهجات صعيد مصر (اسعل
وسعال) بدل (اسأل وسؤال) و (لع) مكان : (لا) .

ويرى بعض الباحثين أن العننة تكون فى (أن وأن) لكثرة
استعمالها وطولهما بالصلة (٣٨) وبعضهم كالفرء وابن فارس يخصها
بالحمزة المفتوحة فى (أن) المشددة النون ، ففى لسان العرب « لغة
قريش ومن جاورهم (أن) وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون
ألف (أن) اذا كانت مفتوحة عينا يقولون : أشهد عنك رسول الله ،
فاذا كسروا رجعوا الى الألف (٣٩) وابن جنى يرى ذلك — أيضا —

(٣٤) الجهرة ٧٦/٣ .

(٣٥) العين ١٤١/١ .

(٣٦) الجهرة ٢٣٧/١ ، ٢٣٨ .

(٣٧) فى اللهجات العربية : ١١١ .

(٣٨) سر الصناعة ٢٣٤/١ وشرح المفصل ١٤٩/٨ .

(٣٩) اللسان ٣١٤٣/٤ (عن) والتعذيب ١٢٢/١ وشرح المفصل

١٩٨/١ ، ١٤٩/٨ وانظر الصحبى ٢٤ والمغنى ١٣٠/١ .

فيذكر أن بنى تميم يقولون فى موضع (أن) : (عن) فيقولون :
ظننت عن عبد الله قائم ، وقال : ان مجيء النون فى العننة يدل
على أن ابدالهم اياها هو فى همزة (أن) دون غيرها •

وقولهم : عننة مشتق من قولهم : عن عن فى كثير من
الواضع (٤٠) الا أن علمنا ابن جنى يذكر أنهم أبدلوا الهمزة فى
غير (عن) (٤١) سواء كانت أولا أو وسطا •

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن اشتراط البدء بالهمزة أو أن تكون
مفتوحة ليس له ما يبرره (٤٢) من الناحية الصوتية ، وانما الذى يبدو
أن يكون أقرب الى الاحتمال هو أن هذه القبائل كلها من البدو ، وكانت
تميل الى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع أيا كان موضعها
من الكلمة وبأى حركة تحركت (٤٣) •

ويتهم القدماء الذين قصرُوا العننة على الهمزة المبدوء بها بأن
مبنى رأيهم على الرواة الذين استقرأوا أمثلة هذه الظاهرة استقراء
ناقصا ، والأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكما خاصا مبنيًا على
مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقى الحالات (٤٤) •

ويبدو لنا أنه اتهم الرواة دون دليل ، والقدماء لا ينكرون ابدال
العين من الهمزة فى الأول والوسط والآخر ، ونصوص القدماء
السابقة تشهد لذلك وأن خصها بعضهم بالابتداء •

(٤٠) سر الصناعة ٢٣٧/١ •

(٤١) المصدر السابق ٣٤٠/١ •

(٤٢) كذا بالأصل والصواب (يسوغه) مكان (يبرره) •

(٤٣) فى اللهجات العربية : ١١ •

(٤٤) المصدر السابق : ١١ •

وقد نسب بعض العلماء العننة الى تميم خاصة ، ومنهم الخليل
ابن أحمد والأصمعي^(٤٥) وابن فارس^(٤٦) وابن جني^(٤٧) وجعلها
ابن دريد فى تميم ومن يليهم^(٤٨) وينسبها بعضهم الى تميم وقيس
وأسد^(٤٩) .

ولكن كثرة النصوص الواردة بالعننة ونسبتها الى قبائل متعددة
يؤدى بنا الى القول بكثرة القبائل البدوية التى شاركت تميما فى قلب
الهمزة عينا والاشارة الى تميم ، لأنها أكبر القبائل فى شرقى
الجزيرة .

والانتقال من الهمزة الى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من
الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه^(٥٠) .

وهى مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون الى نبرة عالية ،
لاتساع الصحراء والعين مجهورة ، أما الهمزة فهى - فى أدق
الآراء - لا مجهورة ولا مهموسة أو هى مهموسة على رأى بعض
المحدثين^(٥١) .

الشفحة :

هى قلب الحاء عينا مطلقا^(٥٢) سواء كانت حاء حتى أو غيرها ،
فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا فيقولون فى مثل : حلت الحياة لكل حى :

(٤٥) سر صناعة الاعراب ٢٣٤/١ .

(٤٦) الصحبى : ٣٥ .

(٤٧) سر الصناعة : ٢٣٤/١ .

(٤٨) الجهرة ١٦٠/١ .

(٤٩) تهذيب اللغة ١١١/١ وتاج العروس ٢٨٢/٩ .

(٥٠) الكتاب ٤٣٣/٤ وسر الصناعة ٥٢/١ .

(٥١) الوجيز فى فقه اللغة للانطاكى : ٢٠٠ وانظر كتابنا : اصوات

اللغة العربية .

(٥٢) سر الصناعة ٢٤٦/١ والمزهر ٢٢٢/١ والامالى ٧٠/٢ .

علت العيابة لكل عى ، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فى قوله تعالى (حتى حين) ، ونقل صاحب النهاية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — بلغه أن ابن مسعود يقرأ الناس بلغة هذيل « عتى حين » فقال : ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرأء الناس بلغة قريش^(٥٣) وقال الزمخشري : وفى قراءة ابن مسعود « ليسجننه عتى حين » وهى لغة هذيل ، وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ (عتى حين) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب اليه : ان الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسلام^(٥٤) وورد عنهم أيضا : وجلست عنده عتى الليل •

وبعض الباحثين يرى أن الفحفة خاصة بحاء (حتى) •

يقول أستاذنا الدكتور ابراهيم نجبا : المشهور فيها ابدال الحاء من حتى عينا ، وذكر القراءة (عتى حين) ونفذ من فريق من الباحثين أن الابدال ليس مقصورا على حاء حتى مثل : اللعم البؤمر الخ ثم يقول : وهذا النقل ضعيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم ، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على ابدال الحاء من (حتى) ولم يبدلها من (حين) فلو كان الابدال عاما لقرا بالعين فى كلتا الكلمتين فدل ذلك على أن الفحفة خاصة بحاء حتى^(٥٥) •

ولكن يبدو لنا أن ظاهرة قلب الحاء عينا مطلقا ثابتة لورود ذلك فى أمثلة لغوية ضمنتها المعاجم اللغوية مثل بحثر وبعثر وروى اللحياني قولهم : عصد الرجل اذا مات وحكى عن أبى ضبة قال :

(٥٣) : النهاية ١٨١/٣ •

(٥٤) : الكشف ٣١٩/٢ •

(٥٥) : اللهجات العربية د. نجا ٨٢ •

لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد^(٥٦) . وهذا التبادل كثير مثل ، الحبكة
والعبكة وهى الحبة من السويق^(٥٧) وضبحت الخيل وضبحت الى
غير ذلك .

ويرى بعض المستشرقين أن (عتى) — فى لغة هذيل — لها
صلة بكلمة (عدى) الموجودة فى بعض اللغات السامية وفى العربية
الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية (عد) بمعنى حتى فالحاء
تقابل العين والتاء تقابل الدال أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة احدهما
تتضمن على صوتين مهموسين والأخرى تتضمن على نظيريهما من
المجهورات وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتمة على
المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية ولا تكون هناك
فى هذه الحالة ظاهرة عامة تدعى الفحفة^(٥٨) وقد روى عن العرب
قلب الحاء عينا فى غير (حتى) مثل : علت العياة لكل عى وقولهم :
(اللحم الأعمر أعسن من اللحم الأبيض) فى اللحم الأحمر أحسن
من اللحم الأبيض^(٥٩) وتتسبب هذه الظاهرة لهذيل أو بعض
بطونها ولثقيف^(٦٠) وقد وجد هذا القلب فى الآية فى مصحف ابن
مسعود ومصحف الربيع بن خثعم .

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال
والانفتاح والاصمات إلا أن العين مجهورة ، والحاء مهموسة والحاء
رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة فأمكن تبادلهما ،

(٥٦) الإبدال لأبى الطيب ٢٤٦/١ .

(٥٧) الزهر ٤٦٦/١ .

(٥٨) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٠٩ .

(٥٩) مميزات لغات العرب : ١٣ وفى اللهجات العربية : ١٠٨ .

(٦٠) انظر المصادر فى هذا الموطن وابن عقيل ١٢/٣ ط دار الفكر
ولسان العرب ٣٢٨/٢ . حيث يقول : فى (عتى) هذلية ثقفية .

ولذا قال ابن جنى « لولا بحة فى الحاء لكانت عينا » (٦١) ويقول فى المحتسب مشيرا لظاهرة الفحفة :

« العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم بحثر ما فى القبور أى بعثر » (٦٢) وضبعت للخيال أى ضبعت وهو يحنظى ويعنظى اذا جاء بالكلام الفاحش فعلى هذا يكون (عتى وحتى) لكن الأخذ بالأكثر استعمالا وهذا الآخر جائز وغير خطأ .

والمعروف أن فى قبيلة هذيل ميلا الى البداوة ، اذ كانت مجاورة لبعض البدو على حين أن ثقيف من القبائل الحضرية ، وربما نسبت لها لتأثرها بمن ينطقها لكن بغض المحدثين ينفى وجود هذه الظاهرة وبنى هذا النفى على أمور :

١ — أن قصة قراءة ابن مسعود للآية (عتى حين) مشكوك فى صحتها فكيف ينهى عمر ابن مسعود عن القراءة بالعين مكان الحاء فى هذه الآية مع ما نقله عمر نفسه من استحسان الرسول ﷺ قراءة ابن مسعود حينما كان يسمر عند أبى بكر وكان عنده عمر فخرج رسول الله ﷺ وعمر وأبو بكر معه فاذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته فقال عمر : فلما كدنا أن نعرف الرجل قال : « من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد » (يعنى ابن مسعود) .

٢ — لم يسمع قلب الحاء عينا عن هذيل فى غير هذه القراءة

(٦١) سر الصناعة ٢٤٦/١ وتكلم عن هذه القراءة فى (حتى) فيقول : أبدلت العين من الحاء فى بعض المواضع قرأ بعضهم (عتى حين) يريد : حتى حين .

(٦٢) المحتسب ٣٤٣/١ .

المروية والمثال واحد لا يكي لاثبات اللهجة ، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تبدل فيها الحاء عينا .

٣ — نقل عن ابن مسعود القراءة بإبدال العين حاء فى بعض الآيات فى مثل قوله تعالى : « أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور » قرأها (بثر) بالحاء وهذا نقيض القراءة السابقة فى (حتى حين) .

٤ — وقوع القراءة بإبدال الحاء عينا فى (حتى حين) فى مصحف الربيع بن خثعم مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست مختصة بهذيل .

٥ — نسبة هذه الظاهرة الى هذيل تبعا لابن مسعود لأنه قرأ بها نسبة غير مقبولة لأن قراءة القارىء قد لا تعتبر لغة قومه فابن محيصن وابن كثير يقرآن (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا) بياء واحدة وهى لغة تميم مع أنهما مكيان فقد خالفا بذلك لهجة قومهما وبذلك فانه لا يتعين أن تكون قراءة ابن مسعود ممثلة للغة قومه الهذليين^(٦٣) على أن قبيلة هذيل متصلة بالحجاز ومساكنها قريبة منها والفحفة ظاهرة بدوية مما يبعد نسبة هذه اللهجة الى تلك القبيلة .

٦ — التسمية نفسها تحمل على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة فكلمة الفحفة اذا نظر اليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والمعجزة نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو

(٦٣) اللهجات العربية د. انيس ١٠٨ ، ١٠٩ واللهجات العربية فى التراث ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

الحرف المقلوب اليه. وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين الى الحاء لا العكس (٦٤) .

ولكننا نرى أن هذا النفى غير صحيح فالشك فى قراءة لا يؤدي الى اسقاطها الا اذا كان معتمدا على أوجه عدم صحة النقل وطرق الرواية وذلك لم يتوافر لصاحب النفى .

كما أن اعتداد الرسول بقراءة ابن مسعود يؤكد صحة الرواية وليس دليلا على نفيها وهو توجيه للقارئ للاتجاه الى الصفة العامة الغالبة وان صحت القراءة بغيرها أو يقرأ القرآن على وجوه كثيرة تبعا لتعدد القبائل وتيسيرا على الناطقين من المسلمين حسب لهجاتهم ، لكن فى مقام التعليم يلجأ الى الأقوى .

ولم يقتصر أمر هذه اللهجة على مثال واحد بل ورد غيره كما أن ما نقل عن ابن مسعود من القراءة بقلب العين حاء يؤكد صحة هذا النوع من التبادل ولا ينفى عكسه بل يؤيده من لجوء القبيلة الى كل منهما لما بين الصوتين من تقارب يدعو الى جذب أحدهما الى صاحبه .

كما أن نسبة هذه الظاهرة الى غير هذيل دليل على صحتها وعلى انتشارها فى مواطن عدة وهذا يثبتها ولا ينفيها .

ولذا نرى أن النفى دليل لا يعتد به .

المعجزة :

هى جعل الياء المشددة جيما فيقولون فى تميمى تميمج ، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين مثل : الراعي خرج معج فى قولهم :

الراعى خرج معي^(٦٥) وقال ابن فارس : وكذلك الياء المشددة تحول جيما فى النسب ، يقولون : بصرج وكوفج^(٦٦) .

ويقول السيوطى : ومن ذلك العجعة فى لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمي : تميمج^(٦٧) . وقال أبو عمرو ابن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج قال : قلت : من أيهم ؟ قال مرج يريد : فقيمي ومري ، وقال يعقوب : بعض العرب اذا شددت الياء جعلتها جيما^(٦٨) ، وفى حديث ابن مسعود : فلما وضعت رجلى على مذمر أبى جهل قال : أعل عنج أى تنح عنى^(٦٩) .

ومن ذلك قول الراجز : قال الأصمعى : حدثنى خلف قال : أنشدنى رجل من أهل البادية :

خالنى عويف وأبو علج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
تقلع بالود وبالصيصح

أراد : على — العشى — البرنى — الصيصى^(٧٠) .

(٦٥) يقول الرضى : ويبدل ناس من بنى تميم الجيم مكان الياء فى الوقف شديدة ، كانت الياء أو خفيفة . شرح الشافية ٢٨٧/٣ .
(٦٦) الصحبى ٣٧ وشرح المفصل ٢٠/١٠ .
(٦٧) المزهر ٢٢٢/١ والتهذيب ٦٨/١ .
(٦٨) سر الصناعة ٩٢/١ والابدال لأبى الطيب ٢٥٧/١ .
(٦٩) انظر النهاية ٢٩٤/٣ ولسان العرب ٦١/٦ ومذمر كمعظم الثقفا .
القاموس (ذمر) .

(٧٠) الأشمونى ٢٨١/٤ وابدال ابن السكيت ٩٥ ورواه ابن جنى عمى بدل خالى وروى غيره فلق وكتل وقطع مكان كسر وكلها بمعنى أجزاء الشيء والبرنج بفتح الياء وسكون الراء : من انواع التمر الجيد والود : الودد ، والصيصى : جمع صيصة وهى القرن والفعل تقلع مبنى للمفعول . انظر سر الصناعة ١٩٢/١ .

ومن ذلك ما أنشده ابن الأعرابي :

كأن في أذنانهن الشول من عبس الصيف قرون الاجل
يريد : الأيل •

وأنشد الفراء :

بكيت والمحترز البكج وانما يأتى الصبا الصبح
يريد : البكى والصبى (٧١) •

وفى الأمالى : ويمكن أن يكون (جار) لغة فى (يار) كما
قالوا : الصهاريج والصواب الصهارى وصهريج وصهرى لغة
تميم (٧٢) •

وقد تقلب الياء المخففة جيما فى مثل قول الشاعر :

يارب ان كنت قبلت حجتج فلا يزال شاحج يأتيك بج
أقمر نهات ينزى وفرتج

فالأصل : حجتى — بى — وفرتى (٧٣)

وكذلك قول هميان بن قحافة السعدى :

يطير عنها الموبىر الصهاجبا

يريد الصهاى — من الصهبة — (٧٤) فحذف احدى الياءين وقلب

(٧١) سر الصناعة ٩٣/١ ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٨ •

(٧٢) الأمالى ٢١٧/٢ •

(٧٣) سر الصناعة ١٩٣/١ وشرح شافية ابن الحاجب ٥١٦/٤ •

(٧٤) الوبىر أو الشعر الصهاى : ما فيه شقرة •

الأخرى جيما للشافية (٧٥) ، وبعضهم اشترط أن تجتمع الياء مع العين (٧٦) ولكن الظاهر فيما ورد من أمثلة عدم اشتراط ذلك .

كما أن الياء المشددة التى تبدل جيما يطلق عليها مصطلح (العججة) اذا وقعت آخر لا وسطا ، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف دون الوصل وبعضهم جعلها فيهما معا فمن الأولين سيديويه والسيرافى وابن يعيث والرضى ومن الآخرين ابن جنى والقالى والزمخشري (٧٧) .

والمشهور نسبة هذه الظاهرة الى قضاة (٧٨) وناس من تميم أو ناس من بنى سعد من تميم ونسبها صاحب الأمالى وابن السكيت الى فقيهم وحنظلة (٧٩) ونسبها الفراء فى الياء المخففة الى بنى دبير من بنى أسد ونسبها أبو زيد لأهل اليمن ، والأصمى الى طيء فى الياء المشددة ، والى بعض بنى أسد فى الياء المخففة (٨٠) ونسبت كذلك الى هذيل ، كما نقل عن ابن مسعود (٨١) .

(٧٥) سر الصناعة ١٩٣/١ والابدال لابن السكيت ٩٥ وشرح الشافية ٢١٦/٤ .

(٧٦) الصحاح ٣٢٨/١ والابدال لابن السكيت ٩٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧ .

(٧٧) فى لسان العرب : والعججة فى قضاة كالعنقة فى تميم يجعلون الياء جيما مع العين ٣٨/٨ (عجج) وفى مادة (شجر) روى تسبثها لناس من بنى سعد فى الوقف خاصة فاذا وصلوا لم يبدلوا كذلك فى كتاب سيديويه ١٨٢/٣ .

(٧٨) الكتاب ١٨٢/٤ وشرح الشافية ٢٨٧/٢ واللسان (عجج) .

(٧٩) الأمالى ٨٩/٢ والابدال لأبى الطيب ونوادر أبى زيد ١٦٤ .

(٨٠) الابدال لأبى الطيب ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

(٨١) لسان العرب ٦١/٦ .

وهكذا نرى اختلاف القبائل فى طريقة قلب الياء جيما ومواطنه
ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة بأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين
الحروف (٨٣) *

ويعد ذلك القدامى من الأبدال النادر أو القليل (٨٣) أو
الشائع (٨٤) وقد ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية ، لأنهما
من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى
أو أنهما قريبا المخرج وتشتركان فى بعض الصفات كالجهر والاستفال
والانفتاح والاصمات والنجيم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من
الياء الى الجيم سائعا وفى الجيم بعض الشدة التى تتناسب مع
البدو (٨٥) ويجرى الوصل مجرى الوقف (٨٦) *

وبهذا يتضح أن هذا الأبدال من خصائص بعض اللهجات
البدوية ، فطيء تسكن أواسط نجد وحنظلة من أكبر القبائل
التميمية تنسب الى حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم
وفقيم بطن من دارم من تميم العدنانية ، وبنو سعد من تميم
وبنو أسد من القبائل البدوية *

(٨٢) يقول سيبويه : انهم يبدلون الجيم مكان الياء لأنها خفية
فأبدلوا من موضعها أبين الحروف . الكتاب ١٨٢/٤ *

(٨٣) شرح التصريح ٣٦٧ والأشمونى ٢٨١/٤ *

(٨٤) الأشمونى ٢٨٢/١ *

(٨٥) انظر الكتاب لسيبويه باب الادغام .

(٨٦) شرح الشافية ٢٨٧/٢ .

الوتنم :

قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون في الناس « النات » (٨٧)
قال الشاعر :

يا قائل الله بنى السنعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

ويقال : ان ابدال السين تاء من قبيح البدل أو من قبيح
الضرورة (٨٨) وبعضهم يقول انه نادر (٨٩) أو على البدل الشاذ .

ولكن حكى عن أبي عمرو أن قلب السين تاء لغة وذلك قد ورد
في قراءة الناس : النات في قوله تعالى « قل أعوذ برب الناس »
وقال انها لغة قضاة (٩٠) .

ويقول الرجل لعدوه : لا بأس عليك : تأمينا له وهذا في اللغة
العامية وعند حمير يقال (لبات) وعليه قول الشاعر :

شربنا اليوم اذ غضبت غلاب بتسهيذ وعقد غير مين
تنادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذي رعين (٩١)

ولبات بلغتهم : لا بأس ، قاله الأزهري (٩٢) .

(٨٧) المزهر ٢٢٢/١ .

(٨٨) النوادر في اللغة لأبي زيد : ٣٤٥ ، ٤٢٣ .

(٨٩) شرح الشافية ٢٢١/٣ .

(٩٠) مختصر في شواذ القراءات لابن خالوية : ١٨٢ .

(٩١) غلاب : قبيلة . ذي رعين : حمير ذكره صاحب الأمالي في
الحديث عن غزو تبع الحمير بلاد العجم .

(٩٢) التهذيب ١٠٩/١٣ ، ١١٠ .

ويقال : الكرم من توسه وسوسه أى من خليقته ، ورجل حفيئاً وحفيئاً : ضخم البطن قصير^(٩٣) .

وأورد ابن جنى (ست) فى سدس والنات وأكيات فى الناس وأكياس وطست فى طس وختيت فى معنى خسيس ، وبذلك يتبين أن المسين أبدلت تاء فى أول الكلمة ووسطها وآخرها .

وأوضح ابن جنى رأيه فى أن المسين قلبت تاء فيما ذكر فى المثال الأول قلبوها تاء لتقرب من الدال التى قبلها والتاء مع ذلك حرف مهموس كما أن المسين مهموسة فصار التقدير : سدت فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا فى المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها فى الهمس ثم أدغمت التاء فى التاء فصارت (ست) كما ترى^(٩٤) ، وكذلك تحدث عن البوائى ، وفى الناس وأكياس أبدلت المسين تاء لموافقتها إياها فى الهمس والزيادة وتجاوز المخرج ، وفى ختيت أبدلوا المسين تاء ، وقد أكد الدكتور أنيس هذا التقارب الصوتى وقال : انهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج كما أن كلا منهما صوت مهموس ولم يبق إذا إلا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما فاذا افترقا سمعنا التاء وإذا لم يكن الالتقاء محكما ففى المسين^(٩٥) .

ونحن نلمح بعدا بين الحرفين فبينهما فى المخرج الصاد والزاي ولكن اشتراكهما فى طرف اللسان ربما كان سببا لهذا التبادل ، وإذا رجعنا الى ما قاله علماء اللغة نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة فبعض العلماء يجعل ذلك الذى هو ابدال المسين تاء لهجة تسمى بالوتم

(٩٣) الأمالى ٦٨/٢ .

(٩٤) سر الصناعة ١٧١/١ — ١٧٣ .

(٩٥) فى اللهجات العربية ١٠٥ .

وتنسب إلى أهل اليمن^(٩٥) ، ونسبها بعضهم إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية^(٩٦) ، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين إذ ليست العلاقة بسين التاء والسين قوية تسوغ التبادل وبالرجوع إلى المعاجم في كلمتي ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين - اشتقاقاً ومعنى - ففي مادة (خت) : الخت الطعن مداركة وموضع والختت محركة الفتور في البدن والختيت الخسيس والتأقص وأخت استحيا وفلانا أخس حظه^(٩٨) ، وفي مادة (خس) : وخس نصيبه جعله خسيساً دنيئاً حقيراً وخسست - بالكسر - خسة وخساسة إذا كان في نفسه خسيساً والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه تداولوه وتبادلوه^(٩٩) - فدلالة المادة الثانية على النقص والخسة والحقارة واضحة وحقيقية ودلالة المادة الأولى عليها من قبيل المجاز والتوسع المعنوي ونظراً لاختلاف المعاني - كما ترى - لم يكن هناك إبدال وأنا هو اتفاق معنوي تطوري .

وقد ورد في لسان العرب أن الطس والطسة بفتح الطاء وكسرها لغة في الطست وقال : ومن العرب من يثقل الطسة ويظهر الماء ، وأورد صاحبه رأياً ثالثاً نقله عن أبي عبيد فقال : قال أبو عبيد : ومما دخل في كلام العرب الطست والثور والطاجن وهي فارسية كلها^(١٠٠) .

وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع ونطقها قوم طس وآخرون طست فلا إبدال في الحقيقة بل اختلاف في طريقة التعريب .

-
- (٩٦) انظر ما سبق ص ١٨١ .
 - (٩٧) في اللهجات العربية ١٠٥ .
 - (٩٨) القاموس المحيط ١٤٧/١ .
 - (٩٩) المصدر السابق ٢/٢١٠ .
 - (١٠٠) لسان العرب ٤٢٨/٧ ، ٤٢٩٠٤ .

وفى موضع آخر أوضح ابن جنى أن التاء تقلب سينا عكس الأول — فى قول العرب :

استخذ فلان أرضا بمعنى اتخذ^(١٠١) ، وقد فسر ابن جنى هذا المثال على وجهين فقال :

وفى ذلك عندنا قولان :

أحدهما : أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قوله عز وجل (لو شئت لتخذت عليه أجرا) ثم انهم أبدلوا التاء الأولى التى هى فاء افتعل سينا كما أبدلوا التاء من السين فى ست لأن أصلها سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز ابدال كل واحدة منهما من أختها •

والقول الآخر : أنه يجوز أن يكون أراد استخذ أى استفعل فحذفت التاء الثانية التى هى فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من قولهم : تقى يتقى وأصله اتقى يتقى فحذفت التاء الأولى التى هى فاء •

ورأينا أن الابدال غير مستساغ هنا لأن مفرجى التاء والسين مختلفان — كما عرفنا — وهما مختلفتان فى الشدة والرخاوة والصفير ، وإن كان الدكتور أنيس أجاز وقوع الابدال بينهما •

وعلى ما نرى فاما أن يكون استخذ لغة فى اتخذ ، وتكون السين من خصائص البادية وتلحق بما يسمى (الوتم) أو نرجح القول الثانى لابن جنى •

الاستنطاء :

جعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء ، فأعطى يقال فيها : أنطى^(١٠٢) ومنه فى قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيصن وغيرهم وهى قراءة مروية عن رسول الله ﷺ : (انا أعطيناك الكوثر) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم — فى حديث الدعاء — « لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت » ومن كلامه ﷺ : « اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة »^(١٠٣) وقوله ﷺ : « اليد المنطية خير من اليد السفلى » وكتب ﷺ الى وائل بن حجر : « وأنطوا الثبجة » وقال عليه السلام لرجل : « أنطه كذا » يريد أعطه^(١٠٤) وقال الأعشى :^(١٠٥)

جياذك خير جياذ الملوك تصان الحال وتنطى الشعير^(١٠٦)

وواضح أن هذه الظاهرة جاءت فيما وليت فيه الطاء العين ، ولكن الدكتور أنيس يرى أن هذه الظاهرة وهى قلب العين

(١٠٢) الزهر ٢٢٢/١ والاقتراح ٥٠٤ واللسان (نطا) .

(١٠٣) البحر المحيط ٥١٩/٨ .

(١٠٤) النهاية ٧٦/٥ والبحر المحيط ٥٠٩/٨ والفائق ٧٦/٥ (نطا)
والانطاء : الانطاء . اللسان ٤٦٥/٦ .

(١٠٥) من بنى قيس بن عامر .

(١٠٦) البحر المحيط ٥١٩/٨ والامالى ٧٥/١ قال أبو على القالى : وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى : جياذك فى الصيف فى نعمة انظر الديوان ص ١٤٩ .

الساكنة نونا ليست خاصة بذلك ولم يكن الأمر مقصورا على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر ، فعمل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفميا ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معا فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست فى الحقيقة نونا بل هى (عين)

وفى زعمه أن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم ولم يصفوها لنا على حقيقتها (١٠٧) .

ولكننا نرى أن هذا اتهام للقدماء من الرواة الموثوق بهم دون دليل ، فهم وصفوا ما سمعوه ، وما ادعاه الدكتور أنيس من حدوث الاستنطاء فى غير المروى دعوى بلا دليل ويكفى ما ورد من أمثلة ليكون هو الأساس الذى ينبنى عليه تحقق هذه الظاهرة .

وإذا كان القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها مخرجا أو صفة (١٠٨) فإن العين والنون متباعدان مخرجا ، ولكن بينهما تقارب فى بعض الصفات وهى الجهر والتوسط والاستقبال والانفتاح وعلى ضوء هذا يسوغ التبادل بينهما ، لكننا لا ننظر الى العلاقة الصوتية لاختلاف اللهجات وربما كانت بقايا لهجية متخلفة بعد تهذيب اللغة .

ويرى الدكتور السامرائى أن « ملاك الأمر فى هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين فى أعطى وإنما جاءت من أن الفعل هو (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (آتى) بتشديد التاء ومعلوم أن فك الادغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى ابدال

(١٠٧) فى اللهجات العربية : ١٤٢ .

(١٠٨) سر الصناعة ١٩٧/١ .

النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول فى العربية (جندل) من
(جندل) بتشديد الدال وهذا معروف^(١٠٩) .

ويرى أحد المستشرقين أن أنطى مقابل للفعل (نطأ) العبرى
بمعنى مد يده الى فلان فقد صار الفعل على وزن (أفعل) فى العربية
بزيادة الهمزة^(١١٠) .

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن فى العربية الفعل (ناط)
بمعنى أسند الأمر لانسان ما ليقوم به والفعل فى العبرية (ناتا)
وهو فى الأميرية مزيد عليه الهمزة كالفعل العربى (أعطى) ووجود
النون فى العبرية فاء للفعل والميم فى الأثيوبية دليل على أن المادة
الأصلية للفعل العربى (ن ط ي)^(١١١) .

وهى آراء لا يسندها واقع الكلمة العربية التى قرئ بها فى
القرآن الكريم ناشئة عن الفعل (أعطى) فى البيئة العربية .

وقد نسب الاستنطاء الى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس^(١١٢)
والأنصار وفى اللسان أنها لغة أهل اليمن ، وفى البحر المحيط عن
التبريزى^(١١٣) أنها لهجة العرب العاربة^(١١٤) قال : ان (عنى) بالنون

(١٠٩) دراسات فى اللفة د. السامرائى ٢١٧ .

(١١٠) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٤٢ والمستشرق هو : رابن .

(١١١) العربية ولهجاتها ٥١ .

(١١٢) لعلها بنو تيس بن عامر من القحطانية . معجم القبائل العربية
لكحالة ١٧٢/٣ .

(١١٣) المزهر ٢٢٢/١ وتاج العروس ٢٥٨ ، ٢٥٩ ومميزات لغات
العرب : ١٥ .

(١١٤) البحر المحيط ٥١٩/٨ عند شرح قوله تعالى : (انا اعطيناك
الكوثر) .

فى (أنطيناك) هذه اللغة مكان العين فحسن وان (عنى) البذل الصناعى
فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسه للتصرف فلا يقال
الأصل العين ثم أبدلت النون منها •

وهى لهجة لا يزال بعض البدو ينطق بها فى الصحراء (١١٥)
كأعراب الفيوم الذين يرجعهم بعض الباحثين الى أصل عربى وأنهم
من بنى سعد (١١٦) ولعلها تناسب بيئة البدو •

الطمطمانية :

يذكر بعض اللغويين أن الطمطمانية معناها العجمة (١١٧) أو أن
يكون الكلام مشبها لكلام العجم قال الشاعر :

تبرى له حول النعام كأنها حرق يمانية لأعجم طمطم (١١٨)

وهى ابدال لام التعريف ميمًا •

يقول الثعالبي : الطمطمانية تعرض فى لغة حمير كقولهم : طاب
أمهواء يريدون : طاب الهواء (١١٩) •

وفى حديث أبى هريرة : أنه دخل على عثمان وهو محصور
فقال : الآن طاب امضرب أى حل القتال أراد طاب الضرب فأبدل لام
التعريف ميمًا وهى لغة عربية يمانية (١٢٠) •

(١١٥) مميزات لغات العرب ١٥ •

(١١٦) لغة هذيل ١١٥ •

(١١٧) الفائق ٢/٤٥٩ •

(١١٨) الكامل ١/٢٣٥ •

(١١٩) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ومجالس ثعلب ١/٧٣ •

(١٢٠) النهاية ٣/١٥٠ •

ويفرق ابن الأثير بين قلب النون الساكنة ميما مع الباء فى مثل
عنبر وشنباء وأنبيئهم وهو ما يسمى بالاقلاب — عند علماء الأداء —
وبين قلب لام التعريف ميما فى مثل طاب الهواء وهى الطمطمانيية
ويجعل النون لأهل اليمن فيقولون : وفى كتابه ﷺ لوائك بن حجر :
من زنى مم بكر فاصعقوه مائة أى اضربوه وأصل الصقع الضرب
على الرأس وقيل : الضرب بباطن الكف ومم بكر لغة لأهل اليمن
ومثله مم ثيب الخ ***

فقلب النون ميما أما مع بكر فلأن النون اذا سكنت قبل الباء
فانها تقلب ميما فى النطق نحو عنبر وشنباء وأما مع غير الباء فانها
لغة عربية يمانية كما يبدلون الميم مع لام التعريف (١٢١) وأهل اليمن
على هذا يبدلون النون ميما فى مثل مم بكر *

وروى عن شمر أنه سأل امرأة حميرية عن بلادها فقالت : النخل
قال ولكن عيشتنا امقمح — امفرسك — امعنب (١٢٣) امحماط طوب أى
طيب. ***

ويقول الحريرى :

« وقد روى عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (أم) فيقولون :
طاب امضرب يريدون : طاب الضرب ، وجاء فى الآثار فيما رواه
النمر بن تولب أنه ﷺ نطق بهذه اللغة فى قوله : ليس من امبر
امصيام فى امسفر (١٢٣) * »

وأنشد أبو عبيد : ونسب : الى بجير بن عتيمة الطائى :
ذاك خليلى وذو يواصلنى يرمى ورائى بامسهم وامسلمة

(١٢١) النهاية ٤٢/٣ ، ٣٦٣/٤ .

(١٢٢) الزهر ٢٣٩/١ . وانظر التهذيب ٤٢٤/١ ولسان العرب

٣٦٣/١٢ .

(١٢٣) درة الغواص ص ٢٤٩ والنهاية ٣٠٣/٣ والخصائص ٤١١/١ .

• أراد : بالسهم والسلمة وهى من لغات حمير (١٢٤) .

فأم هى أداة التعريف بلغة أهل اليمن بمعنى الألف واللام والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر اذا وصلت ولا تتنح كما تقطع ألف أم ، وفى البيت السابق وصل الميم باللام وبتحول الأزهري : والوجه ألا تثبت الألف فى الكتابة لأنها ميم جاءت بدل الألف ولللام للتعريف (١٢٥) .

ويروى ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلًا يقول : قام امرجل ، يريد : قام الرجل قال ثعلب : هذه لغة للأرد مشهورة (١٢٦) .

ويقول الأشمونى : مثل (ال) (أم) فى لغة طيء (١٢٧) وتبدل اللام فى أداة التعريف ميمًا — سواء كانت (أل) شمسية أم قمرية كما ذكرنا فى الحديث السابق ليس من امبر الخ وقام امرجل فهذا الابدال حادث فى كلام اليمنيين فيما فيه (أ ل) مطلقًا (١٢٨) . ولكن ابن هشام فى المعنى يذكر أن بعض طلبة اليمن حدثه بأن اليمنيين لا يبدلون اللام ميمًا فى (أل) الشمسية ويخصون ذلك بأل القمرية قال (حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول : خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لروايتها فى امسيم وامسلمة وفى الحديث ليس من امبر الخ دخلت على النوعين) (١٢٩) .

والثابت ابدالها فى الشمسية والقمرية على سواء ورواية الطلبة ليست حجة لأنها تعبر عن طريقة اليمنيين المحدثين وربما حدث تغير لغوى وتأثر بعرب الشمال ولا سيما فى هذه العصور المتأخرة .

(١٢٤) التهذيب ٤٤٧/١٢ واللسان (مسلم) .

(١٢٥) التهذيب ٦٢٥/١٥ .

(١٢٦) مجالس ثعلب ٥٨/١ .

(١٢٧) شرح الأشمونى ٥٩/١ .

(١٢٨) وانظر الهج للسيوطى ٢٧٣/١ .

(١٢٩) مغنى اللبيب مع حاشية الأمير ٤٧/١ .

وقد جعل ابن جنى ابدال اللام ميما شاذاً لا يسوغ القياس عليه (١٣٠) لأنه لم يسمع غير الحديث : (ليس من امبر امصيام فى اسفر) وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذى يقال : انه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث (١٣١) .

ونحن نرى تقارباً بين اللام والميم يسمح بالتبادل بينهما ، ولكن لأنهما لهجة مخالفة للشائع عدت شاذة تحفظ ولا يقاس عليها لكن ما سمع منها يحكى على ما هو عليه ، وقد نسبها الى حمير (١٣٢) غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين ، وبعضهم نسبها الى أهل اليمن أو طيء أو الأزدي وكلها قبائل يمنية جنوبية (١٣٣) لأن الأزدي من قحطان وطيء كذلك وهى قبائل كانت تسكن جنوب اليمن ، ونسبتها الى اليمن مشهورة .

(١٣٠) الخصائص ٤١١/١ .

(١٣١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ٨١ الوجهان ، وربما بنى ابن جنى رأيه على بعد مخرجيهما ولكن شيئاً آخر يسوغ هذا التبادل وقد ورد الحديث فى مسند الامام أحمد بلهجة حمير وهو حديث كعب بن عاصم الأشعري : حدثنا عبد الله عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعري وكان من أصحاب السقيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس من امبر الحديث . . مسند أحمد ٤٣٤/٥ وورد الحديث بلام التعريف فى فتح الباري ٧/٩ ، ١١ فى كتاب الجهاد والسير والمغازي والصيغة الاولى ربما كانت فى التحدث الى يمينيين ولعل اختلاف الرواية لاختلاف المقام الذى قيلت فيه .

(١٣٢) انظر المغنى لابن هشام ٤٧/١ والهمع ١٧٩/١ .

(١٣٣) النهاية ١٣٩/٣ والبيان والتبيين ٢١٣/٣ ومغنى اللبيب ٤٧/١ ، ٤٨ والهمع ٧٩/١ ودرة النواص ٤٩ والاشموني ٩٦/١ ، ٩٧ وشرح الشافعية ٢١٥/٣ واللهجات العربية د. نجا ٤٨ وفى اللهجات العربية د. أنيس : ١٤٢ عزاءها هؤلاء الى طيء وعزاءها ثعلب فى المجالس الى الأزدي ونسبها ابن يعيش فى الفصل ٢٠٠/٩ وابن منظور فى اللسان ٨٣/١٠ الى اليمن .

وبعض المحدثين ينبغي أن ينسب إبدال اللام ميما في أداة التعريف إلى حمير لأن الحميريين لا يستعملون ذلك في التعريف ، وإنما أداة التعريف عندهم (ن) أو (ان) ويزعم أن الحديث المروى في ذلك ضعيف أو مكذوب وضعه اللغويون شاهداً على الطمطمانيّة وأن الرسول تكلم بلسان حمير ، ويرى أن تنسب هذه الظاهرة إلى بعض عشائر طيء^(١٣٤) ولكن ما رآه هذا المحدث غير صحيح ، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث ويتجرؤ غير مقبول ، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة ، فقد ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل^(١٣٥) وفي موطأ الإمام مالك^(١٣٦) وفي منتخب كنز العمال في سنن الأقبوال والأفعال للمنتقى^(١٣٧) وللغفهاء استدلال بهذا الحديث في شأن المسافر •

وقد نسبت الطمطمانيّة إلى حمير وإلى اليمن^(١٣٨) •

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هي اليمنية والحق أن الحميرية شيء واليمنية شيء آخر^(١٣٩) •

والواقع أن هذا المدعى من التفريق بين حمير واليمن غير صحيح ، فاليمينية تشمل الحميرية ، وحمير كبرى الدول اليمنية وتنسب

(١٣٤) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٧٦/٨ •

(١٣٥) ٤٣٤/٥ •

(١٣٦) ٩٨/٢ •

(١٣٧) هامش مسند أحمد ٣٤٤/٣ •

(١٣٨) شواهد العينية على الأشموني ٩٦/١ وشرح الفصل ٢٠/٩ •

(١٣٩) اللهجات العربية في التراث ٣٩٩/١ ودراسات في اللغة العربية

د. خليل نامى : ٤٥ •

اليها اللهجات اليمنية فيقال اللهجات الحميرية أحيانا والسبئية أحيانا أخرى (١٤٠) .

وبين اللام والميم نسب قريب إذ هما من الأصوات الذلقية ولخارج متقاربة وبينهما اشتراك فى بعض الصفات كالجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة — خلافا لسيبويه فى اللام فانها شديدة عنده — والاستفال والانفتاح (١٤١) .

(١٤٠) انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها .

(١٤١) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

الامالة والفتح^(١)

الامالة : أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف ان كان بعدها ألف نحو الياء والا فالمال الفتحة وحدها مثل : نعمة وبسحر ورأيت خبط رياح ومن عمرو والفتى ، والهدى ، وملهى ، وأرطى^(٢) ، وباع ، وعالم ، وكاتب ، والضحي ، وشمال^(٣) وسربال (وانا اليه راجعون)^(٤) ونحو ذلك^(٥) .

هذا هو النوع المشهور بين القراء حتى ليكاد يفهم عند اطلاق اسم الامالة لدى الباحثين فى القراءات واللغة .
وقد أضاف ابن جنى الى ذلك ألوانا أخرى من الامالة :

١ — الفتحة المالة نحو الضمة :

وهى التى تكون قبل ألف التقخير نحو الصلاة والزكاة ودعا وغزا ، وقام وصاغ وقال : كما أن الحركة أيضا هنا ، قبل الألف ، ليست فتحة محضة ، بل هى مشوبة بشئ من الضمة ، فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة ، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها .

(١) قد يسمون الامالة الكسر والبطح والاضجاع ، ويسمون الفتح النصب .

(٢) الأرطى : شجر من شجر الرمل اللسان ط بيروت ٣٢٥/١ .

(٣) الشمال والشمال واحد بمعنى اليد الشمال ، والشمال : الناقة الخفيفة السريعة . اللسان ٣٧١/١١ .

(٤) فإذا كانت الفتحة وحدها — بدون الف — أمليت نحو الكسرة مثل نعمة وبسحر ، وان كانت مع الفتحة الف — أى بعدها — ذهبت الى جهة الياء كالفتى ونحوه ، وسيأتى شرح الامالة فى الأمثلة بعد .

(٥) سر الصناعة ٥٨/١ ، ٥٩ ، والأشمونى ٢٢٠/٤ — ٢٣٥ ، وأوضح المسالك مع المنار ٣٥٠/٢ — ٣٥٩ ، والنشر ٣٠/١ .

وإمالة الفتح الى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جنى أوضحه على الصورة النسألقة وقال : ان ملح الامالة فله هو الذى تسبب فى أنهم كلبوا الصلوة ، والزكاة واللىوة ، بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو ^(٦) ويقصد بذلك كتابتها فى المصحف العثمانى ^(٧) .

٢ — الكسرة المشوبة بالضممة :

نحو : قلى ، وبلع ، وعلض ، وسلق ، فكما أن الحركة ، قبل هذه اللاء ، مشوبة بالضممة ، فاللاء بعدها مشوبة بروائى الواو .

وهذا قد تعرض له القدماء ، عند حديثهم عن بناء الفعل للمجهول ، وسموه بالاشمام ، يقول الأشمونى شارحا كلام ابن مالك : (واكسر أو اشمم فا) فعل (ثلاثى أعل . . عىنا) واويا أو يائيا ، فقد قرىء : « وقلى يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء ألقى وعلض الماء » بهما ، والاشمام هو : اللتان بحركة بين الضم والكسر ، وقد يسمى روما .

ويقول الصبان : الحركات ست : الثلاث المشهورة ، وحركة بين الفتحة والكسرة ، وهى التى قبل الألف الممالسة ، وحركة بين الفتحة والضممة ، وهى التى قبل الألف المفخمة ، فى قراءة ورش ، نحو : الصلاة والزكاة ، واللىاة ، وحركة بين الكسرة والضممة ، وهى حركة الاشمام ، فى نحو : قلى ، وعلض ، على قراءة الكسائى ^(٨) .

(٦) غير أن ابن جنى يقول بإمالة نحو دعا وعلزا (الى اللاء) لأنها تتلوا إليها عند البناء للمجهول نحو دعى وعلزى — بضم اللاء وكسر العين — وهو عند سلبويه مطرد ، وقال المبرد : انه قلىع . ابا الاسم ذو الواو مثل الصلاة والزكاة فلا يمال عندهم . انظر : الأشمونى ٢٢٢/٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ .

(٧) سر الصناعة ٥٦/١ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٨) الأشمونى مع الصبان ٦٢/٣ ، ٦٣ .

والاشمام فصيح وان كان قليلا^(٩) وقد قرىء به فى القرآن الكريم : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم » قرأ الجمهور (سىء) بكسر السين ، وأشمها نافع وابن عامر والكسائى ، وهكذا : « سيئت وجوه الذين كفروا » أشمها الضم أبو-جعفر والحسن ، وأبو رجاء ، وشيبة ، وابن وثاب ، وطلحة ، وابن عامر ، ونافع ، والكسائى^(١٠) .

وعلى الرغم من حديث القدماء عن ذلك فإنهم لم يفصحوا عن الالة الموجودة فى هذا المسلك اللغوى ، ولكن ابن جنى أوضحها •

٣ — الضمة المشوبة بالكسرة :

مثل : مررت بمذعور ، وابن بور ، نحوت بضمة العين ، والمباء نحو كسرة الراء ، فأشمتها شيئا من الكسرة ، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولا كسرة مرسله فكذلك الواو ، أيضا ، بعدها ، هى مشوبة بروائح الياء •

ومثل ذلك : الفعل المبني للمجهول الأجوف فان بنى فقعس ، ودبير ، يضمون أوله ، فتقلب ألفه واوا ، فيقال فى باع : بوع ، وفى حاك : حوك كقول الشاعر :

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت
وكقول الآخر :

حوكت على نيرين اذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

وبعض القبائل يميل الضمة فى الفعلين — وأمثالهما — نحو الكسرة ، وليس ذلك من الشيوع والكثرة ، كغيرها من اللهجات^(١١) •

(٩) المغنى فى تصريف الأفعال ٢٠٢ .

(١٠) المصدر السابق ٢٠٣ .

(١١) الاشمونى ٦٣/٢ واللهجات العربية د. نجا ٧٧ .

وقد شرح ابن جنى الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث الامالة من الفتحة إلى غيرها من أخواتها ، وهى الكسرة والضمة ، دون العكس ، بأن نحى بالكسرة والضمة نحو الفتحة •

وقد اعتمد حديثه ، على أن الفتحة هى أول الحركات ، وأدخلها فى الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء ، والواو ، لأنهما فى طريقها ، فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة ، أو الضمة ، ولو تكلفت أن تشم الكسرة ، أو الضمة ، رائحة من الفتحة ، لاحتجت الى الرجوع الى أول الحلق ، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت ، بتراجعه الى ورائه ، وتركه التقدم الى صدر الفم ، والنفوذ بين الشفتين فلما كان فى اشمم الكسرة ، أو الضمة ، رائحة الفتحة ، هذا الانقلاب والنقض ، ترك ذلك فلم يتكلف ألبة (١٢) •

وأما انتحائهم ، بالضمة نحو الكسرة ، وإن كان فيه رجوع الى الورا ، فلأن بين الضمة والكسرة ، من القرب ، والتناسب ما ليس بينها ، وبين الفتحة ، وهو — مع ذلك — قليل مستكره ، ألا ترى الى كثرة : قيل ويبيع ، وغيض ، وقلة : نحو : مذعور وابن بور •

وهذا الدليل قوى ، لأن الرجوع الى الخلف ، صعب على اللسان ، وجواز ذلك بين الضمة ، والكسرة ، راجع الى اشتراكهما فى معنى الثقل ، وطبيعة التكوين المخرجى ، الأمر الذى يجعل كلا منهما ، يشبه الآخر من هذا الاتجاه ، فيصير الجو مهيئاً ، لاستقبال واسطة بينهما عن طريق الامالة ، فأما الفتحة ، فهى حركة مستعذبة ، وهى

(١٢) سر الصناعة ١/ ٦٠ ، ٦١ وقد بنى ابن جنى هذا التحليل الصوتى على ما لاحظته من أن الحلق ، والفم يفتحان مع الالف وأن الاضراس وجنيتى اللسان ، وظهره مع الحنك الأعلى تكون لها صورة خاصة ، حال النطق بالياء ، وأن الشفتين تستديران عند بروز صوت الواو ، فلجل ذلك جعلها مرتبة على الوضع المذكور ، وعليه بنى احساسه بالانتقاض لصعوبة تحقيق خصائص كل منها ، حال الرجوع الى الخلف •

طريق آخر غيرهما ، فامتنع الرجوع منهما اليها ، للبعد الصوتي ، وعدم القدرة على مباشرة النطق ، على الهيئة المطلوبة ، ومع جواز امالة الضمة الى الكسرة ، فانه أمر مستكره ، على ما بينا .

وقد وصف القدماء ظاهرة الامالة ، وأوضحوا أسبابها ، على نحو فتح الطريق أمام المحدثين ، ليقولوا كلمتهم حسب نظريات علم الأصوات الحديث^(١٣) .

فقد ذكروا لها أسبابا عدة ، وجعلوا السبب الرئيسى ، منها : هو التناسب ، يقول الأشمونى : (اعلم أن الغرض الأصلي منها هو التناسب ، وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره ، كما سيأتى^(١٤)) وذلك أن النطق بالفتحة ، والألف ، تصعد واستعلاء ، وبالكسرة والياء ، انحدار وتسفل ، فاذا أملت الألف قربت من الياء ، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة ، فتصير الأصوات من نمط واحد ، فى التسفل والانحدار^(١٥) وعبر عن ذلك ابن جنى بقوله « لضرب من تجانس الصوت »^(١٦) وجعل سيبويه هذا التقريب التماسا للخفة^(١٧) .

كما عللوا لذلك بسببين آخرين ، أحدهما لفظى وهو : الياء ، والكسرة ، وثانيهما ، معنوى وهو : الدلالة على ياء أو كسرة ، وبينوا — من خلال ذلك — أن أسباب امالة الألف ثمانية :

١ — انقلابها عن الياء مثل : الفتى ، والهدى وهدى ، واشترى .

(١٣) انظر فى اللهجات العربية د. أنيس ٤ — ٥٩ وغيرها ورسالة الدكتور عبد الفتاح شلبى للماجستير عن الامالة فى القراءات واللهجات العربية .

(١٤) الأشمونى ٢٢٠/٤ ، ٢٢١ .

(١٥) المصدر السابق ٢٢٠/٤ ومنار السالك ٣٥٠/٢ والنشر ٣٥/١ .

(١٦) سر الصناعة ٥٨/١ وشرح المفصل ٥٤/٩ .

(١٧) الكتاب ١١٧/٤ وانظر المفصل — نقلا عنه — ٥٤/٩ ، ٥٥ .

٢ — مآلها الى الياء ، فى بعض التصارييف كآلف ملهى وأرطى
وغزا ، لقولهم : ملهيان ، وأرطيان ، وغزى بالبناء للمفعول^(١٨) .

٣ — كون الألف مبدلة من عين فعل يتول عند اسناده الى التاء
الى قولك (فلت) بكسر الفاء ، سواء كانت تلك الألف ، منقلبة عن
عن ياء ، نحو : باع ، وكال ، وهاب ، أم عن واو مكسورة ، كخاف
وكساد .

٤ — وقوع الألف بعد الياء ، متصلة كبيان ، أو منفصلة بحرف ،
كثيبان ، وجادت يداه ، أو بحرفين ، أحدهما الهاء ، نحو : دخلت
بييتها .

٥ — وقوع الألف قبل الياء كبايعته ، وسأيرته .

٦ — وقوع الألف بعد الكسرة ، منفصلة اما بحرف ، نحو :
كتاب وسلاح ، أو بحرفين ، أحدهما هاء نحو : يريد أن يضربها ، أو
ساكن نحو : شمالا وسرداح^(١٩) أو بهذين وبالياء نحو :
درهماك .

٧ — وقوع الألف قبل الكسرة ، نحو : عالم ، وكاتب .

٨ — ارادة التناسب ، وذلك اذا وقعت الألف ، بعد ألف فى
كلمتها ، أو كلمة قارنتها ، قد أميلتا لسبب ، فالأول كرايت عمادا ،
وقرأت كتابا ، والثانى كقراءة أبى عمرو والأخوين (والضحى)
بلامالة ، مع أن ألفها عن واو الضحوة لمناسبة (سجد) وما بعدهما .

(١٨) لذلك مستثنيات معروفة فى فن الصرف .

(١٩) السرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثرة اللحم ، والسرداح
المكان اللين وأرض سرداح : بعيدة والسرداح : الضخم أو القوى الشديد
التام . اللسان ٢/٤٨٢ .

كما أن الفتحة تمال لوقوعها قبل حرف من ثلاثة :

١ — الألف : وقد مضت ، وشرطها : ألا تكون فى حرف ، ولا فى اسم يشبه ، « وذلك لأن الامالة نوع من التصرف وهو لا يدخل الحرف ولا ما يشبهه » *

٢ — الزاء : بشرط كونها مكسورة ، وكون الفتحة فى غير ياء ، وكونهما ، متصلتين ، نحو : من الكبر ، أو منفصلتين بساكن غير ياء ، نحو : من عمرو ، ورأيت خبط رياح *

٣ — هاء التانيث : وانما يكون هذا فى الوقف ، خاصة ، كرحمة ، ونعمة ، لأنهم شبهوا هاء التانيث بألفه (٢٠) ، لاتفاقهما فى المخرج ، والمعنى ، والزيادة ، والتطرف والاختصاص بالأسماء ، وعن الكسائى امالة هاء السكت — أيضا — نحو : (كتابيه) والصحيح المنع ، خلافا لثعلب ، وابن الأنبارى (٢١) *

وقد نظر المحدثون الى هذه الأسباب المختلفة ، وفسروها تفسيراً يتناسب مع طبيعة التطور ، الذى خضعت له اللغة العربية ، كسائر اللغات ، والكائنات فى تاريخها الطويل *

فالمعروف أن الامالة اشتهرت عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها مثل : أسد ، وعبد القيس ، وتميم ، وتغلب ، وطى ، وبكر ابن وائل *

كما اشتهرت على السنة قراءة الكوفة ، بالعراق فى القرن الثانى الهجرى ، أمثال : حمزة ، والكسائى ، وخلف *

(٢٠) أى بألف التانيث مثل ذكرى ونحوها .

(٢١) انظر فى كل هذه الأسباب : الأشمونى وأوضح المسالك ، واللفظ لابن هشام ، وانظر كتب القراءات مثل النشر واتحاف فضلاء البشر وغيرهما .

كما كان لها تأثير واضح — أيضا — على السنة علماء الكوفة ، وأهلها ، واستمر ذلك حتى عصر أبي عمرو الداني ، في القرن الخامس الهجري ، فقد قيل للكسائي : انك تميل ما قبل هاء التانيث فقال : هذا طباع أهل العربية قال الحافظ أبو عمرو الداني : ان الكسائي «يعنى بذلك» (٢٢) ان الامالة لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم الى الآن ، وهم بقية أبناء العرب» (٢٣) .

وهؤلاء وأولئك متأثرون بالقبائل العربية التي هاجرت الى العراق من شرقى الجزيرة ، ووسطها ، وهم أرباب الامالة السابقون .

وهذه القبائل بدوية ، تميل الى عدم وضوح الأصوات ، والخلط بينها ، ولا ريب أن الامالة تخلط بين الصوتين ، فهي تجعل الفتحة قريبة من الكسرة ، والألف قريبة من الياء ، وهكذا تقرب الأصوات ، أو تتجانس ، ويحدث التناسب بينها .

وهذا يساعد على سرعة النطق ، وعدم بذل مجهود عضلى كبير ، وهو من خصائص البدو .

ويبدو أن الامالة ، كانت شديدة ، لدى قبائل وسط الجزيرة ، لتوغلهم في البداوة وبعدهم عن الحضار ، على حين كانت خفيفة لدى قبائل شرقها ، لتأخمتهم مدن العراق (٢٤) .

أما الفتح — كما يسمونه وهو عدم الامالة — فانه يؤدي الى فصل الأصوات ، واعطاء كل منها حقه من النطق ، وهذا يحتاج الى

(٢٢) الاشارة الى امالة ما قبل هاء التانيث .

(٢٣) النشر ٨٢/٢ .

(٢٤) في اللهجات العربية ٩٠ ، ٩١ .

جهد عضلى كبير ، وهو من صفات المتحضرين الذين يميلون الى الأناة ، وعدم السرعة فى النطق ، وحياتهم المستقرة تدعوهم الى بذل مجهود أكبر ، لابرار الأصوات فى صورة واضحة ، متناسقة •

ولذلك اشتهر الفتح عن قبائل غربى الجزيرة ، من سكان الحجاز كثریش ، وثقیف ، وسعد بن بكر ، والأنصار ، وكنانة ، وهوازن •

والامالة والفتح ، حركتان تدخلان ضمن أصوات اللين ، سواء كانت الحركة قصيرة كامالة الفتحة ، أو طويلة ، كامالة الألف ، والفرق بين القصيرة والطويلة ، فى الأصوات اللينة ، لا يعدو أن يكون فرقا فى المدة ، التى يستغرقها النطق بكل منهما •

واللسان ، مع الفتحة ، يستوى فى قاع الفم ، ومع الكسرة يرتفع الى أقصى درجة فى الارتفاع بحيث لا يصدر حفيفا •

فعند استواء اللسان ، فى قاع الفم توجد حالة الفتح ، وعندما يرتفع ينشأ وضع الامالة •

وتبعا لمقدار الارتفاع تكون الامالة شديدة أو خفيفة •

فالذى يلاحظ أن وضع اللسان عند الحضرى يختلف عنه عند البدوى ، فهو عند الأول مستوفى قاع الفم ، وهو عند الثانى مرتفع فى اتجاه الحنك الأعلى ، وهذا يحمل الاشارة بأن العرب كانت تتخير لنطقها ما يتفق مع طبيعتها الاجتماعية •

وقد قسم الدكتور ابراهيم أنيس الامالة الى نوعين مختلفين :

١ — صوت لين خالص ، تكون من صوت لين مركب •

٢ — تغير فى مقياس صوت من أصوات اللين •

وقال : اننا « نلاحظ الحالة الأولى ، حين يكون صوت اللين طويلا ،

ومنقلبا عن أصل ، من أصول الكلمة ، يأتيا كان أو واويا ، ففي مثل
الفعلين : باع ، وقال ، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان
ينطق بهما (بيع وقول) ثم تطور الصوت الأول (ai) الى (e)
والصوت الثانى (au) الى (o) أى أن فتحة فاء الكلمة فى
الفعل الأول ، قد أميلت الى الكسرة ، وأنها فى الفعل الثانى ، قد
أميلت الى الضمة .

وعلى هذا اذا قيل لنا : ان من أسباب امالة ألف المد ، كون
أصلها ياء ، كما فى (باع) وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى ،
قد تطور أولا ، الى الامالة ، ثم تطورت الامالة الى الفتح ، أى أن
المراحل التى مر فيها مثل هذا الفعل (باع) هى (بيع) ثم (امالة)
ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا الى (æ)
ثم الى (e) وهكذا يرجح الدكتور أنيس أن بعض الكلمات العربية التى
اشتملت على ياء أصلية ، قد تطورت أولا الى الامالة ، ثم الى
الفتح (٢٥) .

واستنتب من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح ، قد
قطعت مرحلة أخرى ، فى تطور لهجاتها ، على حين أن بعض القبائل
فى وسط الجزيرة ، وشرقها قد احتفظت بمرحلة الامالة ، التى هى
أقدم حين تكون الياء ، أصلية فى الكلمات .

ويرجع السرفى احتفاظ البدو بهذه الظاهرة ، الى أنهم عرفوا
بها ، فتعصبوا لها .

وقارن بين هذا النطق الفصيح ، وبين ما تطورت اليه بعض
اللهجات الدارجة فى مصر فى مثل كلمات (ليه وايه) ففي الفيوم

(٢٥) للاقتصاد فى الجهد العضلى ، والميل الى السهولة التى يلجا
اليها الانسان فى معظم ظواهره الاجتماعية .

يقولان لاه ، وعشان آه و (شىء) (ai) تطورت الى (شىء) (e)
بل يقولون : شاء عجيب (٢٦) .

أما حين تعرض الامالة ، لغير أصل من أصول الكلمة ، كامالة
الفتحة أو امالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا الا نوعا
من الانسجام بين أصوات اللين ، لتقليل الجهد العضلى ، وهو منسوب
الى القبائل البدوية أيضا ، لأن الحضريين يميلون الى وضوح
الأصوات وفصلها (٢٧) .

وقد استنتج — بناء على هذا — أن كلمة (كتاب) — كما ينطق
بها بغير امالة — أقدم فى نسجها منها مع الامالة .

ومن هنا انتهى الى أن امالة الفتح الى الكسر ، يجب فى الحقيقة
أن يعزى الى أحد عاملين :

١ — الأصل الياى .

٢ — الانسجام بين أصوات اللين .

وجعل من الثانى الانتقال من الكسر الى الفتح فى تلك الأفعال
الثلاثية التى رويت لنا مرة ، مثل : فرح ، وأخرى مثل : فتح ، دون
تغير فى معناها مثل : خطف ، خبط ، قنط ، وصورة فرح أقدم ،
وقد تطورت الى صورة فتح ، ليتحقق الانسجام بين الحركات (٢٨) .

وتطور الأصوات ، وانتقالها من حال الى حال ، لا يؤمن بها
بعض القدماء ، كابن جنى ، فهو لا يعترف بأن ما قرروه أصلا ، كان
مستعملا فى زمن ما ، يقول : هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من

(٢٦) فى اللهجات العربية ٥٤ — ٥٧ .

(٢٧) المصدر السابق : ٩١ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

يسمعه ، لا حقيقة تحته ، وذلك قولنا : الأصل ، فى قام ، قوم ، وفى باع : بيع ، وفى طال : طول ، وفى خاف ونام وهاب : خوف ، ونوم وهيب ، وفى شد : شدد ، وفى استقام : استقيم ، وفى يستعين : يستعون ، وفى يستعد : يستعد ، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ ، وما كان نحوها ، مما يدعى أن له أصلا ، يخالف ظاهر لفظه ، قد كان مرة يقال ، حتى أنهم كانوا يقولون فى موضع : قام زيد : قوم زيد ، وكذلك : نوم جعفر ، وطول محمد ، وشدد أخوك يده ، واستعد الأمير لعدوه وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به الا على ما تراه ، وتسمعه .

وانما معنى قولنا : انه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجيء الصحيح ، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمال وقتنا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه ، فيما بعد الى هذا اللفظ ، فخطأ ، لا يعتقده أحد من أهل النظر^(٢٩) .

ولسنا مع ابن جنى فى كل ما قال ،

فهو يدعى أن الأصول المتروكة لم تستعمل مطلقا ، فى أى زمن مضى ، ولو أنه حدد ذلك بما بعد عصر تهذيب اللغة ، ونزول القرآن الكريم بها ، لكان حكمه مقبولا .

أما وقد أطلق القول بذلك فى كل الأزمان دون تحديد ، فإنه غير دقيق ، اذ يختلف أمر اللغة ، أبان نشأتها ، عنه بعد اكتمالها ، ونزول القرآن الكريم بها .

فقد كانت ، الأصوات ، والمفردات ، والتراكيب ، — فيها أول أمرها — غير ناضجة ، ففيها الأصوات المتناثرة ، والكلمات الحوشية ،

(٢٩) الخصائص ٢٥٦/١ ، ٢٥٧ .

والتراكييب السقيمة ، وقد تخلصت من كل ذلك بعد صراع اللهجات •
بنشأة لغة عامة مهذبة تكلم بها العرب جميعا ، ونزل بها كتاب الله
العزیز •

ولو قبلنا رأى ابن جنى من بعض جوانبه فسلمنا له بأن بعض
هذه الأصول لم يستعمل يوما ما ، فأننا لا نستطيع أن نسلم له ،
أن الأصول جميعها لم تستعمل مطلقا ، إذ أن بعض هذه الأصول
لم يزل يستعمل — بعد عصر تهذيب اللغة — ، فهي بقايا تدل على
أن أصولا أخرى كانت تستعمل كذلك ثم تغيرت واستقامت على
منهج قويم •

ويعترف ابن جنى باستعمال بعض هذه الأصول القديمة قبل
التهذيب فيقول : « اعلم — مع هذا — أن بعض ما ندعى أصليته ،
من هذا الفن ، قد ينطق به على ما ندعيه من حاله ، ومن ذلك :
أطولت ، وضننوا ونحوهما فانها تخرج هكذا منبهة على أصل الباب ،
وشد وزن ، وفر ، واستعد ، واطمأن ، الأصل فيها : اشد ،
واضنن ، وافرر ، واستعد ، واطمأنن ، فهذان الاستعمالان —
بالادغام والفتك — كما يقول — لغتان حجازية وتميمية (٣٠) •

فالذى نؤمن به أن التطور ، قد عمل عمله ، فى اللغة العربية ،
حتى تهذبت ، واكتمل نموها ، فى لغة عامة ، نزل بها القرآن الكريم •

وقد اعتقد ذلك رأى الأستاذ عبد الله العاليلى الذى قال :
« ان كل هذه التقديرات ليست الا حيلة المتحيل ، وأما هى من الوجه
الحق ، فليست بأكثر من كونها أثرا من آثار التطور العام ، الذى
تخضع له كل لغة ، فى سيرها الارتقائى ، وتبقى هذه البواقي ،
والمختلفات ، لأسباب مكانية وظرفية ، أو لأن التطور لم يتم دورته »

بما يكفى لأن يأتى على كل موائل الوجود المضموم» (٣١) •

ويقول أيضا : « ليس الاعلال من اصطناع النحاة ، بقدر ما هو من عمل العربى ، وعمل النحاة ، تصرف أسلوبى فقط ، لأن الاعلال حقيقة راهنة ، فى صميم اللغة ، وهذا يدل على رقى عقلية العرب » (٣٢) •

كما قرر التطور فى حركات الكلمة ، وقال : انه ليس افتراضا ، بل بقى فى العربية ، ما يدل عليه ، ولذلك قيل : ليس فى كلام العرب (فعل) بكسر الفاء وضم العين الا حبك ، وشرح هذا المثال عندنا : أن أصله (حبك) بكسر الحاء وضم الباء ولما قضت العربية ، باستئصال هذا البناء ، والماتته ، نقلوا كلماته ، بأحد وجهين ، أما اتباع الفاء للعين ، (حبك) بضممتين واما اتباع العين للفاء (حبك) بكسرتين ولما كان الاتباع فى الضم قليلا نظن بأن العربية قد قصدت أن تستقر عليها بالكسر ، ويقول العليلى : لكن الجمع بين الكسر والضم ، لازما حيث كان ينبو الطبع عنه ، فاهمل (٣٣) •

وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة فى القول بالتطور اللغوى ، بما فى ذلك تطور صيغ الامالة فيما رآه الدكتور أنيس •

وقد بنى الدكتور أنيس تفسيره للنوع الأول من تلك الصيغ على أساس سكون الياء ، أو الواو ، فى الأصل ، على حين يذكر القدماء أن الأصل فى مثل هذه الصيغ حركة العين •

قال ابن جنى : « كان الأصل فى قام : قوم ، وفى خاف : خوف ، وفى طال : طول ، وفى باع : بيع ، وفى هاب : هيب ، فلما

(٣١) مقدمة لدرس لغة العرب ١٧٩ ، ١٨٠ •

(٣٢) المصدر السابق ٢١٦ ، ٢١٧ •

(٣٣) المصدر السابق ص ١٨٢ •

اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء ، وحركة الواو ، والياء ، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو ، والياء ، الى لفظ تؤمن فيه الحركة ، وهو الألف وسوغها — أيضا . — انفتاح ما قبلها^(٣٤) .

واذا جاز هذا الاحتمال ، فلعل العرب قد استتقلوا النطق ، مع توالى أشياء ، متجانسة ، فبعضهم تخلص من ذلك بالقلب ألفا ، وبعضهم الآخر تخلص بالامالة .

أما تفسيره للنوع الثانى ، الذى قصد به التناسب ، فهو مبنى على أن الامالة مرحلة متأخرة فى بعض الكلمات .

ومع فقدان الدليل التاريخى ، فى مثل هذه الأحوال ، فاننا لا نمنع أن يكون شىء من التطور — لاختلاف بعض القبائل عن بعض فى النشأة وعوامل الاجتماع — قد اعترى اللغة ، وموادها فى نشأتها الأولى ، وقد صار ذلك اتجاها لهجيا فيما بعد ، وقد استقرت الأولى لدى البدو . وانتشرت الثانية فى الحضر ، ولجأت اليها اللغة النموذجية ، للوضوح ، والفصل بين الأصوات ، ومخارج الحروف ، والحركات ، التى هى من أخص خصائص الحضارة ورقى الاجتماع .

وأما تجويز المتأخرين من النحاة ، والقراء ، للأمرين ، — الامالة والفتح — فى الألفاظ التى يمكن تحقيقها فيها ، فذلك ليس راجعا الى جوازه بين العرب ، الأولين ، بحيث كان الواحد ، أو الطائفة

(٣٤) سر الصناعة ٢٥/١ .

منهم ، تنطق بالكلمة ، طورا ممالاة ، وطورا آخر مفتوحة ، لأنه
ممنوع عليهم ، كما بينا •

وانما الجواز الذى أرادوه بالنسبة للسان العرب بعد أن أصبح
لغة عامة ، لا قبلية^(٣٥) فمن الجائز لنا الآن أن ننطق بأى الصورتين ،
فكل منهما لهجة عربية صحيحة منذ بدايتها ، ولذا لا يجوز أن نرمى
المتأخرين بالخطأ فى قولهم بجواز الامالة^(٣٥) •

(٣٥) الامالة فى القراءات واللهجات العربية ١٠١ وجمع الجوامع
ط ١٣٢٧ ج ٢ ص ٢٠٠ •

الهمز والتسهيل

الهمزة : صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماءنا القدامى ومن الحنجرة — على ما توصل اليه علم الأصوات — وهى صوت مجهور. شديد عند التقدماء ، ولا مجهور ولا مهموس — على أرجح الآراء فى العصر الحاضر — وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوى وانفجار وفرقة شديدة ، ولذا كانت تحتاج الى مجهود عضلى كبير حال نطقها ، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض فى نطقها والتمسك بها فى كلامهم ، فوجدنا منهم من يحققها ، ووجدنا منهم من يخففها ببدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها^(١) والهدف من ذلك التخفيف فى هذا الصوت القوي بتحويله الى أصوات لينة ليتمكن نطقها بيسر وسهولة ، ولكن فريقا من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتتمسك بها ومع ما يبدو من هذا التبادل الشكلى لا توجد علاقة صوتية تسوغ ذلك :

١ — فالألف صوت انطلاقى مجهور أى حركة أو مصوت على نقيض الهمزة .

٢ — والهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان والياء من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك والاعلى .

٣ — والهمزة صوت انفجارى شديد وهما انطلاقيان (لينان) .

٤ — والهمزة صوت ذو وجود صوتى وسياقى (فونوثيغى وقونولوجى) أما هما فوجودهما انطلاقى سياقى (قونولوجى) فحسب مهما تكن أحوال وجودهما فى المادة اللغوية .

(١)، المقتضب : ٥٢/١ .

هـ - الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وهما مجهوران إلا في حالة خاصة وهي حالة الوقف على مثل الصفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس في هذا الموقع ، وهو ما يقع أحيانا لحركات أو آخر الكلمات في حالة ما سماه القدماء بالروم ، وهي حالة من حالات الوقف (٢) .

وتبعا لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى الى حوادث الإبدال بين الهمزة والواو والياء والألف ومن هؤلاء (هنرى فليش) فقد ذكر ان سبب الإبدال هو الاحداث الصوتية التي تلتزم بها اللغة العربية الفصحى وتفسر جانبا من علم الصرف وأهم مبادئ هذه الاحداث ما يلي :

(أ) من ناحية المقطع : كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج في المقطع المقفل مثل : احمأر - وقراءة (ولا الضالين) فهما في الأصل : احمار - ولا الضالين - فتجنبت المقاطع الجديدة بإبدال الألف همزة ، وفي مثل وجوه ووسادة (wo) - (we) يتمكن الصوت المزدوج فيكره ولذا تبدل الواو همزة فيقال : أجوه ، اساده .

(ب) من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات : كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغيرها والصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها تتمثل في الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغيرهما كالواو مع الكسرة .

(ج) من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة : ضعف الواو والياء بين المصوتات .

(٢) القراءات القرآنية : ص ٤٨ والأصوات اللغوية ص ٤٣ .

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الابدال ونرى ضعف هذه القاعدة لما يلي :

١ - لم يفرق فليش - بمقياسه السابق - بين أنواع الابدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره .

٢ - لم يستطع فليش تفسير ابدال الهمزة تفسيراً وافياً فهناك أمثلة كثيرة مثل : ووعد ووووفى والطبى والدلو ونأى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wi - yi - wu ومع ذلك لم تقلب همزة .

٣ - اعتبر فليش ما سوى التراكيب الصوتية ayi - awi - awu يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان aya - awa وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين لولا أن القياس قد وحد النموذج اللغوى وقد نص القدماء على كراهة العرب النطق بمثل هذه التراكيب أيضاً وصرح بذلك ابن جنى فقال :

« وانما كان الأصل فى قام قوم وفى خاف خوف وفى طان طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهى الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فهربوا من الواو والياء الى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها » (٣) .

وفى الأمثلة التى ذكرها ابن جنى يوجد التركيبان aya - awa وقد عدهما مكروهين ولم يقل بالقياس على النموذج اللغوى وبذلك تقل الحاجة الى منهج فليش بالقياس الموحد .

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال « القدماء أخطأوا في تصور الابدال فيما سبق لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الابدال »^(٤) ، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول « واننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل في رأينا لن يتأتى الا من طريق التحليل الصوتي للعناصر المركبة أعنى تحليل المزدوج أولا الى عناصره البسيطة ومن طريق هذا التحليل نستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السياق الصوتي »^(٥) ، وقد أقام نظرية جديدة لتفسير ابدال الهمزة على أساس النبر وأوضح مبادئ تتعلق بالمشكلة وهي خصائص نطقية تكونت للسان العربى من أهمها ما يأتى :

١ — الأصل والأغلب في الوقف السكون ولكنهم لم يطبقوا ذلك منهجيا بل اعتبروا حروف العلة وأشباهاها سواكن لا حركات ولئن جاز ذلك بالنسبة لأشباه حروف العلة فانه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها الا لضرورة نحوية أو دلالية •

٢ — قالوا لا يبتدأ بساكن بل بمتحرك ولكنهم لم يعتبروا الحركة الا اذا كانت تابعة لحرف وبدهي أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهاها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات •

٣ — العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية وبذلك تفسر كراهيتهم لتوالي الحركات الذى يضعف النظام المقطعى^(٦) •

(٤) القراءات القرآنية ص ٧٧ •

(٥) المصدر السابق ص ٧٨ •

(٦) المصدر السابق ص ٧٨ ، ٧٩ •

وعلى هذا يتضح رأى المؤلف فى ان الهمز كان لدى العرب
ذا وظيفتين : الهروب من تتابع الحركات ، والمبالغة فى النبر فيتحول
بذلك نبر الطول الى نبر توتر^(٧) وعلى هذا الأساس قرر نظريته ،
ولنتقريبها نقول :

الهمزة اما بدل من واو أو ياء أو ألف ، فاذا كانت الواو أو الياء
فى كلمة فاما أن تكون فى أولها أو وسطها أو آخرها كما قررنا ،
فاذا كانت فى آخرها مثل كساء وبناء يقول الدكتور شاهين انه
لا ابدال فى هذا بل ان العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد
اقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الابدال بل من أجل
تصحيح نهاية الكلمة^(٨) ويقرر انه لا توجد واو ولا ياء وانما هو ضمة
أو كسرة فبالتحليل الصوتى لكلمة كساء ترى Kisaw

← Kisau ← Kisa ، ويتأكد ذلك بالنطق فنحن نقول كساو
فننطق ضمة بعد الألف وبناء فننطق كسرة بعد الألف فالقطع مفتوح
وان بدا شكليا أو الواو والياء ساكتتان ، والحقيقة أن الملتقى فتحة
طويلة ١٠ ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالقطع مفتوح فلما
أريد اقفاله للوقف حولت الحركة الى همزة ، وقد فسر ألف التأنيث
المدودة بذلك فقال انها تحولت الى همزة لكراهية العرب الوقف
على مقطع مفتوح^(٩) ، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل
حبلاً ورأيت رجلاً وهو بضربها والوقف بهاء السكت مثل قه وارمه
وغلامهوه وغلامكيه وواجعفره هربا من المقطع المفتوح ، فالقطع قد
أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الاقفال وهما متشابهان الهمزة
والهاء اذ هما من الأصوات الحنجرية ويود الدكتور شاهين لو أطلق

(٧) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٨) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٩) المصدر السابق ص ٨٤ .

على الهمزة اسم السكت مثل الهاء^(١٠) ، وإذا كانت الواو أو الياء في وسط الكلمة مثل قاول وبائع وقلويد وعجأوز ونياف وسياود فإنه يفسر الإبدال في ذلك بأنه أتى بالهمزة هرباً من تتابع الحركات فقاوّل بالكتابة الصوتية qawil وبائع bayi ثم أصبحتا bau, qawil فيثبتين من ذلك التقاء ثلاث حركات متتابعة ، ففي الأول (قاول) الفتحة الطويلة والمضمة القصيرة والكسرة القصيرة وفي الثاني (بايع) الفتحة الطويلة والكسرتان القصيرتان ولذلك نبر المقطع الثاني بالهمز فصار qawil قائل ، bai بائع^(١١) ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضاً بأنواع أخرى من النبر .

١. — قول وبيع ليس فيهما موقع نبر .

٢. — قول وبيع بتشديد العين — مزدوج اكتسب مناعة بالتشديد وهو نوتر نبرى^(١١) .

٣. — خطايا تغير النبر الى طول الحركة وهذا عند من لا ينبرون^(١١) .

٤. — وقد وصف نوعاً من النبر لا تحول معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة وانما يفصل بين عنصرى المزدوج بالهمز بعد أن كانا متصلين وهذا من خصائص الناطق البدوى وقد لجأ الى ذلك نتيجة شعوره بأن الانزلاق بين العنصر الأول من عنصرى المزدوج الى العنصر الثانى لا يحقق صورة النبر كما تعودها فكان الهمز وسيلة الى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئاً ، وهذا يتأتى فى مثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا :

xutuut	←	xutuut	خطوات	←	خطوات
tafa' ut	←	tafaut	تفاوت	←	تفاوت

(١٠) المصدر السابق ٨٥ ، ٨٦ .

(١١) المصدر السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .

turi' anni	←	turianni	اما ترينى ← ترئنى
ma'itun	←	maitun	انهم مايتون ← مائتون
durri' un	←	durriun	درى ← درىء
ta' ammamu	→	ta - i - ammamu	تيمموا ← تأمموا

وسقط فى المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (١) من (aia) وهذا من أجل النبر (١٣) ، أما اذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل وواصل ووعاء ووقتت ووجوه فقد فسرته على أنه قد نبر الى الهمز لعدم امكان النطق بحركة فى بدء الكلمة ولو كتبنا الكلمة الأولى وواصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى WAW ASIL وتكتب عند التحليل الى Ua - Ua - Sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a - wasil (١٣) ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه الى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة (١٤) .

أما ابدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسرته على أساس النبر فيقول : ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين (١٥) ، وفى مثل ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضا نفس المبدأ فيقول لا يمكن تفسيره بغير

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٣) المصدر السابق ص ٩١ .

(١٤) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(١٥) المصدر السابق ص ١٢٨ .

النبر الذى تعودته السنة بعض بنى أسد ، هذا هو اتجاهه العام وان كان قد تعرض الى أن ما نحن بصدد من أمثلة الهمزة هو من الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضالين لغة كما قال أبو حيان وأبو الفتح^(١٦) ونسب بعض الهمز السابق الى بنى أسد وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها^(١٧) .

نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين :

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره على أنه لا إبدال فيه ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير ، ولكن مقاييسه لم تف بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات :

١ — وفيه ثلاث نقاط :

(أ) تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخر الكلمة وقال ان السبب فى احلال الهمزة محلها فى هذه الحال هو أن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد اقفاله والواقع أن الكلمات لم توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدي معنى مقصودا وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف فاذا قيل كساو الصيف خفيف وبنائ البيت ثابت الدعائم مثلا فليس هنا وقف على مقطع مفتوح وكذلك لو نطقنا كساو وبنائ (بالتثوين) لم يوجد المقطع المفتوح أيضا .

(١٦) المصدر السابق ص ١٢٦ ، ١٢٧ وقراءة اشتروا الضلالة لغة عند الكسائى وهى عند البصريين لحن فالظاهرة لهجية وان لم تقبلها قواعد البصريين ويزيد أمرها وضوحا نسبتها الى قبيلة غنى من قبائل وسط الجزيرة (يهزون ما لا يهز) كما يقرره صاحب اللسان ١٧/١ وراثت زوجى — لبأت بالحج الخ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(ب) ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة في مثل غاي وراى وطاو وراو مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف ؟ ولماذا لم يحدث ذلك فى مثل التراخى والفيافى والتسامى مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح فى حال الوقف أيضا ؟ *

(ج) على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيراً لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة فى مثل قراء وقلبها واوا فى مثل صحراء وترجيح أحدهما فى مثل كساء وبناء وعلباء ، ولو سلمنا له بأنه يعكس للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لأقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حبلاً فيقال حمراً مثلاً ؟ فلم يختص كل بطريق ؟ على أنه قد تبع بروكلمان فى أن علامة التأنيث تطورت على النحو التالى à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربى كان ينطق بها حمرت — تم حمرة — ثم حمرى ، ثم حمراء ، وهذا التطور لا دليل عليه ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرت — أو حمرة بالرجوع الى أصل سابق وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور . *

٢ — وقد تحدث أيضاً عن الواو والياء فى وسط الكلمة وسبب تغييرهما الى همزة بأنه لتتابع الحركات ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاول وبائع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما ؟ ، كذلك يماثل عجائز ونيائف جداول وقساور ومعاول ومقاول فما الفرق الذى سبب القلب أولاً ومنعه ثانياً ؟ ، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الجركات مما يستدعى الهرب منه الى النبر بالهمزة ولم يحدث . *

٣ — على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز فى الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أولاً فبعضها يجب همزه مثل

وواصل — وواق — وولى وبعضها يجوز مثل وسادة — وشاح —
وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل — يواقيت — وورى *

ولست مع المحدثين فى اعتبار الواو والياء غير المدتين حركتين
فان التقسيم القطعى يؤكد اعتبارهما صوتين ساكنين مثل : يقع ويذر
ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكون من ثلاثة مقاطع كل
منهما مكون من صوت ساكن . لين قصير وفى مثل : وجوه لا يمكن
الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنه اذا كانت كذلك فقد قلبت
الضمة (u) على هذا الفرض همزة فى أجوه ، ومن أين أتت
ضمة الهمزة بعد القلب المذكور ؟

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط *

-ولسنا نشك لحظة فى أن ما تعودده اللسان العربى فى معاملته
للواو والياء وللهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التى لم يألها غير أن
أسباب هذه الكراهات تحتاج فى الحقيقة الى شئ من التحليل
يكشف عن مدى ما تحتويه من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله الى
المخالفة أو التصرف بصورة ما هربا من هذا الذى يكرهه (١٨) *

وتخفيف حرف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وتناولوا
به وذلك متحقق أيضا فى تخفيف الهمزة وتحويلها الى واو أو ياء أو
ألف وذكر ابن سيدة أن شيوع ابدال الهمزة لشبهها بحروف العلة
من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها ومن أجل
أنها من أقصى الحلق فاذا أبدلت أولا جرى اللسان الى جهة القدام
فهذا يطرد عليه الابدال فلأجتماع الشئيين من مناسبة حروف العلة
وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لاخراج المرف جاز أن
تبدل من غيرها (١٩) *

(١٨) المصدر السابق ٧٨ *

(١٩) المخصص ٥٦٨/١٣ ، *

وقال أيضا أن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة ،
وقد تحدث علماء الصرف عن هذا النقل حتى انهم قالوا في تعريف
الاعلال :

تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف^(٢٠) .

وعدوا الهمزة من حروف الاعلال وقالوا : انها حرف شديد
مستثقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الاستثقال شاع فيها التخفيف
لنوع من الاستحسان^(٢١) ومن هنا منع وقوع الهمزة في كلمة فاء
وعينا معا أو عينا ولاما معا وعل ذلك ابن جني بثقل الهمزة فكيف
بالمهمزتين معا ، قال في سر الصناعة : « وانما لم تجتمع الفاء والعين
ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل في
الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به متكلفا فاذا
كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما — لا سيما
اذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعينا أو عينا ولاما — أخرى
فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توالى فيها همزتان أصلا ألبتة^(٢٢)
فلهذا كان الابدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة ولأجله أيضا
خففت الهمزة بتسويلها وجعلها بين بين وكل ذلك من ضروب التخفيف
وألوانه .

والهمزة لأنها صوت حنجري شديد مما يناسب البيئة البدوية
وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهي أساسا من لهجات تميم وقيس
وبنى أسد ومن جاورهم والتسهيل في أصله لهجة البيئة المتحضرة
وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش في مكة والأوس والخزرج في
المدينة .

(٢٠) شرح الشافية للحسيني ١٨٥ .

(٢١) شرح الشافية للعصام ص ١٥٠ .

(٢٢) سر الصناعة ٨١/١ .

ولم يكن الحجازيون جميعا يعيدون عن تحقيق الهمز الى تسهيله يدل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سماهم سيبويه (أهل التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كاخوانهم من القبائل المخففة له .

يقول سيبويه : « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة وذلك قليل رديء » (٢٣) .

ومن قبائل الحجاز (عكل) التي هي من طابخة ، وطابخة من خندف التي سكنت الحجاز ونسب اليها ابن جنى (ترقؤه) فقال انها لغة لبعض عكل (٢٤) .

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جنى قال : ان بعض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفى به طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفا بها ومصانعا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة (٢٥) وسمعا بعضهم من بنى كلاب (٢٦) .

وقد حاول ابن جنى تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقاءها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فاذا اضطروا الى تحريكه قلبوه الى أقرب الحروف منه وهو الهمزة (٢٧) .

(٢٣) الكتاب ١٧٠/٢ واللسان ١٤/١ : اتى النبی صلی الله عليه وسلم رجل فقال له : يانبيء الله قال الرسول صلی الله عليه وسلم له : « انا معشر قريش لا ننبر » . التهذيب ٢١٥/١ .

(٢٤) الخصائص ٢٠٧/٣ .

(٢٥) المصدر السابق ١٢٦/٣ .

(٢٦) اللسان ١٤/١ .

(٢٧) سر الصناعة ٨٢/١ .

وهو صورة من صور التوتر النبرى على لسان بعض البدو (٢٨) *

وقد قال عيسى بن عمر : ما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم أصحاب النبر وأهل الحجاز اذا اضطروا نبروا (٢٩) *

والمراد بالنبر الهمز وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة فى بيئة نجد والعكس فى بيئة الحجاز فقد قرأ أهل الكوفة قول الحق سبحانه :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » بالياء والتخفيف (٣٠) (ومن يوت) *

وكذلك قرئت هذه الآيات : (قال يا آدم أنبيئهم بأسمائهم) أنبيهم — (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون) — مستهزون — بغير همزة (٣١) وتخفف بنو أسد لرؤف وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبرىء ونبىء *

وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوى *

(٢٨) القراءات القرآنية ١٩٨ .
(٢٩) اللسان ٢٢/١ ، والكتاب ٥٣/٣ .
(٣٠) مختصر الشواذ ص ١٧ .
(٣١) المصدر السابق ص ٢ وما بعدها .

إبدال الهمزة من حروف العلة

الأمثلة التي تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور منها
ما يكون واجبا ومنها ما يكون جائزا ومنه ما يعد شاذا *

ومن أمثلة ذلك :

١ - أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوبا : حمراء وصفراء وصحراء
— علاء — كساء وقضاء وبناء — عباءة وصلاة — عطاءة — علباء
وحرباء — أولى *

٢ - أمثلة تبدل فيها الهمزة جـوازا : أقتت ووقتت — أجوه
ووجوه — أشاح ووشاح ، اءاء ووءاء — اسادة ووسادة — أناة
ووناة — أسماء ووسماء — ألك ويلك — رثبال وريبال — أدّه ويده *

٣ - أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذا : الضالين — جان — شابة
— دابة — اشعال — ادهأمت — أبيض — المشتق — أحب المؤقدان الى
مؤسى — العالم — الخائتم — نار — قوقأت الدجاجة — حلات
السويق — رثأت المرأة زوجها — لبأ الرجل بالحج^(١) — سواتهما ،
أقى السوتنتنة^(٢) — ربا^(٣) *

والذى يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة صوتية ، وقد
أوضح بعض المحدثين المفارقات بين حروف العلة الثلاثة وبين الهمزة
من عدة وجوه كما ذكرنا *

(١) ينظر فى هذه الأمثلة : سر الصناعة ٨٢/١ — ١١٥ والخصائص
١٤٢/٣ — ١٤٩ والمحاسب ١٤٦/٢ ١٤٧ ، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة
فيه والمفصل ٩/١٠ وما بعدها .
(٢) المحاسب ٧٢/١ .
(٣) المصدر السابق ٤٤/٢ .

ويقسم القدماء الهمز — كالأمثلة المذكورة — الى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد والى مخالف له فلا يطرد ، وقد اطرده عنهم قلب ألف التأنيث همزة ، وابدال الهمزة من الواو والياء منه ما يكون واجبا قياسيا ومنه ما يخرج عن القياس وذلك فى موضعين : أحدهما : أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها والآخر : أن ترتجل همزا لا أصل له ولا قياس يعضده ، فم أمثلة الأول : خطائى ومنه قولهم : غفر الله له خطائئه ودريئة ودرائى ، ومن الثانى أمثلة كثيرة ذكر بعضها هنا كالعالم والسأسم والخأتم وكلا النوعين غير مقيس^(٤) وكله شاذ غير مطرد فى القياس^(٥) وقبال أبو العباس : قلت لأبى عثمان : أتقيس ذلك ؟ قال : لا ولا أقبله^(٦) .

والتفسير الحق يجعل الأمثلة التى وصفت بالجواز والشذوذ من اختلاف اللهجات ولم يكن ذلك بعيدا عن فهم بعض القدماء فقد نبه عليه ابن جنى بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية فيقول — معلقا على قراءة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) يا الهمز — : حكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله :

وبعد انتهاض الشيب من كل جانب

على لمتى حتى اشعل نهيما^(٧)

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها

(٤) الخصائص ١٤٢/٣ وما بعدها .

(٥) سر الصناعة ١٠٢/١ .

(٦) المصدر السابق ٨٣/١ .

(٧) المصدر السابق ٤٧/١ والمحاسب ٤٧/١ .

ويقول عن مثل العالم والخاتم انه « قد حكى عنهم » فالى من يعود الضمير ؟ انه لا شك عائد الى العرب الذين يدأب على ذكر اسمهم في هذا الموضوع كأن يقول — فيما سبق هذا : فان قيل : فلم قلبت العرب لام فعلى — بفتح الفاء اذا كانت اسما وكان لامها ياء — واوا الخ وقوله : فالجواب : أنهم انما فعلوا ذلك الخ^(٨) .

وهذا كلام يفصح عن أن هذا التحقيق للهمز وعدمه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقين لكل منهم اتجاه في النطق غير أن ابن جنى لا يكاد يفصح عن اسمى الفريقين اعتمادا منه على أن قارئ كتبه على معرفة بلهجات العرب .

ويذكر الأزهرى أن عطاء لغة فى عظاية واعاء لغة فى وعاء^(٩) ونسب صاحب البحر الى هذيل قولهم فى (وعاء) : (اعاء) عند تفسيره قوله تعالى : (من وعاء أخيه)^(١٠) قال : وقرأ ابن جبير (من اعاء) بابتداء الواو المكسورة همزة كما قالوا : اشاح واسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولا همزة^(١١) وتنسب أيضا لتميم^(١٢) وكذلك همزها بنو عقيل ، ومثلها الحوٓت فى الحوت همز شاذ وينسب همز المشتق لبعض بنى سليم ، نقل الأزهرى عن الفراء قال : سمعنا أعرابيا من بنى سليم ينشد :

فانها حيل الشيطان يحتل

وقال وغيره من بنى سليم يقول : يحتال بغير همز .

(٨) سر الصناعة ٩٩/١ ، ١٠٠ .

(٩) التهذيب ١١٨/٣ .

(١٠) يوسف ٧٦ .

(١١) البحر ٣٣٢/٥ .

(١٢) الابدال لابن السكيت ص ٥٦ ، ٥٧ .

قال : وأنشد بعضهم •

يا دار مي بدكاديك البرق سقيا وان هيجت شوق المشتاق

وغيره يقول المشتاق (١٣) •

وعد من همز التوهم همز ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز روى ذلك الفراء عن بعض العرب قال : وسمعت امرأة من غنى (١٤) تقول : رثأت زوجي بأبيات كأنها لما سمعت : رثأ اللبن ذهبت الى أن مرثية البيت منها قال : ويقولون : لبأت بالحج وحلأت السوق فيغلطون لأن حلأت يستعمل في طرد الوارد عن الماء ومنعه منه يقال : حلأته عن الماء : طردته ومنعته وحلأ السوق : حلاه همزوا غير مهموز لأنه من الحنواء ، وورد في اللغة : لبأت — بتشديد الباء وتاء التأنيث — وقع اللبأ وهو أول اللبن — في ضرعها ، ويقال : لبأ بالحج — كلبى ، فكأنه من اللبأ » (١٥) •

وفى شأبة ودأبة نسب الهمز الى بنى كلاب وعقيل وتميم وهذيل (١٦) وعلى ذلك وصف بالشذوذ لخروجه على القواعد •

ونسب الهمز فى (جؤن) الى عقيل ، وهم فرع من تميم (١٧) والى تميم والكلمة بالواو لأهل الحجاز (١٨) ، وبعضهم يصف الكلمة بالواو بأنها خطأ يقولون : (جونة والصواب جؤنة وجمعها جؤن) (١٩) •

(١٣) التهذيب ٢٤١/٥ (حال) •

(١٤) غنى من قيس وهى من القبائل التى تميل الى الهمز . جمهرة

انساب العرب ص ٢٤٤ •

(١٥) التهذيب ١٢٤/١٥ ، ٦٨٣ ، ٢٣٤ والقاموس ١٣/١ ، ٢٨ •

(١٦) المصدر السابق ٦٩١/١٥ باب الهمز وتحقيقه والدرر اللوامع

٢٣٠/٢. والمنصف ٢٨١/١ •

(١٧) التهذيب ٤/١١ وقلائد الجمان ص ٢١٠ •

(١٨) المزه ٢٧٦/٢ •

(١٩) تثنيف اللسان ص ٨٥ •

وقال أبو بكر الأنباري : الحدأ جمع الحدأة وهو طائر ٠٠٠ وقال أبو حاتم : أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر : الحديا وهو خطأ ويجمعونه الحدادي وهو خطأ ، قال الأزهري : وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم فكأنه لغة في الحدأ والحدياتصغير الحدو^(٢٠) . لكن لا يصح وصف ذلك بالخطأ لأنه لهجات .

وهي لغة أهل اليمن^(٢١) وكذلك آخذه وواخذه لغة لأهل اليمن^(٢٢) ، والطائيون كانت مساكنهم باليمن قبل أن يجاوروا بنى أسد^(٢٣) فانتقلت معهم الظاهرة بعد الرحيل وأهل الحجاز أوصدت الباب اذا أطبقت عليه شيئا وتميم تقول آصدت^(٢٤) .

إبدال حروف العلة من الهمزة

إبدال الواو :

١ — من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفا مثل جون في جؤن وسولة في سؤلة وفي تخفيف : هو يضرب أباك : هو يضرب وباك : وفي تخفيف : هو يقتل أخاك : هو يقتل وخاك فالواو هنا مخرصة وليس فيها شيء من بقية الهمزة^(٢٥) .

وتقول أيضا في أخيت وأخيت : فالواو بدل من الهمزة لأن

(٢٠) التهذيب ١١/ ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢١) المصباح المنير ص ٨ ، ٩ .

(٢٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٢٣) معجم ما استعجم ١/ ٦٠ وقلائد الجمان ص ٧٢ .

(٢٤) المزهر ٢/ ٢٧٧ .

(٢٥) سر الصناعة (الأزهري) الوجه الثاني من الورقة ص ١٠٩ .

وانظر التهذيب ١١/ ٢٠٤ .

لام الكلمة واو فهي مأخوذة من الأخوة ولا توجد كلمة فاؤها ولا مها واو وقرأ ورث وأبو جعفر (لا يواخذكم الله باللغو) (٢٦) .

٢ — من همزة مبدلة كقولك في تخفيف : يملك أحد عشر هو يملك واحد عشر ، وفي يضرب أناة : يضرب وناة وذلك أن الهمزة في أحد وأناة بدل من واو وأصله وحد لأنه من الواحد وامرأة أناة من الونى وهو القتور (٢٧) .

٣ — من همزة زائدة مثل أن تقول : غلام وحمد في غلام أحمد وفي هو يكرم أصرم هو يكرم وصرم فالهمزة في أحمد وأصرم زائدة (٢٨) .

إبدال الألف :

١ — إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة تبدل من الثانية ألف مثل آدم وآمين وهذا الإبدال واجب .

٢ — اجتماع الهمزتين المتحركتين في أول الكلمة مثل أنذرتهم يجوز تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وبألف بين الهمزتين وحذف الأولى منهما إذا فهم المعنى .

وفي هذه الآية اجتمعت همزة الاستفهام وهمزة القطع في الفعل (أنذر) وفيها عدة أوجه : (٢٩)

(٢٦) سورة البقرة الآية ٢٢٥ وانظر الاتحاف ١١٧ .
(٢٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ٢٠٤/١ .
(٢٨) المصدر السابق (دار الكتب) ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ والأزهر ، الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٩ وانظر القاموس ٤/٣٩٩ ، ٤٦٧ .
(٢٩) الاتحاف ٤٤ ، ١٢٥ ، والنشر ٣٦٣ .

— قرأ بتحقيق الهمزتين عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم
وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ورش من طريق الأصبهاني وابن كثير
ورويس وغيرهم ، ومعنى تسهيل الهمزة جعلها بين بين يقول سيبويه :

« اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فانك تجعلها اذا
أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير
أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف » (٣٠) .

وقرأ بألف بين الهمزتين أنذرتهم ابن عباس وعبد الله بن أبي
اسحاق وهشام في أحد طرقه .

وقرأ بحذف الهمزة الأولى الزهري وابن محيصن ، وتحذف لدلالة
المعنى عليها وثبوت ما عادلها وهو (أم) (٣١) .

وهناك قراءة بحذف الهمزتين (سواء عليهم نذرتهم) .

ونسب تحقيق الهمزتين الى تميم وتسليها بين بين الى أهل
الحجاز وادخال ألف بينهما الى بعض الحجازيين والى بعض تميم ،
وقال سيبويه :

« أهل الحجاز يخففونهما جميعا » (٣٢) .

٣ — ابدال الهمزة ألفا في مثل رأس وقرأت وأخطأت واحببطات
وشأمل فتصير ألفا تقول فيها : رأس — قرأت — أخطأت — احببطات
— شامل وفي الحديث : أرجعن ما زورات غير ماجورات ، فأنت مخير
— هنا بين التحقيق وعدمه — في حالة سكون الهمزة وفتح ما قبلها

(٣٠) الكتاب ٥٤١/٣ ، ٥٤٢ وشرح السيرافي وسر الصناعة ٥٣/١ .

(٣١) البحر ٤٨/١ والإتحاف ص ٤٤ .

(٣٢) البحر ٢٧/١ والكتاب ٥٥٠/٣ ، ٥٥١ .

وهو ابدال قياسى ، ويرى الكوفيون فى الحديث أنه انما أريد به ازدواج الكلام لقوله ماجورات^(١٢) وفى الهمزة المفتوحة المتحرك ما قبلها مثل ملاء يجوز تسهيلها بقلبها ألفا وهو ابدال غير قياسى لأن مخرج الهمزة وكثيرا من صخاتها تختلف عن الألف ، ولذا يعد من باب اختلاف اللهجات •

إبدال الياء : وهو على أرجه :

١ — واجب : اذا اجتمعت همزتان والأولى منهما مكسورة تقلب الثانية ياء مثل ايمان وايلاف مصدرى آمن وآلف وهذا لون من الابدال القياسى الواجب •

٢ — جائز : يجوز فيه تحقيق الهمزة وتسهيلها بقلبها ياء وهو نوعان :

(أ) قياسى : يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها فاذا أردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فنقول فى تخفيف ذئب وبئر : ذيب وبير ، وكما اذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل بئر ومئر بكسر الأول وفتح الثانى ، نقول فيهما : بير ومير ، وفى تصغير : أقؤس وأرؤس : أقيس وأريس •

(ب) غير قياسى : كما أبدلوا الهمزة ياء لغير علة طلبا للتخفيف مثل : قريت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت وكما قال زهير :
جرىء منى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وان لا ييسد بالظلم يظلم
أراد : يبدأ فأخرج الكلمة الى ذوات الباء •

(٣٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٢٨ ، ١٢٩ وانظر اللسان ١/ ١٢٤ ،
١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٩٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

ومثله قول الآخر :

وكفت أذل من وتد بقاع بشج رأسه بالفهر واجى

فأجراها وصلا ولو كانت همزة أو نويت همزة ما جاز أن يأتى
بيها وصلا • وكذلك قول الشاعر :

ان السباع لتهدغن فوارسها والناس ليس بهاد شرهم أبدا

أبدل الهمزة ياء ضرورة^(٣٤) •

ويخضع تخفيف الهمزة بابدالها واوا للنظرة السابقة فهي تعود بنا
الى اللهجتين المشار اليهما •

والقدماء يفسرون ذلك على الابدال ، فالهمزة هي الأصل في
الأسلوب العربى والواو التى أبدلت منها تعد دخيلة عليها وكأنهم بذلك
يعدون الهمز صفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية لا صلة له
باللهجات من قبل •

وتذكر معجمات اللغة هذا الاتجاه ، يقول صاحب اللسان :

« ورجل سؤله : كثير السؤال وأصل السؤل الهمز عند العرب
استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة^(٣٥) وقال
ابن برى : الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن
الهمزة فى لغة من خففها^(٣٦) وكان الفارسى يستحسن ترك الهمزة
وأصله الهمز^(٣٧) ولكن الهمز — كما ذكرنا — لون من ألوان النبر

(٣٤) سر الصناعة (دار الكتب) ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ •

(٣٥) اللسان ٣٣٩/١٢ •

(٣٦) المصدر السابق ٣٥٧/١ •

(٣٧) القاموس ٢٤٦/٤ •

لجأت إليه القبائل البدوية كبنى تميم وينسب التسهيل للقبائل الحضيرية كبعض أهل الحجاز وعلى هذا فلا إبدال بين الهمزة والواو ولا صحة لما يقال فى المعجمات وغيرها من أن الهمزة فى أناة بدل من الواو فى وناة^(٣٨) وإنما يقال : انهما لهجتان عربيتان غاية الأمر أن الواو لهجة أهل التخفيف من الحضر والمهمز فى الأصل لهجة بنى تميم ومن على شاكلتهم وعلى هذا قيل أحدث الله ووحدته ورجل أحد ووحد « (٣٩) » .

وفى إبدال الهمزة ألفا أو ياء نلاحظ الاتجاه اللهجى فى مثل رأس وأخطأت وملاً وذئب وأقؤس وأرؤس ونحوها عند تسهيلها وأن كان القدامى سموا بعضه إبدالاً قياسياً — حال سكون الهمزة — وسموا بعضه الآخر إبدالاً غير قياسى — حال تحريك الهمزة » .

فأكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكن تميماً تميل الى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها واستعمال التخفيف فى غير ذلك غير مقيس حقاً ، فإبدال الهمزة المفتوحة ألفا غير قياسى وإبدال الهمزة ياء فى مثل قرئت وتوضيت طلباً للخفة غير قياسى كذلك ولذا ينص اللغويون على عدم جواز وضع ياء مكان الهمزة يقول صاحب اللسان « ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله »^(٤٠) و « لا تقل توضيت وبعضهم يقوله »^(٤١) .

والقياس — كذلك — يمنع أن تحذف الهمزة كما فى (بيد) فى قول زهير وقلبها ياء حتى ساغ له أن يستخدمها وصلاً فى قافية البيت وقد قلبها الشاعر ياء ثم حذفها فى (هاد) فى البيت الأخير .

(٣٨) اللسان ٢/٢٩٨ .

(٣٩) المصدر السابق ٤/٤٦٥ .

(٤٠) المصدر السابق ١/٥٩ .

(٤١) المصدر السابق ١/١٩٠ .

فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة إذ لا نقلب في هذه المواضع إلا بشروط خاصة تعرف في فن التصريف ، ولعل ذلك الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسجيل من القبائل العربية ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض ويؤيده قول ابن سيدة :

« ان قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسى وانما هو تخفيف بدلى محض لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فصورة تخفيف الهمزة المتى هذه نصبتها أن تخلص ألفا محضة فيقال : أخطأت كقولهم في تخفيف كأس : كاس (٤٢) »

وأما الأمثلة الأخرى فتخضع لقانون اللغة النموذجية المشتركة التى اتخذت الهمز من مبادئها *

إبدال حروف العلة بعضها من بعض

إبدال الواو من الألف والياء :

(ا) من الألف :

من ألف أصلية : مثل الى ولدى (اسمى رجلين) تشبيهما :
الوان ولدوان والوات (اسم امرأة جمعا) فألفائنا أصول غير زوائد ولا مبدلة (٤٣) ولما سمى بها انتقلت الى حكم الأسماء (٤٤) وهذا هو القانون وبه وصى التصريفيون (٤٥) *

ومن ألف مبدلة : وهى على ثلاثة أضرب :

(٤٢) المحكم ٩/١ .

(٤٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٦ .

(٤٤) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ص ١١٠ .

- ١ — مبدلة من واو مثل عصوى وقنوى فى الاضافة الى عصا وقنا •
- ٢ — مبدلة من ياء مثل : فتوى وسروى فى النسب الى فتى وسرى •
- ٣ — مبدلة من همزة مثل : تصغير آدم على أويدم وجمعه على أوادم وأصله أأيدم وأآدم •
- ٤ — من ألف زائدة مثل : ضويرب وضوارب فى تحقير ضارب وجمعه جمع تكسير^(٤٥) •

(ب) من الياء :

- ١ — من ياء أصلية : مثل موقن وموسر (وكل ياء مفردة ساكنة قبلها ضمة) ومثل سيد وميت وغازية ومحنية وقالوا : مقضو عليه ومنه عن المنكر والحيوان أصل لامة ياء لأنه لا يوجد فى كلامهم كلمة عينها ياء ولا مها واو كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافا لأبى عثمان المازنى •
- ٢ — من ياء مبدلة : فأصل مصدر ضارب ضيراب لو سميت به ثم صغرته قلت ضويرب •
- ٣ — من ياء زائدة : مثل يطر وسيطر تقول عند بنائهما للمجهول : بوطر وسوطر^(٤٦) •

إبدال الألف من الواو والياء :

- ١ — إبدالها منهما أصليين : نحو قام وغزا وباع ورمى وربما خرج شيء من ذلك على أصله تتييهما على أصل الباب نحو : حوكة

(٤٥) سر الصناعة (دار الكتب) ٢٩٦ — ٣٠٠ .

(٤٦) المصدر السابق ٣٠٠ — ٣٠٥ .

وخونة وقود وصيد وحيد^(٤٧) *

٣ — ابدالها منهما منقلبتي نحو (رحوى) اسم رجل اذا رخمته مثل يا حار (على لغة من ينتظر) قلت : يارحا — تحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالألف حينئذ بدل من الواو وهذه الواو بدل من ياء رحيان ومثله ترخيم ملهى على تلك اللغة ، ونحو ذلك فى الياء المنقلبة مثل أعطى وأغزى قلبت الواو ياء اذ أصلهما (أعطو — أغزو) فصار (أعطى — أغزى)^(٤٨) ثم قلبت الياء ألفا للسبب السابق ، وكأن تبني من قرأ على مثال (دحرج) فتقول : قرأى فالألف الأخيرة بدل من ياء هي بدل من همزة حسب مراحل معلومة فى فن التصريف *

٣ — ابدالها منهما زائدتين ، فمن الواو مثل أن تسمى رجلا (عنوق) ثم ترخمه على يا حار (لغة من ينتظر كما سبق) فتقول : يا عنا (اذ أصله يا عنو) الا أن الواو تقلب ألفا لأنه لا يوجد فى العربية اسم آخره واو قبلها ضمة فالألف هنا بدل من الواو الزائدة ومن الياء مثل زميل اسم رجل تقول فى ترخيمه على يا حار : يا زما فتحذف احدى ميميه وتقلب ياءه الساكنة ألفا ومثله : سلقى وجعبي فى سلقيت وجعبيت فالألف هنا — كذلك — بدل من الياء الزائدة^(٤٩) *

(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩ والصيد : عدم الالتفات كبرا كما يفعل بعض الناس أو من داء كذلك الذى تصاب به الأبل فلا تستطيع أن تلوى أعناقها ، والحيد : ما شخص من نواحى الشيء (أى : نثا وبرز) . وله معان أخرى . انظر : اللسان ١٣٦/٤ ، ١٣٧ ، ٢٥٠ .
(٤٨) أغزى الرجل : حمله على أن يغزو أو أعطاه دابة يغزو عليها ، وقال سيويه : وأغزيت الرجل أمهله وأخرت ما عليه من الدين . اللسان ٣٦٠/١٩ .

(٤٩) سر الصناعة (الأزهر) ١٣٠ وسلقة سلقا وسلقاه : طعنه فائقاه على جنبه يقال : طعنته فسلقته اذا القيته على ظهره وربما قالوا سلقيته سلقاء — بالكسر — يزدون فيه الياء كما قالوا : جعبيته جعباء من جعبته أى صرعه . اللسان ٢٦٠/٦ ، ٢٨/١٢ ، ٣٣٠ والقاموس ٢٥٥/٣ .

ومن قلب الياء والواو ألفا قلبا غير قياسى : القلب فى يئأس الى
ياءس وفى يوجل الى ياجل ونحو ذلك من قول الشاعر :
تبت اليك فتقبل تابتى وصمت ربي فتقبل صامتى
أى توبتى وصومتى •

« قلبوا فى ياعس وياجل وان كانت انواو والياء ساكنة
طلبيا للخرقة » وأما صوغ المضارع على الطريقة السابقة فهو
اكتفاء بأحد جزئى العلة وهو لهجة عربية ، ومسألة الابدال فى ذلك
غير متحققة لعدم توافق الألف والواو والياء مخرجا وصفة فهى
لهجات وليست من باب الابدال فى شئ ، فللواو طبيعة تختلف عن
الألف تماما حتى منع علماء العروض ان تتساوب الألف معها فى
قافية القصيدة الشعرية وكذلك لا يمكن تناوبها مع الياء — ردفين
ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى على أن
علم اللغة الحديث قد دعم ذلك ببراهين تثبت عدم صحة التبادل بينهما
وهذا يرجح أن تلك الاختلافات ترجع الى اختلاف القبائل الملاحجة
بها •

أبدال الياء من الألف والواو :

(أ) كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحشير تقلب
ياء مثل قيتال وضيراب مصدرى قاتل وضارب وحميليق ومفيتيح فى
تصغير حملاق ومفتاح •

(ب) كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها^(٥٠) قلبت ياء
مثل ميقات وكذلك اذا سكنت فى المفرد ووقع بعدها فى الجمع ألف
وقبل الواو كسرة واللام صحيحة مثل ثياب وحياض فان اختلفت هذه
الشروط لم تقلب كما فى موزين وموازين وعوض وطول — لاختلال

(٥٠) سر الصناعة (دار الكتب) ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ •

القاعدة الأولى — وطوال وزوج وزوجة — بكسر الزاى وفتح الواو —
ورواء وطواء جمعى ريان وطيان — لاختلال القاعدة الثانية *

(ج) اذا قعنت الواو لاما لفعلى وصفا مثل : عليا ودنيا^(٥١) •

(د) اذا تطرفت الواو رابعة فصاعدا مثل : أعيطت ،
واستقصيت^(٥٢) •

كل ذلك هربا من الواو^(٥٣) •

(هـ) اذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت احدهما بالسكون
قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء — بشروط أخرى — كما فى سيد
وميت (تقدمت الياء) وفى لية وطية (تقدمت الواو) ومن الشروط
الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية فى موضعها^(٥٤) فان كانت
عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والادغام المذكوران وذلك قولهم
فى بناء فاعل من سرت وبعث للمفعول فتقول : سوير وبويع لأن
الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع الى بناء الفعل للمعلوم ، كذلك
ديوان واجليواذ (فى أحد استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة
لأنهم قالوا : دواوين لما زالت الكسرة على أن بعضهم قد قال :
دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة وأجرى غير اللازم مجرى
اللازم •

وعالم اللغة يرى فى قلب الواو ياء — على الرغم من زوال
الكسرة قبلها — اتجاها خاصا بلهجة أهل الحجاز فيما يسميه بأسلوب
(المعاقبة) التى نتحدث عنها فيما يأتى :

(٥١) المصدر السابق ص ٣٧٨ •

(٥٢) المصدر السابق ص ٣٧٩ •

(٥٣) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١ •

(٥٤)

ان يسكن السابق من واو ويا واتصلا ومن عروض عريسا
قياء الواو اتلبن مدغما وشذ معطى غير ما قد رسما

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة)

صنع ابن جنى كتابا فى التبادل بين الياء والواو وسماه المتعاقب فقال : فى لحوت العود ولحيته : قشرت ما عليه من اللحاء : وقد ذكرت ذلك فى كتابنا الموسوم بالمتعاقب^(١) وقال أيضا : وأتيت — أيضا — فى كتابى الموسوم بالمتعاقب على كثير من هذا الباب^(٢) وجعل لها ابن سيدة موضعا فى المخصص^(٣) ، وابن السكيت فى اصلاح المنطق^(٤) ونظم ابن مالك بعض ألفاظها فى تسعة وأربعين بيتا^(٥) .

والمعاقبة هى: أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء على غير علة ، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعله فليس من ذلك لأنه قانون من قوانين التصريف^(٦) .

ومن هذا التعريف يبدو أن المعاقبة لا تتحقق الا بأمرين :

١ — أن يكون الانتقال من الواو الى الياء والعكس ليس ناشئا عن علة صرفية موجبة فلا يدخل فى المعاقبة نحو ميزان وميقات من الوزن والوقت لأن الواو قلبت ياء لعله تصريفية هى سكونها وانكسار ما قبلها ، وكذلك قول الحق تبارك وتعالى (كذبت ثمود بطغواها) فابدال الواو من الياء هنا خاضع لقاعدة صرفية هى أن (فعلى) اذا كانت اسما ولامها ياء تنقلب الياء واوا مثل تقوى ، أما اذا كانت فعلى صفة فان ياءها تبقى دون تحول الى الواو مثل (صديا) لاستداد العطش .

(١) الخصائص ٢٦٤/١ .

(٢) المصدر السابق ٢٦٦/١ .

(٣) المخصص ١٩/١٤ — ٢٦ .

(٤) اصلاح المنطق ١٣٥ — ١٤٥ .

(٥) الزهر ٢٧٩/٢ — ٢٨٢ .

(٦) المخصص ١٩/١٤ .

وقد صرح بعض العلماء بانتفاء العلة التصريفية فى أمثلة المعاقبة فقال ابن جنى : ان أهل الحجاز يقولون للصواغ : الصياغ ، وفى ذلك دلالة على ما نحن بسبيله ، ووجه الاستدلال فيه انهم كرهوا التقاء الواوين — لا سيما فيما كثر استعماله — فأبدلوا الأولى من العينين ياء ، فصار تقديره : الصيواغ ، فلما التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فصار (الصياغ) ••••• وقلب الياء الثانية لا يستتكر لأنه كان عن وجوب ، وذلك لوقوع الياء ساكنة قبلها ، فهذا غير بعيد ولا معتذر منه ، لكن قلب الأولى — وليس هناك علة تضطر الى ابدالها أكثر من الاستخفاف مجردا — هو المعتد المستتكر المعول عليه ، المحتج به ، فلذلك اعتمدناه ••• و (فيه) تلعب بالحرف من غير قوة سبب ، ولا وجوب علة ، فأما ما يقوى سببه ويتمكن حال الداعى اليه فلا عجب منه ، ولا عصمة للحرف وان كان أصليا دونه (٧) .

وقد يكون حلول الياء محل الواو أو العكس ناشئا عن نسيانهم أصل اللفظ ، يقولون (الديمة) بقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها ، فاذا زال الكسر عادت الواو : كما فى (دوموا) لانفتاح ما قبلها قال الشاعر :

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل
ان دوموا جاد وان جادوا وبـل

وقد ورد عن بعض العرب (ديموا) فى (دوموا) (٨) وذكر ابن جنى أن بعض العرب ظن أن الياء أصلية وليست منقلبة عن واو فلم يروها مع أن (دوموا) من الدوام فالواو أصلية وكان يجب الرجوع اليها بعد زوال الكسرة وفتح ما قبلها ••••• وهذا من البذل

(٧) الخصائص ٦٥/٢ ، ٦٦ بشىء من التصرف .

(٨) الخصائص ٣٥٥/١ والتصريف اللوكى ص ٢١ وأدب الكاتب

الذى يلتزمون به مع ذهاب العلة الموجبة له^(٩) .

٢ — أن يكون المعنى واحداً فى الصيغة الواووية والصيغة الياثية ولذا لا يبعد من التعاقب ما اختلف معناه فالكور : المبنى من الطين والكبر الرق الذى ينفخ فيه^(١٠) فلا معاقبة هنا .

وتأتى المعاقبة فى الألفاظ المفردة بصيغها المتعددة وتأتى فى المثنى وتأتى فى الجمع وتأتى فى الأفعال وسواء كانت الواو والياء أصيلتين أو زائدتين :

١ — فى المفردات بصيغها المتعددة مثل سريع الأوبة والأبيسة وصيغة فعول مثل هذا الكذاب الأثوم والأثيم^(١١) وجعلته على حنديرة عيني وحندورة عيني^(١١) .

وفى الحديث « ذات حوزان وعبيثران » هو نبت طيب الرائحة من نبت البادية ويقال عبوثران بالواو وتفتح العين وتتضم^(١٢) .

٢ — من المعاقبة فى المثنى : رحوان ورحيان^(١٣) .

٣ — من المعاقبة فى الجمع ذادغوات قلب الأخلاق ودغيات^(١٣) .

٤ — وفى الأفعال مثل : مالك تتحوز منى كما تتحوز الحية وتحيزت الى فئة وتحوزت وساغ الرجل طعامه يسيغه ويسوغه^(١٤)

(٩) التصريف الملوكى ص ٢٢ .

(١٠) المزهر ٢/٢٦٠ .

(١١) المخصص ٢٥/١٤ .

(١٢) النهاية ١٦٩/٣ .

(١٣) المخصص ٢٥/١٤ .

(١٤) أدب الكاتب ٤٦٥ والمخصص ١٩/١٤ ، ٢٠ .

وسحوت الطين على الأرض وسحيته أى تشرته وكنوت الرجل وكنيته وحنوت العود وحنيته وعزوت الرجل وعزيته اذا نسبته الى أبيه ويقال : ساخت الأرض تسوخ وتسيخ ورد ذلك فى حديث سراقه فى الهجرة^(١٥) من باب فعل يفعل مثل حسب يحسب وقيل هو من باب بناء يبيع^(١٦) *

ومثله طاع له يطوع ويطيع فهو طائع اذا أذعن وانتقاد^(١٧) .

ويرى اللغويون أن كل موضع تستعمل فيه الكسرة والضمة أو الياء والواو فالأولى منهما للحجازيين والثانية للتميمين غالبا وسموا ذلك (معاقبة) ومما ورد فى كتب اللغة من اختلاف الحركتين : رضوان ورضوان ، وقنية وقنية ، وأسوة وأسوة ، وقدوة وقدوة ، وصبية وصبيان ، وصبية وصبيان بكسر الحرف الأول وضمه ومما ورد من اختلاف الحرفين : صيام وصوام ، ونيام ونوام ، وصياغ وصواغ ، والمياثر والمواثر ، والمياثيق والمواثيق ، وحيث وحوث ، وطغيت وطغوت ويضيرنى ويضورنى ، وعزيته وعزوته ، ولغيت ولغوت ، وان بينهما لبينا ويونا والعجاية والعجاوة ودامت السماء تديم وديم ، ودامت تدوم ودومت والدوام *

ومن ذلك فى القراءات قراءة عمر بن الخطاب (الله لا اله الا هو الحق القيام)^(١٨) أصله القيوام فلما التقت الواو والياء ، وسبقت

(١٥) النهاية ٤١٦/٢ .

(١٦) المصدر السابق ١٤١/٣ .

(١٧) المصدر السابق ١٤٢/٣ .

(١٨) سورة البقرة الآية ٢٥٥ والمحاسب ١٧٥/١ — ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١١ ومعانى القرآن للفراء ١٩٠/١ .

الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقد قرأ عمر على لهجة الحجاز لأنه قرشى^(١٩) وقرىء (جعل الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس)^(٢٠) فى قياما .

وقوله تعالى : (رب لا تذرعلى الأرض من الكافرين ديارا)^(٢١) وقد رسمت بالياء فى المصحف وأصلها دوارا .

وقرىء قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان)^(٢٢) يقال : طاف يطيف ويطوف طيفا وطوفا فهو طائف ثم سمي بالمصدر ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم^(٢٣) .

وفى الحديث (فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف) .
يرد اعلان النكاح وذهاب الصوت والذكر به فى الناس يقال له : صوت ، وصيت أى ذكر ، والدف الذى يطبل به ويفتح ويضم^(٢٤) .

وفى حديث آخر « ما من عبد الا وله صيت فى السماء » أى ذكر وشهرة وعرفان^(٢٥) .

وفى الحديث « ان مما يثبت الربيع ما يغيل أو يغول »
أى يهلك من الاغتيال وأصله الواو ويقال غاله^(٢٦) يغيله ويغوله هكذا روى بالياء والواو وهما متقاربان .

(١٩) تفسير الطبرى ١٥٥/٦ .

(٢٠) المائدة ٩٧ .

(٢١) سورة نوح الآ ٢٦ .

(٢٢) سورة الاعراف الآية ٢٩ .

(٢٣) النهاية ١٥٣/٣ .

(٢٤) النهاية ٥٨/٣ .

(٢٥) المصدر السابق ٦٤/٣ .

(٢٦) المصدر السابق ٣٩٤/٣ .

وفى الحديث : « كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت » أى من
تلتزمه نفقته ويروى (من يقيت) على اللغة الأخرى (٢٧) .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر : إلى الأقوال
العباهلة وفى رواية الأقيال (٢٨) .

وفى الحديث « أكذب الناس الصواغون » (٢٩) وفى رواية
الصياغون على لهجة الحجاز وحديث عائشة (أن عمر دىخ الكفرة)
يعنى أذلهم وقهرهم ويقال دوح وديخ بمعنى واحد (٣٠) .

وبعض هذه الصيغ يكون أكثر استعمالاً من الأخرى أو أكثر
تصرفاً (٣١) وكل ذلك وأشباهه مما تعاورت عليه الياء والواو ينسب
ما هو بالياء إلى الحجازيين وما هو بالواو إلى التميميين غالباً (٣٢)
ومما يؤيد ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم إلى النبى ﷺ الذى نزلت
فيه سورة الحجرات « أرايت المريض إذا حان فوطه » أى موته
بالواو هذا يدل على البداوة وقد ذكر ابن الأثير أن المعروف أنه
بالياء (٣٣) .

ونسبت بعض الكلمات بالياء لتميم وبالواو للحجاز ومما ورد من
ذلك (قنيان) — عند تميم — و« قنيان » عند الحجاز (٣٤) و (قصيا) — عند

(٢٧) المصدر السابق ١١٩/٤ .

(٢٨) المصدر السابق ١٢٢/٤ ، ١٣٣ .

(٢٩) المصدر السابق ٦٤/٣ ، صاغ الشيء : هياه على مثال مستقيم
ويقال : صائغ وصياغ وصواغ وجعلوا أكذب الناس لمواعيدهم الكاذبة
ومطلهم وقيل : أراد الذين يزخرفون الحديث والكذب . القاموس ١١٤/٣ .

(٣٠) النهاية ١٧٤/٢ .

(٣١) يقول ابن الأثير عند ذكر الحديث (وتديفون القطيفاء) أى
تخلطون والواو فيه أكثر من الياء النهاية ١٧٤/٢ .

(٣٢) المخصص ١٩/٤ ، ٣٦ والمزهر ٢٧٦/٢ ، ٢٧٧ ، ١٣/١
ودراسات فى فقه اللغة ٩٦ — ١٠١ .

(٣٣) النهاية ٤٨٥/٣ .

تميم — و (قصوى) عند الحجاز^(٣٥) — الهدايا جمع هدية ولغة أهل المدينة هداوى^(٣٦) ونسبت المعاقبة الى غير هؤلاء من العرب فقد نسبت الى طيء أنشد ثعلب لرجل من طيء *

نحن الى الفردوس والشيردونها وايها عن أوطانها حوث حلت.

قال أبو العباس : هذه لغته^(٣٧) وبعضهم نسب (حوث) الى طيء أو تميم^(٣٨) *

والكلوة لغة فى الكلية نسبت لأهل اليمن^(٣٩) *

ويقال : عبوت المتاع عبوا : اذا عبيته لأهل اليمن^(٤٠) *

والنيرج والنورج^(٤١) : لغتان الأخيرة لأهل اليمن^(٤٢) *

— وقد وردت بعض النصوص التى نفهم منها حدوث المعاقبة فى القبيلة الواحدة أو عند العرب جميعا *

من ذلك ما ذكره ابن سيدة من أن المعاقبة تحدث عند القبيلة الواحدة وعند القبيلتين قال (وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو

(٣٤) التهذيب ٣١٥/٩ *

(٣٥) المصدر السابق ١٢٩/٩ *

(٣٦) المصدر السابق ٣٨٢/٦ وقال أبو زيد : الهداوى لغة عليا معد ولغة سفلاها الهدايا والمراد بعليا معد : أهل العالية أو عليا مضر وهم أهل الحجاز ومضر هو مضر بن نزار بن معد وسفلاها : تميم أو أهل نجد . جمهرة أنساب العرب ص ١٠ *

(٣٧) المجالس ٥٦٦/٢ *

(٣٨) المحكم ٣٨٤/٣ واللسان ٤٤٤/٢ *

(٣٩) التهذيب ١٨٥/١ والمصباح ٥٤٠/٢ *

(٤٠) الجمهرة ٣١٧/١ *

(٤١) آلة من حديد وخشب يداس بها الطعام *

(٤٢) التهذيب ٣٨/١١ وديوان الأدب ٣٦/٢ *

على الياء من غير المعاقبة عند القبيلة الواحدة واما لافتراق القبيلتين في اللغتين (٤٣) .

ويذكر الأزهري : أنا أمحوه وأمحاء وطىء تقول : محيته محيا ومحووا (٤٤) .

وأهل اليمن يقولون للذئب القلوب والقلب قال شاعرهم :
أيا جحمتا بكى على أم واهب قتيلة قلوب ببعض المذائب
وقال آخر :

أتبيح لها القلب من أرض قرقرى
وقد تجلب الشر البعيد الجوالب (٤٥)

وظنى أن ذلك ناشىء من تأثر القبائل بعضها ببعض فمن يجمع بين الاستعمالين جامع للهجة أخرى مع لهجته (وقد يجوز أن تكون لغته فى الأصل احداها ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى) (٤٦) .

وبعض هذه الصيغ يكون الأصل فيها الواو وبعضها يكون الأصل فيه الياء :

يقال : يوجع وييجع وياجع وأصله من الواو (٤٧) .

(٤٣) المخصص ١٩/١٤ .

(٤٤) التهذيب ٢٧٧/٥ والمخصص ١٧/١٣ .

(٤٥) العين ١٧٢/٥ والتهذيب ١٧٥/٩ والجمهرة ٥٩/٢ ، ٣٧٥/٣ ،

٤٢٣ .

(٤٦) الخصائص ٣٧٢/١ باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان

فصاعدا .

(٤٧) التهذيب ٥١/٣ .

ويقال : وجلت توجل وتيجل من الواو^(٤٨) ونسبت الصيغة اليائية لتميم لكراهة الواو مع الياء والواوية لأهل الحجاز^(٤٩) وقد أبدلت ألفا فقيلا : ياجل وياجع كراهة اجتماع الواو مع الياء - أيضا - كما يذكر سيوييه^(٤٩) وكذلك كساين وخبياين عند بنى فزارة الأصل الواو ، ولذا جاء كساوان وخبياوان^(٥٠) وعزيتيه الى أبيه : نسبته ويقول بنو أسد : عزوته الى أبيه وأصله الواو^(٥١) .

والتيه قال فيه رجل من بنى كلاب : التوه وأصلها الياء^(٥٢) .

وبرى القلم يبريه برى وناس يقولون : يبرو القلم^(٥٣) والأصل الياء .

والدهو والدهى : لغتان : الدهاء والأصل الياء^(٥٤) .

والطغيان والطغوان لغة فيه والفعل طغيت وطفوت والأصل الياء^(٥٥) .

وقد حاول بعض اللغويين القدامى أن يفسروا هذا التعاقب على أنه من قبيل التبادل الذى لم يستوف شروط القلب لعل فلسفية تدل على فنية هذه اللغة وموسيقيتها .

فسعة قواعد العربية جعلتنا نتلقى بالقبول صبية وصبيان بقلب الواو ياء وان لم تقع بعد كسرة مباشرة لانهم اعتبروا الساكن

(٤٨) المصدر السابق ١٩٠/١١ .

(٤٩) الكتاب ١١١/٤ والجيم ٣٠٥/٣ .

(٥٠) التهذيب ٦٩٠/١٥ .

(٥١) المخصص ٢٣/١٤ .

(٥٢) التهذيب ٣٩٦/٩ والتكملة ٣٣٧/٦ والمصباح (تيه) .

(٥٣) التهذيب ٢٦٧/١٥ .

(٥٤) التهذيب ٢٨٥/٦ واصلاح المنطق ١٣٩ .

(٥٥) التهذيب ١٦٧/٨ .

غير حصين فكأن الكسرة مباشرة للواو فقلبت مناسبة لها ليتحقق التكامل الفننى الموسيقى •

ثم اننا رأينا فى اللغة صبية وصبيان — بضم الصاد — وهذا أيضا لم يمنع من استمرار الياء لأن الداعى الى القلب هو الخفة وهو منهج البناء اللغوى العام والا لأبقيت الواو على أصلها •

ويقولون : أبيض لياح بكسر اللام فقلبوا الواو ياء مع عدم استيفائها شروط القلب اذ انها ليست جمعا كرياض ولا مصدرا جاريا على فعل معتل كقيام وصيام وذلك القلب داع الى رشاقة اللفظ وسلاسته لأن الياء أخف من الواو وما أكثر جنوح العربية اليها •

وقالوا رجل غديان وعشيان والاريفية ، ورياح بفتح الراء •

وكذلك ميائى أبقوا الياء مع زوال الكسرة الموجبة للقلب والمعروف أن زوال السبب يؤدى الى زوال ما ترتب على وجوده من أحكام ، فقد كان المفرد مستحقا للاعلال (ميئاق) لوجود الكسرة سابقة للواو ولكن الجمع لا تبقى فيه الكسرة ومن هنا يقال فى جمعه (مواثيق) على الأصل •

ويحار اللغويون عندما يجدون الكلمة بالياء قد وردت فى كلام العرب نحو قولهم : فيما أنشدته أبو زيد :

بحمى لا يحل الدهر الا باذننا ولا نسأل الاقوام عقد الميثاق

وكذلك يسمع اللغويون قول شاعر آخر :

عدانى أن أزورك أم عمرو دياوين تشقق بالمداد (٥٦)

فكلمة (دياوين) جمع ديوان وينطبق عليه ما قيل فى سابقه
وقد أبدى ابن جنى وجهة نظر فى هذه الصيغ وأثبت عمق اتجاهاتها
وملاءمتها لفن اللغة وطابعها البنائى فيما يأتى :

١ — أن أكثر اللغة وشائع الاستعمال هو إعادة الواو عند زوال
الكسرة مثل موازين وريح وأرواح •

٢ — الغرض من التلب هو طلب الخفة فكأن القلب ليس ناتجا
عن الكسرة بل لما تقدم من الاسترواح الى انقلابها ودلالة على
تمكن القلب فى الواحد حتى كأن الياء أصل فيه •

وتبعا لهذا الاعتبار صرح ابن جنى بأنه يمكن تصغير (ميثاق)
بإبقاء الياء فيقال : (ميثيق) على نمط الجمع الذى حمل على
مفرده (٥٧) •

وجاءت فى اللغة دامت السماء تديم ودومت السماء وديمت
ولكن المضارع جرى فى المثال الأول على هذا النسق وليس من باب
فعل يفعل بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بدليل المصدر
(ديم) وليس لغة فى هذا الأصل بمنزلة ضاره يضره ضيرا حيث
لم يأت (الديام) مصدرا كـ (الدوام) الوارد فيه (٥٨) وهذا تطبيق
لذهب ابن جنى فى الاختلاف بين لفظتين فى حرف واحد ومتى تعتبر
كل منهما لهجة لقبيلة خاصة أو احداهما منقلبة عن الأخرى والمعروف
أن أبا الفتح يبنى هذا على أساس تصرف كل منهما فالأكثر تصرفا
واستعمالا هى التى يليق بها أن تكون الأصل والثانية فرع أما اذا
تساويتا تصرفا واستعمالا فليست احداهما منقلبة عن الأخرى بل
هما لهجتان وهنا يصرح ابن جنى بأن اليائية منقلبة عن الواوية لقصور

(٥٧) الخصائص ٣/ ١٦٠ ، ١٦١ •

(٥٨) المصدر السابق ١/ ٣٥٥ ، ٣٥٦ •

التصرف بالنسبة للاولى وكيف يقبلون ويسلكون هذا الطريق مع
عدم ما يقتضيه ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتحقق فى مناسبة القلب الهدف
العام وهو التخفيف ، ويبدو أن قانون (المعاقبة) قد لعب دورا
أساسيا فى مثل هذه التغيرات فهى فى الأصل لهجات اذ تذكر لنا كتب
اللغة أن لكل من الضم والكسر والواو والياء طبيعة صوتية تختص
يقبل تبعاً للثقل والخفة •

فاللغة نتاج اجتماعى ووليدة البيئة التى تحيا فيها فالمجتمع
المتحضر يفضل حركة معينة على حين يفضل المجتمع البدوى حركة
أخرى وهنا بدا أن الكسرة مختصة بالحضر والضم مختصة بالبدو
فيما وصل اليها من كلمات •

والياء امتداد للكسرة والواو امتداد للضم ولذا رأينا أن كلا
منها تختص بطائفة من العرب فالياء للحجاز والواو لتميم وعلى هذا
وجدنا الكلمات السابقة تفسر على أساس لهجى فى بيئتين حجازية
وتميمية^(٥٩) •

(٥٩) معانى القرآن للفراء ١٩٠/١ والمحتسب لابن جنى ١٧٥/١
ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٩ ، واصلاح المنطق ١٣٧ والمزهر
٢٧٦/٢ •

التبادل بين حروف العلة والصوامت

التبادل بين الألف والعين :

من أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) قرأ (ولا تصاعر) — بألف بعد الصاد وتخفيف العين — نافع وأبو عمرو والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش ، وقرأ الباكون (تصعر) — بتشديد العين بلا ألف •

والألف لا يصح ادغامها فى العين اذ هما من طبيعتين صوتيتين مختلفتين ولكن ادغامهما وعدمه فى هذه الآية — حسب القراءات السبعية الواردة فيها — يرجعان الى طبيعة القبائل العربية •

فبعض القبائل تقلب الألف الى عين حتى يتماثلا ثم تدغمهما للتقريب والسرعة فى النطق وهذه طريقة تميل اليها القبائل البدوية ، وجرى على الفصل بين الصوتين وعدم الادغام بعض العرب المتحضرين •

ونرى أن كلا منهما يمثل اتجاهها لهجيا خاصا •

وعلى أساس مما وصل اليه علم الأصوات الحديث نرى أن الاتجاه الثانى يتطلب مجبودا عضليا والأول لا يتطلب ذلك لأنه ناجم عن السرعة فى النطق ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بدوية تميل الى التخفف والسرعة فى النطق كتميم وأسد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونمير ، كما ينسب الاظهار الى بيئة الحجاز •

التبادل بين الألف والنون :

تكلم ابن جنى عن ابدال الألف من تنوين المنصوب ونون التوكيد الخفيفة ونون (اذا) حال الوقف مثل : (رأيت زيدا) وقوله تعالى (لنسفعا) وقولك : (أنا أزورك اذا)^(١) .

التبادل بين الألف والهاء :

١ — قد وردت من أمكنة من ههنا ومن هنه
أن لم أروها فمه

٢ — أنه فى أنا حال الوقف^(٢) .

فى الأمثلة الأولى قال ابن جنى بالابدال بين الألف والهاء على أن تكون الألف هى الأصل^(٣) وقد أبدلت فى (هنا) الاشارية هاء فصارت هه ، وهذا موافق لعاميتنا وهو منسوب لقيس وتميم^(٤) و (مه) فى الرجز السابق يحتمل وجهين : أن تكون الهاء بدلا من ألف (ما) وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف أى فاكفف عنى فليست أهلا للعتاب ، أو فمه يا انسان يخاضب نفسه ويزجرها^(٥) .

وفى (أنا) كذلك أبدلت الألف هاء فى الوقف .

وهذه كلها حالات للوقف قصد فيها بيان حركة الحرف المفتوح فتارة تبين الحركة بالألف فيقال : هنا — أنا وتارة أخرى تبين بالهاء فيقال : هه — أنه ويميل بعض العرب الى هذا وبعضهم الآخر

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق (الأزهر) الورقات ١٠٥ — ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٦ .

(٤) اللهجات العربية د. نجا ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجه الأول مخطوطة الأزهر ولسان

العرب ٣٦١/٢٠ وقال الأشمونى : أى أنها قد وردت من كل جانب

وكررت فان لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى ٣٣٤/٤ .

الى ذاك فالأمر لمجرد بيان الحركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخر
ومن هنا اقتصر الدماميني في (أنه) على الوجه الثاني ، فقال في
باب الضمير من شرح التسهيل — بعد ذكره أن ثبوت الألف في
الوقف لبيان الفتحة ما نصه : « وقد تبين فتحتها بهاء السكت كقول
حاتم : هكذا فزدي أنه » (٦) .

التبادل بين الباء والواو :

وذلك في أسلوب القسم مثل بالله ، والله ونحو ذلك ، قال
ابن جنى : وانما أبدلت الواو من الباء — في ذلك لأمرين :

أحدهما : مضارعتها اياها لفظا والآخر مضارعتها اياها معنى ،
أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن
الباء للالصاق والواو للاجتماع والشيء اذا لاصق الشيء فقد اجتمع
معه (٧) .

وبرهن على أن الباء هي الأصل والواو بدل منها بدليلين :

أحدهما : أنها موصلة للقسم الى المقسم به في قولك : أحلف بالله
كما توصل الباء الممرور الى الممرور به في قولك : مررت
بزيد فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن .

والآخر : أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر فتقول :
بالله لأقومن وبه لأتعدن والواو لا تدخل على المضمر البتة
تقول : والله لأضربنك ولا تقول وه لأضربنك فرجوعك مع
الاضمار الى الباء يدل على أنها هي الأصل (٨) .

وابن جنى في رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخرج
الواو اذ يجعلونها من مخرج الباء يقول : ومما بين الشفتين مخرج

(٦) انظر : الفصل ٨٣/٩ ، ٨٤ والاسموني مع الصبان ٣٣٤/٤ .

(٧) سر الصناعة ١٦٠/١ . (٨) المصدر السابق ١٥٩/١ .

الباء والميم والواو^(٩) وهو متأثر فى ذلك برأى سيبويه • وهذا يصدق على الواو غير المدية التى يتحدثون عنها أما الواو التى هى حرف مد فهى من ذوات المخرج المتسع على حد تعبير ابن جنى^(١٠) •

والدراسة الصوتية الحديثة تؤكد أن نظرة القدماء الى الواو غير المدية لم تكن دقيقة فى تحديد مخرجها ، فهى فى الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما ••••• ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذى جعل القدماء ينسبون مخرج الواو الى الشفتين^(١١) •

فمخرج الباء اذا مختلف عن مخرج الواو اذ الأولى من انثشة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة • ويختلفان كذلك فى صفات كثيرة فالباء صوت مجهور شديد مستقل منفتح ذلق مقلقل والواو تتفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفا فيما عدا ذلك •

وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم — كما يستعمل فى غيره — اذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم^(١٢) والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم^(١٣) وكما يقول النحاة : يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الإبدال ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه أو أن تكون هناك علاقة صوتية بينهما اذ التعويض جعل حرف خلفا عن حرف آخر

(٩) المصدر السابق ص ٥٣ (١٠) المصدر السابق ٨/١ •

(١١) الأصوات اللغوية ٤٤ •

(١٢) الأشمونى ٢/٢١٩ — ٢٢٢ •

(١٣) المصدر السابق ٣/٣٠٧ والتصريح ١٧/٢ •

أو أكثر^(١٤) ولا يشترط فيه التقارب •

وهنا استعمل اللغوى العربى القسم متخذا وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أدواته الأخرى الأصلية فيه وهى الباء وقد صرح بذلك الصبان حين قال : — معللا اختصاص الواو بالظاهر فى الجر — لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه^(١٥) ويقول « ان الواو عوض من الباء والتاء عوض من الواو »^(١٦) •

والأدلة التى علق بها ابن جنى لابدال الواو من الباء — وذكرتها سابقا — تشير الى أن الباء أصلية فى استخدامهما فى معنى القسم ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الابدال والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية الحديثة ، وأما اتفاقهما فى بعض المعانى فليس من مسوغات الابدال اذ المعول عليه انما هو المخرج والصفات •

التبادل بين التاء والواو :

١ — تراث — تقية فعيلة من وقيت — تقوى — توراه — تولج — تخمة — تكأة — تيقور — تليد — تلاد — تترى — (فعلى من الموائرة) — اتعد — اتلج •

٢ — أخت — بنت — هنت — كلتا^(١٧) •

صرح ابن جنى بابدال التاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال

(١٤) القواعد والتطبيقات ص ٤ •

(١٥) الأشموني مع الصبان ٢٠٧/٢ •

(١٦) المصدر السابق ٢٠٥/٢ وحديثهم عن ابدالها كان للاتفاق فى المخرج كما تصورا •

(١٧) سر الصناعة ١٦١/١ — ١٦٩ وقد ذكر سيبويه هذه الالفاظ الكتاب ٨٢/٢ ، ٨٣ •

وقد أبدلت التاء من الواو فاء ابدالاً صالحاً^(١٨) وذكر الأمثلة السابقة وعلى ذلك بأصل الاشتقاق في كل منها فترات فعال من ورث وتقيية فعيلة من وقيت وتوراه فوعلة من وري الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء الخ ، وقال : ان التاء قريية المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة فأبدلوها تاء^(١٩) وقد جعل ابن جنى هذا الابدال غير قياسي الا في افتعل وما تصرف منه فقال : وهذه الألفاظ التي جمعتها وان كانت كثيرة فانه لا يجوز القياس عليها لقلتها بالاضافة الى ما تقلب واوه تاء ... فأما ما نقيس عليه لكثرتة فافتعل وما تصرف منه اذا كانت فاؤه واوا فان واوه تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل التي بعدها^(٢٠) وعلى لاطراد هذا الابدال في افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها اذا انكسر ما قبلها ياء واذا انضم ما قبلها واوا واذا انفتح ما قبلها ألفا فيقولوا ايتعد — موتعد — ياتعد ، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين الى قلبها مرة ياء ومرة ألفا ومرة واوا أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وهذا ما عبر عنه استاذنا الدكتور نجبا في كتابه اللهجات العربية بقوله : أكثر العرب على ابدال الواو والياء تاء اذا وقعت فاء لا فتعل حتى لا تكون عرضة لتلاعب الحركات فيقولون انتقى واتسر في اوتقى وايتسر^(٢١) وقد حكى ابن جنى الاتجاه العربي الثاني الذي لا يعبأ بتلاعب الحركات فيقول ايتعد — موتعد — ياتعد^(٢٢) الخ ونسب اللغة الأولى لأهل الحجاز فقال واللغة الأولى أكثر وأقيس وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن^(٢٣) .

(١٨) المصدر السابق ١٦١/١ . (١٩) المصدر السابق ١٦٤/١ .
 (٢٠) المصدر السابق ١٦٣/١ . (٢١) المصدر السابق ص ٦٧ .
 (٢٢) المصدر السابق ١٦٥/١ والدقة تقتضي نسبة الأولى الى أكثر العرب والثانية الى بعض الحجازيين . الفصل ٣٧/١ . والأشهر
 ٣٣٠/٤ واللهجات العربية ص ٦٨ .
 (٢٣) سر الصناعة ١٦٥/١ وقال الليث تاء الاخت أصلها هاء التانيث

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أخوة وبنوة وهنوة وكلوا فنقلوا أخوة وبنوة ووزنهما فعل بفتح الفاء والعين — الى فعل — بضم الفاء وسكون العين — وفعل بكسر الفاء وسكون العين — وألحقوهما بالتاء المبدلة من لامها بوزن قفل وحلس فقالوا أخت وبنوت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح *

وأما هنت فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم فى الجمع هنوات وأما كلتا فذهب سيبويه الى أنها فعلى بمنزلة الذكرى والحفرى^(٢٤) وأصلها كلوا فأبدلت الواو تاء كما أبدلت فى أخت وبنوت^(٢٥) ، وذهب أبو عمر الجرمي الى أنها فعئل وأن التاء فيها علم تأنيثها ولكن ابن جنى رد عليه بأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحا

كما قال الخليل ولكن ذلك ليس مقبولا وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسبه اليه اللسان ٢٢/١٨ وقال الأستاذ برجستراسر ان الأخ والابن من الاسماء القديمة جدا التى مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وان التاء وان لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث فهى فى غير اللغة العربية وخصوصا فى الأكديّة والعبريّة كثيرا ما لا فتحة قبلها مثال ذلك ان الخمسة فى الأكديّة hamistu وفى العبريّة hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قررا عدم وجود ابدال للتاء من الواو (التطور النحوى ص ٣٣) ولكن المقارنة غير سديدة لأنها بين لغات قديمة جدا وبين اللغة العربية التى بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث فى كلمة أخ وأب وحم وهى فى حال الأفراد ثابت فى بعض اللغات السامية الأخرى فاب فى الآشورية والبابلية (أبو) وفى الأرامية (ابا) واخ فى الآشورية والبابلية (أخو) وفى الحبشة ولغات جنوب الجزيرة (أخو) وحم فى الآشورية والبابلية (أمو) وفى الأرامية (حما) . تاريخ اللغات السامية ٢٨٣ ، ٢٨٦ والواو قد زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مملأ أبوك وأخوك . مدرسة الكوفة ١٩٠ فرأى القدماء أقرب الى طبيعة اللغة العربية .

(٢٤) الحفرى : نبت وقيل : شجر ينبت فى الرمل وقيل : ذات ورق وشوك صغير وزهر أبيض ، ولا تنبت الا فى الأرض الغليظة ، الواحدة حفرة .

(٢٥) المصدر السابق ١٦٧/١ ، ١٦٨ .

أو تكون قبلها ألف مثل طلحة وحمزة وسعلاة وعزهاة وكلتا مثني باجماع من البصريين وعلامة التانيث لا تكون وسطاً^(٢٦) وهذا الرد سديد إلا أن القول بالأبدال بين التاء والواو — إذا كان له مسوغ لدى القدماء لقرب مخرجيهما كما قال ابن جنى^(٢٧) — فقد أثبتت الدراسات الصوتية بعده خالواو من أقصى اللسان كما ذكرنا والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول علماء الأصوات ولا اتفاق بينهما في الصفات أكثر من الاستفال والانفتاح والاصمات وهذا لا يصح به ابدال ويمكن أن نفسر هذه الكلمات على أنها استعملت بهذا الموضع في لهجات خاصة وعلى سبيل التعويض وقد صرح ابن جنى نفسه بأن هذا ليس أمراً مطرداً فلا نقول قياساً على تقيية في وقية تزيير في وزير ولا نقول في وجية تجية ولا في أوعد أئعد قياساً على أئلج ولا في ولهى تلهى قياساً على تئرى^(٢٨) وعلى الرغم من اطراد الأبدال في افتعل مما فآؤه واو فان بعض العرب — كما قال ابن جنى — تنطق المصيغة — على الأصل بلا ابدال فيقولون في اتعد اوتعد — مئعد ياتعد^(٢٩)، فليس هذا إذا من قبيل الأبدال وإنما هو من قبيل اختلاف اللهجات وفي آخت وأشباهها التاء عوض من الواو لا بدل منها على ما قدمنا .

التبادل بين الميم والواو :

في كلمة (فم) جعل ابن جنى الميم بدلاً من الواو وقال أن أصله (فوه) بزنة سوط حذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است فصار التقدير (فو) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا حذفه للتونين فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الواو من الميم لأنهما شفهيتان وفي الميم هوى في

(٢٦) المصدر السابق ١/ ١٦٨ .

(٢٧) المصدر السابق ١/ ١٦٤ . (٢٨) المصدر السابق ١/ ١٦٣ .

(٢٩) المصدر السابق ١/ ١٦٥ .

الفم يضارع امتداد الواو^(٣٠) * وبني ابن جنى هذا الرأى على اعتقاده — كالتقدماء — بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل *

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المدية من أقصى اللسان فيبعد بذلك مخرجها فلا يسوغ الإبدال * وللتقدماء رأى آخر — يجعل — الميم عوضاً لا بدلاً — يقول أبو الهيثم : لما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوها وقوفاً عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن^(٣١) * والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه، ولا يعترف الأستاذ برجستراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التميمم الذى هو التتوين فى اللغة العربية فكان الرفع fum والخفض fim والنصب fam والميم فيها لم تبصر نونا مع سائر الميمات الانتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافوا إليها الاعراب ، والتتوين فصارت فم * فم * فما * فنقلت الميم من آخر الكلمة الى وسطها ، ومن أجل ذلك لم يجز عليها القانون الصوتى الذى بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونا فى اللغة العربية ولكن لا دليل لبرجستراسر على دعواه والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها) ، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التتوين والا فما أصل الكلمة حينئذ وصور الاعراب التى ذكرها لا تطابق الواقع إذ الاعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (فوم) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق فالأولى أن تجعل الواو عوضاً كما يقول بعض القدامى *

(٣٠) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٠ .

(٣١) لسان العرب ٤٢١/١٧ — ٤٢٣ ، وانظر الموضوع بأسره فى

اللسان ٤٢١/١٧ — ٤٢٦ .

التبديل بين الهاء والواو :

- ١ — وقد رابنى قولها ياهنا ه ويحك ألصقت شرا بشر
٢ — قد وردت من أمكنه من ههنا ومن ههنا
ان لم أروها فمه

جعل ابن جنى الهاء بدلا من الواو أو من الألف . المبدلة منها
فى (هناه) قال « وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول
امرىء القيس (وقد رابنى قولها ياهناه الخ) فالهاء الآخرة فى هناه
يدل من الواو فى هنوك وهنوات وكان أصله هناو فأبدلت الواو هاء
قالوا : هناه هكذا قال أصحابنا^(٣٢) ولو قال قائل ان الهاء فى هناه انما
هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقعة بعد ألف هناه اذ أصله
هناو ثم صار هناه كما أن أصل عطاء عطاو ثم صار بعد القلب عطاء ..
فلما صار هناه والتقت ألفان كره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الآخرة
هاء فقالوا هناه كما أبدل الجميع من ألف (عطاا) الثانية همزة لثلا
يجتمع ساكنان لكان قولاً قويا ولكان أيضا أشبه من أن تكون قلبت
الواو فى أول أحوالها هاء وذلك من وجهين : أحدهما أن من شريطة
قلب الواو ألفا أن تقع طرفا بعد ألف زائدة وقد وقعت هناه كذلك
والآخر أن الهاء الى الألف أقرب منها الى الواو بل هما فى الطرفين
ألا ترى أن أبا الحسن ذهب الى أن الهاء مع الألف من موضع واحد
لقرب مكانيهما ، فقلب الألف اذا هاء أقرب من قلب الواو هاء^(٣٣) .

وقد حكى ابن جنى رأى أبى زيد قال : « وكتب الى أبو الحسن
من حلب فى جواب شئ سألته عنه فقال : وقد ذهب أحد علمائنا الى
أن الهاء من هناه انما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد
ألف التدبئة فى نحو وازيداه ثم انها شبهت بالهاء الأصلية فصركت

(٣٢) هم البصريون كما فى اللسان ٢٤٢/٢٠ .

(٣٣) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٤٣/٢٠ ،

فقالوا : يا هناء ولم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت إليه الى مدينة السلم وقرأت عليه نواذر أبي زيد نظرت واذا أبو زيد هو صاحب هذا القول » ثم قال ناقدًا له : « وهذا من أبي زيد غير مرضى عند الجماعة وذلك أن الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين انما تلحق فى الوقف فاذا صرت الى الوصل حذفتها ألبتة فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة وقد استقصيت هذا الفصل فى كتابى فى شعر المتنبى عند قوله (واحر قلباه ممن قلبه شيم) ودللت هناك على ضعف قول أبي زيد وببيت المتنبى جميعا .

وحكى ابن السراج عن الأخفش أن الهاء فى هناء هاء السكت بدليل قولهم ياهنانيه واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان فى التثنية والمشهور يا هنانيه^(٣٤) ، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الأخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانيه مثنى لكلمة هناء بل لكلمة هن ، وفرق بين الهاء فى هناء وهنانيه .

ونحن نرى أن مخرجى الحرفين الواو والهاء متباعدان على رأى الأقدمين ومنهم ابن جنى قالوا من الشفة والهاء من أقصى الحلق وكان من الواجب اذن عدم القول بالابدال^(٣٥) ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقاربًا أكثر من الهاء ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه واجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو وكل صور الابدال بين الواو والياء والألف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوى والانتقال من الاعلال الى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز .

(٣٤) اللسان ٢٠/٢٤٢ .

(٣٥) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف .

التبديل بين الباء والياء :

ذكر ابن جنى أن الباء تبدل ياء فى نحو تعالى وأرانى فى قول الشاعر — أشده سبيويه :

لها أشارير من لحم تتمره من الثعالى ووخذ من أرانيها

قال : أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها حرفا يمكن أن يقفه فى موضع الجر وهو الياء ، وليس أنه حذف من الكلمة شيئا ثم عوض منه الياء ، هذا هو رأى سبيويه — كما حكاه ابن جنى — وهو يرى فيه رأيا آخر عبر عنه بقوله :

ويحتمل أن يكون الثعالى — عندى — جمع ثعالة وهو الثعلب ، أراد أن يقول : ثعاليل فقلب ، فقال : (ثعالى) قالوا :

وكان أولاهها كعاب مقامر ضربت على شزن وهن شواعى^(١)

أى : شوائع ، ومن أبيات الكتاب :

تكاد أولايها تفرى جلودها ويكتحل التالى بهور وحاصب^(٢)

يريد أوائلها ، وله نظائر •

(١) وكان أولاهها الخ فى رواية أخرى (وكان صرعيا) وهما ابلان ترد احدهما حين تصدر الأخرى لكثرتها . الكعاب : فصوص الفرد واحدها كعب وكعبة وهو شيء يلعب به فارسى معرب واللعب بها حرام ، الشزن : الكعب ، شواعى مقلوب شوائع أى متفرقة ، والشاعر يشبه أولى الأبل (التى يتحدث عنها) فى مجيئها متفرقة متعارضة بعض هنا وبعض هناك — لكثرتها — بكعاب المقامر التى تتضاد وتتفرق . اللسان ٢/٢١٥ ، ٤٣١/٤ ، ٥٨/١٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٠٢/١٧ .

(٢) تفرى : تشق وتقطع — المور : الغبار بالريح — الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصى ، يقول : ان أوائل (ما يتحدث عنه من خيل أو أبل) تكاد لسرعتها ونفاذها لغرضها تشق جلودها ولا يبالي بعضها الآخر بما يدخل فى عيونها من تراب كثيره الريح . اللسان ١/٣١٠ ، ٣٧/٧ ، ١٢/٢٠ ، ١٢ .

ولكن ابن جنى يعود فيرجح الابدال فيها — كما ذهب اليه
سيبويه — وكما هو فى نظيرتها (أرانى) فيقول : الا أن الذى
ذهب اليه سيبويه أشبه بقولهم : أرانيها ولأن الثعالة اسم جنس
وجمع أسماء الأجناس ضعيف^(٣) .

ولكننا لو بحثنا فى العلاقة الصوتية بين الباء والياء فأننا نجد
تباعداً فى مخرجيهما وصفاتهما ولذا نحكم بعدم التبادل فيهما بل
هما لهجتان^(٤) .

ومن أمثلة ما قيل فى التبادل بين الباء والياء ما جاء فى المضعف
مثل ديباج — لبيت — وليبك (على قول يونس) — لا وربك
لا أفعل .

قالوا : (ديباج وديابيج فدل قولهم : ديابيج بالياء على أن
أصله : دباح وأنهم استقلوا تضعيف الباء ومثله لا وربك لا أفعل
أى وربك)^(٥) .

وقال بعضهم : لبيت بالحج هو لبيت فعلت — بتشديد العين —
من قولهم : ألب بالمكان أى أقام به قال مضر بن كعب :
فقلت لها فىء اليك فأننى حرام وانى بعد ذاك لبيب
أى ملب بالحج^(٦) .

ويزعم يونس أن لبيك اسم مفرد وأصله عنده ليب ووزنه عنده
فعل ولا يجوز أن تحمله على فعل — بتشديد العين — لقلة فعل للأسماء

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ واللسان
٤١٩ ، ٤١٨ ، ٣٣٢/١ .

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٦٦ .

(٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ واللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ،
١٦٧/١٨ .

(٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ ، ١٤٣ وانظر الأشموتى
٢٥٣/٢ .

وكثرة فعل فقلبت الياء التي هي اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل : ان لببك مأخوذ من قولهم : ألْب بالمكان^(٧) .

وهذا يدل على أن الياء في لببت ولبيك بدل من الباء كراهية التضعيف الذي نشأ عنه الثقل في كليهما ولكن أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه — خالفوا يونس فلم يقولوا بأن الياء في لببت ولبيك بدل من باء بل الياء فيهما أصل فكلما لبك اسم مثنى يمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد فالياء عندهم علم التثنية ووزنه على قولهم فعليك^(٧) كما أن سعيدك كذلك لا محالة « قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تصاذيها أى أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وحكى عنه — أيضا — أنه قال : هو مأخوذ من قولهم أم لبة أى محبة عاطفة ومعناه على هذا اقبالا اليك ومحبة لك وأنشد :

وكنتم كأم لبة طعن ابنها إليها فما درت عليه بساعد

وقال ابن الاعرابى : اللب الطاعة وأصله من الإقامة وقولهم لببك : اللب واحد فاذا تثبت قلت فى الرفع لبان وفى النصب والخفض لبين ، وكان فى الأصل لبينك أى أطعك مرتين ثم حذفت النون للإضافة أى أطعك طاعة مقيما عندك إقامة بعد إقامة^(٨) فالياء على هذا للتثنية ونقض أصحاب هذا المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لببك وكلمات (عليك — اليك — لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء لببك بمنزلة عليك واليك ولديك لوجب متى أضفتها الى المظهر أن تقرها ألفا كما أنك متى أضفت عليك واختيها الى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت

(٧) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٨) لسان العرب ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ والأشمونى ٢/٢٥٢ والكتاب ٣٥٢/٤ — ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

تقول : لبي زيد ولبي جعفر كما تقول الى زيد وعلى زيد ولدى سعيد
وأنشد قول الشاعر :

دعوت لما نابنى مسورا فلبى فلبى يدى مسورا

قال : قوله : فلبى بالياء مع اضافته اياه الى المظهر دلالة على أنه
اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد^(٩) هذا عن الياء فى
لبيك فهى ياء التثنية وليست بدلا من ياء — كما ذهب يونس — أما
ياء لبيت بالحج فهى كذلك — عند أهل الصنعة — وليست بدلا من
ياء بل هى الياء فى لبيك التى هى علم التثنية ذلك أنهم اشتقوا من
الصوت فعلا فجمعوه من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحانه أى
قلت سبحان الله ومن لا اله الا الله هللت ومن لا حول ولا قوة الا بالله
حولت ومن بسم الله بسملت ومن هلم هلممت وكتب الى أبى على
من حلب فى شىء سألته عنه فقال قال بعضهم سألتك حاجة فلا ليت
لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لولا قال :
وقالوا : بأبأ الصبى أباه أى قال له يا أباه ... وهذا كثير فكذلك أيضا
اشتقوا لبيت من لفظ لبيك فجاء فى لبيت بالياء التى هى للتثنية فى لبيك
وعلى هذا قول سيبويه^(١٠) .

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قال : « والقول
بعد ذلك قول سيبويه الا أنه لا يمنع مع ذلك صحة رأى يونس حين
قال : « ثم ان أبا على فيما بعد انتزع لنا شيئا يؤنس به قول
يونس ولم يقطع به وانما ذكره وهو أنه قال : ليونس أن يحتج
فيقول : قوله فلبى يدى انما جاء على قول من قال فى الوصل هذم
أفعى بسكون الياء عظيمة وعصى طويلة فقد حكى سيبويه أنهم
يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونه فى الوقف وهذا ليس عندنا

(٩) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الاول من الورقة ١٤٣
والاشموني ٢٥٣/٢ .

(١٠) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ .

معنفا وانما فيه بعض التأنيس ويرى الأب مرمرجى الدومنى أن الفعل (لبي) ليس مرتجلا — كما فى الفصحى — من لفظة لبيك بل يراد به ساعد — أعان — أغاث ، كما أن لفظة لبيك ليست بمثنى وانما يراد منها المعنى السابق للفعل لبي لأسباب :

١ — تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جدا ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر •

٢ — أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر وهى الكلمة الأكديّة التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم كما أن هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبريّة بصورة *tehom* فكان العرب يصرخون اذ ذاك لبيك لبيك موجّهين الكلام الى القمر كأنهم يقولون (ساعدك — أو أغاثك أو فليساعدك وليعتك الاله مروخ منجيا اياك من (تهامة) وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض الحامية الجهلة فى فرصة كسوف القمر لاعتقادهم الخرافى أن حوتنا يتلعه فيصرخون وينسجون بالنق والمقرع على الأوانى النحاسية كالقدور والصوانى وغيرها تهويلا لهذا الحوت المزعوم فيضطر لخوفه الى قذف القمر من فيه وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة •

٣ — أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهى سعديك وقد أشار سيبويه الى ذلك بقوله « حدثنى أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشئ لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا وقد أسعد فلان فلانا على أمره وساعده والالباب : المساعدة وكما ورد عن البخارى فى جواب معاذ للنبي (لبيك) رسول وسعديك •

٤ — أنها تشبه أهل واستهل أى رفع صوته والاهل بالحج ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل — أهل — استهل) •

ثم تطورت دلالاتها فأصبحت تطلق على الاجابة والطاعة والتهيل

والتسبيح والتعظيم والفتيجة لكل ذلك أنه « يمكن القول بأن الصيغة (لبيك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو رأى السائد بل هي ضرب من اللفظ القديم بالامالة على مثال الوارد فى اللهجات مثلا : ناديه — توفيه — استهويه — صريط — مشكيه — كيفرين (يقابلها فى الفصحى : ناداه — توفاه — استهواه — صراط — مكشاة — كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت فى الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك (رماه — وفاها — دعاك) وهكذا تكون لبيك وسعديك من الآثار اللغوية القديمة التى بقيت فى اللغة وسبقت لبك وأسعدك (١١) .

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قديمة وحديثة تجعل مادة (لب وألب) أصلا لاشتقاق (لبيت ولبيك) ومعناها فى النهاية أنا مقيم على طاعتك (١٢) وهذا الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه ، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس وما يراه الأب مرمجى الدومنى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الامالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعة إذ لا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كانت تنطق بصيغة الامالة ، والمعهود أن تكون امالة الألف نحو الكسرة مثل « وجاء ربك والملك » « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » وما هنا لم يتحقق فيه ذلك بل الحرف السابق (للألف — حسب ما يراه) مفتوح فتحة صريحة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية اتى ذكرها بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسرة على خلاف لبيك وسعديك ، ويبدو أن رأى أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه فى الذهاب الى أن لفظ (لبيك) مثنى هو أكثر صوابا وقبولا يدل لذلك القاعدة اللغوية المشهورة (الاعراب

(١١) معجمات عربية سامية للأب مرمجى الدومنى ص ١٧٠ —

١٧٢ .

(١٢) اللسان ٢/٢٢٦ .

فرع المعنى (فمعناها) اجابة لك بعد اجابة واقامة على طاعتك بعد اقامة (وهذا يؤكد أن اللفظ مثنى وأنه منصوب على المصدرية كتقولك حمدا لله وشكرا وكان حقه أن يقال : لبالك الا أنه ثنى على معنى التوكيد أى البابا لك بعد الباب واقامة بعد اقامة^(١٣)) وأما القول بأن الياء فى (لبيت ولبيك) يدل من الباء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالا أن تكون الياء فى الفعل بدلا من الياء تبعا لأصل اشتقاقه من لب أو أل بالمكان بمعنى أقام به ولزمه فالمتوقع فى الصياغة — تبعا للقواعد العامة أن يكون أصله (ل ب ب — لب ب ت) ثم أبدلت الباء الأخيرة ياء كراهية توالى الأمثال^(١٤) وهو قانون بينا أنه منطق علم اللغة الحديث — والأقوى احتمالا — كذلك — ألا تكون الياء فى (لبيت) بدلا من باء — مع اعترافنا برجوعها الى أصل المادة (ل ب ب) — فال معروف أن (لبيت) كما رجحنا مثنى المصدر (لب) بحالة النصب وأصله (لبان) لك ولبيت لك فالظاهر أن الياء هنا علم النصب فى التثنية ولا صلة لها بحرف آخر كالباء اذ الصيغة هنا من الثلاثى وهى ثلاثية أيضا بعكس صيغة الفعل (لبي) فهى رباعية ولا بد لصياغتها من لب أن تكون هناك باء أخرى زيدت على الأصل الثلاثى ثم أبدلت منها الياء للمخالفة التى تحقق انسجام الأصوات فى الكلمة .

التبادل بين التاء والياء :

اتسر — اتبس : (من اليسر واليبس) — ثنتان — كيت وذيت .
ذكر ابن جنى أن الابدال بين التاء والياء مقيس فى افتعل مما فاءه ياء^(١٥) .

وأما ثنتان فقال عنها : ويدل على أنه من الياء أنه من ثنيت

(١٣) اللسان ٢٢٧/٢ .

(١٤) يقول صاحب اللسان لبيت بالمكان ولبيت لفتان اذا اقامت به وهو اصل التلبية كما حكى أبو عبيد عن الخليل . اللسان ١٠٤/٢ .

(١٥) سر الصناعة ١٦٤/١ ، ١٦٥ .

لأن الاثنين قد ثنى أحدهما عن صاحبه وأصله ثنى يدل على ذلك جمعهم إياه على أثناء ، بمنزلة أبناء وآباء فنقلوه من فعل — بفتح الفاء والعين — الى فعل — بكسر الفاء وسكون العين كما فعلوا ذلك فى بنت^(١٦) والمثالان الأخيران أصلهما كية وذية ثم انهم جذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كما فعلوا ذلك فى (ثنتان) والمصيغة فيهما علم التأنيث كما كانت المصيغة فى (ثنتان) كذلك علم التأنيث وليست التاء فيهما منقلبة عو واو وأن أصلهما كيو وذيوه لأنه يؤدى الى مثال ليس فى كلام العرب « لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلها ياء ولام فعلها واو » الا اذا كان علما مثل رجاء بن حيوة لأنه قد يحتمل فى الأعلام ما لا يحتمل فى غيرها^(١٧) ، ويمكن أن نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق وبخاصة أن الأسمونى يقول عن اعراب (ثنتان) ومثل اثنتين ثنتان فى لغة تميم^(١٨) وقال قبل ذلك انهما اسمان من أسماء الثنية وليسا بمثنيين حقيقة فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها ثنية (ثنى) وأنها من ثنيته^(١٩) ، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى وكل ذلك يمكن اعتباره لهجات متعددة لا من قبيل الابدال لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للابدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء ووافقهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وبينهما من الحروف — على رأى ابن جنى نفسه — ض — ل — ر — ن — ط — د ، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين فبعضهم يقول اتسر والآخرون ايتسر وبعضهم يقول اثنتان وآخرون ثنتان وبعض يقول كية وذية وبعض آخر كيت وذيت وهكذا •

(١٦) المصدر السابق ١٦٩/١ •

(١٧) المصدر السابق ١٦٩/١ ، ١٧٠ ، ١٧١ •

(١٨) الأسمونى ٧٨/١ • (١٩) سر الصناعة ١٦٩/١ •

وذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثل ايتصلت فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف^(٢٠) إذ أصلها اتصلت قال : (وايتصلت بمثل ضوء الفرقد) وهذا يخالف ما ذكره ابن جنى فى مكان آخر إذ صرح بأن التاء هى التى أبدلت من فاء افتعل التى كانت وأوا^(٢١) خوفا من تلاعب الحركات بالواو فانها لو تركت دون ابدال بالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها الى حروف مد من جنسها « فوجب أن يقلبوها اذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا ايتزن ، ايتعد ، ايتلج فاذا انضم ما قبلها ردت الى الواو فقلوا موتعد وموتزن وموتلج واذا انفتح ما قبلها قلبت التاء فقلوا ياتعد وياتزن وياتلج^(٢٢) ، وعلى هذا فالياء فى ايتصل ونحوها ليست مبدلة من التاء — كما ذكر ابن جنى فى سر الصناعة حرف الياء بل أن الياء بدل من الواو حولت اليها لمناسبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربية اعترف بها ابن جنى نفسه^(٢٣) وقد شرحنا ذلك فيما مضى .

التبادل بين التاء والياء :

يفديك يا زرع أبى وخالى قد مر يومان وهذا الثالى
وأنت بالهجران لا تبالى

أراد الثالث^(٢٤) والواقع أن هذا لا يعد من الابدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والتاء حتى يقع بينهما التبادل .

التبادل بين الجيم والياء :

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من الجيم كما فى كلمة شجرة فانها تنطق

-
- (٢٠) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٦ .
 - (٢١) المصدر السابق ١٦٣/١ .
 - (٢٢) المصدر السابق ١٦٤/١ .
 - (٢٣) المصدر السابق ١٦٥/١ .
 - (٢٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

أحيانا شيرة وقرىء (ولا تقربا هذه الشيرة)^(٢٥) وقد عرض ابن جنى
لرأيين فيها :

الأول : أن الياء ليست بدلا من الجيم بل هى أصل مثلها فى لهجة من
اللهجات واستدل على ذلك بأمرين :

١ — ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم (شيرة) ولو كانت
بدلا من الجيم لكانوا خلقاء اذا صغروا الاسم أن
يردوها الى الجيم ليدلوا على الأصل *

٢ — أن شين شجرة مفتوحة وشين شيرة مكسورة والبدل
لا تغير فيه الحركات انما يوقع حرف موقع حرف (مثل
أيل وأجل)^(٢٦) * قال أبو الفتح : حكى أبو الفضل
الرياشى قال : كنا عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له :
انه يقول الشيرة فسأله عنها فقلت له : سله عن
تصغيرها فسأله فقال : شيرة وأنشد الأصمعى لبعض
الرجاز : (تحسبه بين الآكام شيرة)^(٢٧) وقال صاحب
البحر : « كره أبو عمرو هذه القراءة وينبغى ألا يكرهها
لأنها لغة منقولة » *

الثانى : أن تكون الياء بدلا من الجيم — ببعض الصنعة — فالعرب
إذا قلبت وأبدلت قد تغير فى بعض الأحوال مثل جاء مقلوب
وجه ألا ترى أنه بعد تقديم العين لم يسكن الواو بل حركها
فقلبت ألفا فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة وزاد فى الأنس
بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفا فيقال شارة فكانت:

(٢٥) سورة البقرة الآية ٣٥ ، والبحر ١/١٥٨ .

(٢٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ ، واللسان (شجر)

٦٢/٦ ، ٦٣ .

(٢٧) المحتسب ١/٧٣ ، ٧٤ وانظر اللسان ٦/٦١ والقاموس

المحيط ٢/٥٦٦ .

تبعد كثيرا عن شجرة ، وليس كذلك كلمة (جاء) لأنه يشبه وجهها لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن وثاني شجرة متحرك فعدلوا لذلك الى كسر الشين وكان هذا اوفق وأليق (٢٨) *

ويؤنس لهذا الوجه أيضا ما ذكره في المحتسب : « من أن بعض العرب تقول الشجرة (بكسر الشين) وقال ابن إسحاق لغة بنى سليم الشجرة (٢٩) — بكسر الشين — ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شجرة وشجرة — بفتح الشين وكسرها — وقالوا شيرة فأبدلوا ، فاما أن يكون على لغة من قال شجرة — بكسر الشين — واما أن تكون الكسرة لجاورتها الياء (٣٠) والمواقع أن البحث اللغوى الحديث يؤيد الابدال بين الياء والجيم لاتفاقهما فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مستقل منفتح مصمت (٣١) ولا مانع من نسبة كل منهما الى حى من العرب وذات الجيم والشين المفتوحة تناسب الحضر لخفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الأعراب *

ويقول ابن جنى بالتبادل كذلك بين الجيم والياء فى المضع ويمثل لذلك بقولهم فى جمع ديجوج : دياج أصله : دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت — مع الياء قبلها — تخفيفا (٣٢) ، ويقول صاحب اللسان : وجمع الديجوج دياجيج ودياج وأصله : دياجيج فحذفوا بحذف الجيم الأخيرة ، قال ابن سيدة : التعليل لابن جنى (٣٣) *

(٢٨) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٦ بتصرف .

(٢٩) المصدر السابق ٧٣/١ ، ٧٤ .

(٣٠) اللسان ٦١/٦ .

(٣١) التجويد والاصوات ٤٩ ، ٥٠ والاصوات اللغوية ٦٤ ، ٦٥ .

(٣٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

(٣٣) اللسان ٨٩/٣ .

وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداءً بل الأمر يقتضى قلبها أولاً الى ياء للانسجام الصوتى ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة فى تخفيف اللفظ وبخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة فى صعيد واحد .

قال الأحمر : بعير آزيمٌ وأسجم — وهو الذى لا يرغو — قال شمر : الذى سمعت بعير أزجم بالزاي والجيم وقال أبو الهيثم ليس بين الأزيم والأزجم الا تحويله الجيم ياء وهى لغة تميم معروفة (٣٤) .

ونقل عن بنى تميم أنهم يقولون : الصهارى وصهرى فى الصهاريج وصهريج (٣٥) .

التبادل بين الدال والياء :

من أمثلة ذلك (فعلت) من التصدية — وهى التصفيق والصوت قال الأزهرى : يقال صدى يصدى تصديه اذا صفق (٣٦) وأصله صدد يصدد فكثرت الدالات فقلبت احداهن ياء (٣٧) ومنه الثلاثى صددت أصد وصددت أصد بكسر الصاد وضمها فى المضارع وفى التنزيل : ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون أى يعجون ويضجون والاختيار يصدون بالكسر وهى قراءة ابن عباس وفسره يضجون ويعجون . قال أبو منصور فاذا

(٣٤) التهذيب ٢٧٥/١٣ (زيم) وفى اللسان الا تحويله الياء جيما وقد دعا ذلك بعض الباحثين الى عدم نسبة هذه الظاهرة الى تميم مع أن ذلك ثابت كما ورد عن الأزهرى ، لغة تميم لضاحى عبد الباقى ص ٨٥ .
(٣٥) الابدال لأبى الطيب ١٦١/١ والأمالى ٢١٤/٢ .

(٣٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ ومنه قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فالمكاء الصغير والتصدية التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصد هذه صد الأخرى وهما وجهها . اللسان ٢٣٣/٤ .

(٣٧) اللسان ٢٣٣/٤ .

كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صد يصد مثل ضج
يضج^(٣٨) وأنكر أبو جعفر الرستمي هذا القول على أبي عبيدة وقال :
انما هو من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفا ؟ ، وقال
أبو علي : ليس ينبغي أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله يصدون
وقوع هذه الكلمة على الصوت وضرب منه وإذا كان كذلك لم يمتنع
أن يكون تصدية منه ويكون تفعلة من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة
والتعلة^(٣٩) فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفا اختلف
اللفظان فبطل الادغام^(٤٠) .

المتبادل بين الراء والياء :

شيراز — قيراط — تسريت .

أولا : شيراز^(٤١) فيه عدة أوجه :

١ — أن تكون الياء بدلا من الراء وذلك من وجهين :

(أ) أن يكون أصله شرارا والجمع شراريز وهذا واضح في
إبدال الياء من الراء الأولى .

(ب) أن يكون أصله شرارا والجمع شواريز ، يقول ابن جنى وقد
يجوز — أيضا — على هذا أن يكون أصل واحده شرارا الا أنهم
أبدلوا من الراء الأولى ياء — كما ذكرناه — ثم انهم لما جمعوا
أبدلوا الياء المبدلة عن الراء واوا لقرب ما بين الياء والواو .

٢ — أن تكون الياء بدلا من الواو : قال ابن جنى : فأما من

(٣٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٥ واللسان
٢٣٢/٤ .

(٣٩) اذ أصلها تجللة وتعللة ثم ادغم .
(٤٠) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٥ والأول
من الورقة ١٤٦ .

(٤١) اللبب الرائب المستخرج مأوه ج شواريز وشراريز وشراريز
فيمن يقول : شيراز انظر مادة (شرز) القاموس : ١٨٥/٢ .

قال فى شيراز شواريز فانه جعل الياء فيه مبدلة من واو وكان أصله على هذا شورازا فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها قلبت ياء ثم انه لما زالت الكسرة فى الجمع رجعت الواو فقالوا شواريز فان قلت : فان بناء فعوال ليس موجودا فى الكلام فمن اين حملت واحد شواريز عليه ؟ فالجواب : أن ذلك انما رفض فى الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلم يمكن اظهارها فلما لم يصلوا الى اظهار الواو فى الواحد لما ذكرناه وكانوا يريدونها أظهارها فى الجمع ليدلوا على ما أرادوه فى الواحد ليُعلموا أنها لم تزد فى الواحد ياء فى أول أحوالها وأنها ليست كديماس ودياميس ولا كديياج وديابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال والدليل على كون الياء فى شيراز بدلا من الواو فى شوراز وأنها بمنزلة ياء ديماس ظهورها فى الجمع شواريز (٤٢) .

٣ — أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس قال ابن جنى : ويحتمل قولهم عندى شواريز قولاً آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز قيعالا والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس وكان قياسه على هذا أن يقولوا فى تكسيره شياريز كدياميس ولكنهم أبدلوا من الياء واوا لضرب من التوسع فى اللغة وذلك أن الواو فى هذا المثال المكسر أعم تصرفا من الياء ألا ترى الى كثرة نحو ضوارب وقواتل ... وقلة صيارف وبياطر فلما ألقيت الواو فى هذه الأمثلة المكسرة وكانت أعم تصرفا من الياء قلبت الياء أيضا فى شياريز واوا فى شواريز كما قلبت الواو أيضا فى نحو هذا من مكسر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع فى الكلام وقالوا فى جمع ناطل ... نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم

ودانق قال ليبد : (تكرر عليهم بالمزاج النياطل) (٤٣) وقد رجح ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثه عن الرأى الأول مشيرا الى الرأى الثالث الذى معنا وكان قد ذكره قبله — والقول الذى قبل هذا أشبهه .

ثانيا : قيراط : أصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط فأبدل من احدى حرفى تضعيفه ياء .. قال ابن دريد : أصل القيراط من قولهم : قرط عليه اذا أعطاه قليلا والياء فى قيراط بدل من الراء (٤٤) .

ثالثا : تسريت : هذا الفعل مأخوذ من السرية (٤٥) بتشديد السين المضمومة وتشديد الراء المكسورة وقد اختلف فى اشتقاقها على الوجوه الآتية :

١ — من سراة الشيء : وسراة الشيء أعلاه وما ارتفع منه (٤٦) وأصلها على هذا (فعيلة) سريوة لأن السراة من الواو ويظهر ذلك فى جمعها على سروات يقول الفرزدق :
وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النبت قطن مندف
فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (٤٧) .

٢ — من السرو بمعنى المروءة والشرف يقال سرو يسرو سراوة

(٤٣) الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٤٣ ، ١٤٤ وانظر المحتسب ١٥٧/١ والنياطل : جمع ناطل وهو القدح الصغير الذى يعرض فيه الساقى أنموذجه من الشراب على الندامى ، وقال الجوهري : أنه جمع نيطل لأن فاعلا لا يجمع على فياعل . اللسان ١٩٠/١٤ .
(٤٤) القيراط معيار فى الوزن وفى القياس تختلف بمقاديرهم باختلاف الأزمنة ، ويثقال القيراط والقراط بالتشديد انظر القاموس ٣٩٢/٢ ، ٣٩٣ واللسان (قرط) ٣٥٢/٩ والمعجم الوسيط ٧٢٧/٢ .
(٤٥) الجارة المتخذة للملك والجماع والامة التى بوأتها بيتا .
(٤٦) اللسان ١٠٠/١٩ .
(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .

وسروا أى صار سريا وله صلة بالمعنى السابق اذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنيا ومن هنا قال أبو العباس : السرى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سرو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع مأخوذ من سرة كل شىء ما ارتفع منه وعلا^(٤٨) الا أن سرية على هذا يكون أصلها فعولة من السرو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلبا للخفة ثم ادغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حولت الضمة كسرة لجاورة الياء^(٤٩) .

٣ — من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش يقول ابن جنى : والذي ذهب اليه أبو الحسن أنها فعلية من السرور لأن صاحبها يسر بها ، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال ان الموضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولاسراتها قال ابن جنى : والمقوله ما قال^(٥٠) .

٤ — (أ) من السر بمعنى الجماع لأنه يكتم « وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويسر أمرها من حرته وصاحبة منزله »^(٥١) وهى فعلية بهذا الاشتقاق أيضا وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ فيقال للحرة اذا نكحت سرا أو كانت فاجرة سرية — بكسر السين — وللمملوكة يتسراها صاحبها سرية — بضم السين مخافة اللبس^(٥٢) .

(ب) من السر بمعنى السرور وبه قال أبو الهيثم ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الأخفش السابق .

٥ — من السرى يقول ابن جنى : « ولو قال قائل انها فعيلة من

(٤٨) اللسان ٩٩/١٩ ، ١٠٠ .

(٤٩) المصدر السابق ٢٢/٦ .

(٥٠) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .

(٥١) المصدر السابق (الأزهر) ١٤٥ .

(٥٢) اللسان ٢٢/٦ .

سريت أى سرت ليلا اليها لأن فى ذلك ضربا من الاخفاء والستر
لكان قولاً « (٥٣) » .

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنها اما فعيلة — كما هو الرأى
الثالث والرابع — واما فعيلة — كما هو الرأى الأول والخامس — واما
فعولة — كما هو الرأى الثانى — وعلى أخذها من السرى لا يتحقق
الاببدال فى شئ من الحروف لأن الياء تكون أصلية فى موضعها ،
وعلى أخذها من السراة والسرو يكون الابدال من الواو الى الياء
— كما هو مبين سابقا — وليس من بابنا الذى نتحدث عنه ، ويتحقق
هما أردناه اذا أخذت من السر أو السرور اذ تكون السرية من (مادة
س ر ر) المكررة الراء ويكون تسريت أصله تسريت على تحويل
التضعيف فالراء أبدلت ياء لما توالى ثلاث راءات ، ولذلك قال
ناين جنى ان حملها على أنها فعيلة أوجه لأمرين :

(أ) لأن فعيلة أكثر فى الكلام من فعيلة .

(ب) معنى السر والسرور أظهر من معنى السراة والسرى (٥٤) .

التبادل بين السين والياء :

قال الشاعر :

إذا ما عد أربعة فسال فزوجك خامس وأبوك سادى

وقال الآخر :

جويزل أعوام أذاعت بخمسة وتعتمدنى ان لم يق الله ساديا

وقال ثالث :

مضى ثلاث سنين منذ حل بها وعام حلت وهذا التابع الخامى

(٥٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ .

(٥٤) المصدر السابق .

وقال :

عمر بن كعب بن عبد الله بينهما
وابناهما خمسة والحارث السادي^(٥٥)

والواقع أنه لا ابدال بين السين والياء لعدم التقارب في المخرج
أو الصفة فكل منهما لغة لقوم ، يقول ابن منظور في لسانه : والسادي :
السادس في بعض اللغات وذكر البيت الأول^(٥٦) .

التبادل بين الصاد والياء :

يذكر ابن جنى من ذلك (قصيت أطافري والأصل قصصتها)
فقلبت إحدى الصادات ياء كراهية التضعيف^(٥٧) .

التبادل بين الضاد والياء :

وهذا مثل تقضى بمعنى انقض وأصله تقضض على وزن
(تفعل) من الانقضاض قال الشاعر :

تقضى البازي إذا البازي كسر

ويجوز أن يكون (تقضى البازي) تنفلا من قضيت بمعنى عملت
وصنعت قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع
أى عملهما .

وعلى ذلك يكون معنى تقضى البازي أى عمل البازي في طيرانه
والموجه هو الأول^(٥٧) .

(٥٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ وانظر اللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ، ١٦٧/١٨ .

(٥٦) ٩٩/١٩ .

(٥٧) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ والمحتسب ١٥٧/١ وانظر اللسان
١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ قال ابن جنى وقد يجوز عندي أن يكون قصيت فعلت
من أفاض الشيء لأن أفاضه أطرافه والمأخوذ من الأظفار إنما
هو أطرافها وأفاضها فلا يكون في هذا بدل .

التبادل بين العين والياء :

من ذلك قول الشاعر أنشدته سيوييه :

ومنهل ليس به حوازق وللضفادى جمّة نقائق
يريد للضفادع جمّة فكره أن يسكن العين فى موضع الحركة فأبدل
منها حرفا يكون ساكنا فى حال الجر وهو الياء^(٥٨) .

والواضح أنها لغة وليست من الابدال فى شىء لعدم تقارب
مخرجى الحرفين وصفاتهما .

وفى المضعف قالوا : تلعت من اللعاعة وهى بقلة وأصله
تلعت^(٥٩) ويقول صاحب اللسان :

واللعاعة أيضا بقلة من ثمر الحشيش تؤكل وألعت الأرض تلع
العاعا أنبتت اللعاع وتلعى اللعاع أكله وهو من محول التضعيف
يقال : خرجنا نتلعى أى نأكل اللعاع كان فى الأصل نتلّع مكرر
العينات فقلبت احداها ياء^(٦٠) .

التبادل بين الكاف والياء :

من ذلك « مكوك ومكاكى أصله مكاكيك مثل سفود وسفافيد^(٦١)
فأبدل كراهية التضعيف ... وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ :
كان يتوضأ بمكوك ويغتسل بخمس مكاكيك وفى رواية بخمس
مكاكى^(٦٢) .

(٥٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر
اللسان (ضفدع) ٩٤/١٠ .
(٥٩) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٤٦ .
(٦٠) اللسان ١٩٥/١٠ .
(٦١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦ .
(٦٢) اللسان ٣٨١/١٢ .

التبادل بين اللام والياء :

من ذلك أمليت وأصلها أمللت وهما لغتان قال ابن جنى : قولهم
أمليت الكتاب إنما أصله أمللت فأبدلت اللام الآخرة هرباً من التضعيف
فقد جاء القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل : « فليملك الذى
عليه الحق » وقال « فمضى تملى عليه بكرة وأصيلاً » (٦٣) وفى اللسان
قال الفراء : أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم
وقيس (٦٤) وقرأ عكرمة (أيلاً ولا ذمة) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام (٦٥)
وأصلها (الا) تحولت اللام المضعفة الى الياء وقد أشار ابن جنى الى
حدوث الثقل باجتماع المثلين وأن ذلك يؤدى الى تخفيفهما باتباع
قانون المخالفة يقول (طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (الا) كقراءة
الجماعة الا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الادغام وانضاف الى ذلك
كسرة الهمزة وثقل الهمزة وقد جاء نحو هذا فى أحرف صالحة كدينار
لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قراريط وديماس فيمن قال : دماميس
وديباج فيمن قال ديابيج وشيراز فيمن قال : شراريز (٦٥) .

التبادل بين الميم والياء :

ديماس — يأتى — يكما — معمية .

(أ) قال سيبويه : من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه
بدل من الميم اذ أصله حينئذ دماس فأبدل كراهية التضعيف (٦٦) .

(٦٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥
والاحتساب ٥٧/١ واللسان ١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ .

(٦٤) ١٥٣/١٤ ، ١٥٤ .

(٦٥) الاحتساب ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ والخصائص ٢٣١/٢ .

(٦٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف
واللسان ٣٩٠/٢ ، ٣٩١ .

(ب) قال الشاعر : أخبرنا أبو على بإسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابي أنه أنشده :

نزور أمراً أما الاله فيتقى وأما بفعل الصالحين فيأتمى
أراد : يأتهم فأبدل الميم الثانية ياء^(٦٧) .

(ج) وقال في قول الراجز : (بل لو رأيت الناس اذ
تكموا ... الخ) .

قالوا أراد تكمموا من تكملت الشيء اذا سترته فأبدلت الميم
الأخيرة ياء فصارت في التقدير (تكميوا) ، فأسكنت الياء وحذفت
كما تقول : قد تولوا من وليت ، وذكر ابن جنى احتمالاً آخر فيه
وهو أن يكون تكموا تفعلوا من كميت الشيء اذا سترته ومنه قولهم
كمى وهو الذى تستر فى سلاحه فيكون تكموا على هذا مما لاه
معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف^(٦٨) وقال ذو الرمة :

منطقة بالآل معمية به دياجيرها الوسطى وتبدو صدورها

قال ابن الأعرابي : أراد معممة فأبدل من الميم ياء ، وجوز ابن
جنى أن يكون مشتقاً من العمى^(٦٩) وعلى هذا لا ابدال فيه .

وكذلك قوله : أيما فى (أما) فأبدل من الميم المضعفة ياء^(٧٠)
استثقالا للتضعيف وحده ، قال سعد بن قرط يهجو أمه :

ياليتمها أمنا شالت نعامتها أيما الى جنة أيما الى نثار

وقال عمر بن أبى ربيعة :

رأت رجلاً أيما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأيما بالعشى فيخسر^(٧١)

(٦٧) المصدر السابق الورقة ١٤٥ واللسان ٤٨/١٨ .

(٦٨) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥ ،

٤٣٢/١٥ ، ٤٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٢٩/١٩ .

(٦٩) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ .

(٧٠) الخصائص ٦٥/٢ والمحاسب ٢٨٣/١ .

(٧١) المحاسب ٢٨٣/١ .

التبادل بين النون والياء :

(أ) دينسار (ب) لم يتسن (ج) تظنيت

(أ) أصله دينار والقول فيه كالقول في قيراط لقولهم في التفسير دنانير ولم يقولوا ديانير وكذلك التحقير وهو دنينير ، فقلبت إحدى النونين ياء كراهية التضعيف ولئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال — بتشديد النون — كقوله تعالى : (وكذبوا بآياتنا كذابا) إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة لأنه آمن الآن من الالتباس ولذلك جمع على دنانير قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباح أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجرى على ألسنتهم سواء كان عربيا أصيلا أو معربا كما هو واضح هنا •

(ب) لم يتسن : يقول ابن جنى « قرأت على أبي على باسناده عن أبي عبيدة قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : لم يتسن : لم يتغير من قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير فقلت له : لم يتسن من ذوات الياء ومسنون من ذوات التضعيف فقال هو مثل تظنيت وهو من الظن فأصله على هذا القول لم يتسن ثم قلبت النون الآخرة ياء هربا من التضعيف فصار يتسنى بسكون الياء ثم أبدلت الياء ألفا فصار يتسنى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسن •

(ج) تظنيت أصله تظننت حولت إحدى النونات ياء قال ابن جنى ومن ذلك قولهم تظنيت وهو تفعلت من الظن وأصلها تظننت فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف (٧٢) •

(٧٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥ ، ٤٣٢/١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٢٩/١٩ •

التبادل بين الهاء والياء :

(أ) صهصيت ، يقال : صه القوم وصهصه بهم : زجرهم^(٧٣)
وقالوا فى صهصت بالرجل : اذا قلت له صه صه : صهصيت ، فأبدلوا
من الهاء ياء *
:

(ب) دهديت ، قالوا : دهديت الحجر ، أى : دحرجته واصله
دهدهته ، ألا تراهم قالوا : دهدومة الجبل لما يدحرجه ، قال
أبو النجم :

كأن صوت جرعها المستعجل جندلة دهديتها فى جندل^(٧٤)

دهدعت الحجارة ودهديتها اذا دحرجتها فتدهده الحجر *
:

(ج) هذه فى هذى — هنية فى تصغير هنة — زنادقة
وفرازنة^(٧٥) *
:

ويقول ابن جنى فى هذى وهذه : ابدلت الهاء من الياء بدليل
التصغير ذيا فى تصغير ذا — ويكتفى به عن تصغير ذى — فكما لا نجد
الهاء فى المذكر (ذا) أصلا فكذلك هى فى المؤنث بدل غسر أصل ،
وليست الهاء فى هذه بمنزلة هاء طلحة وحمزة لأن الهاء فى طلحة

(٧٣) اللسان ٤٠٦/١٧ .

(٧٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢ .
الجمل : — بضم الجيم وفتح العين — دابة سوداء من دواب
الأرض ، قيل : هو أبو جعران — بفتح الجيم — وجمعه جعلان — بكسر
الجيم — وقيل : هو حيوان معروف كالخنفساء ، ودهدومة الجمل :
ما يدحرجه من الخرد (النتن) بأنفه ، وجرع الماء : بلعه وكذلك
تجرعه ، وقال ابن الأثير : التجرع : شرب فى عجلة أو قليلا قليلا ،
الجندل : الحجارة ، الواحدة : جندلة . اللسان ٣٩٥/٩ ، ١١٨/١٣ ،
١١٩ ، ١٣٦ ، ٣٨٢/١٧ .

(٧٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٠٥ — ١٠٧ .

وحمزة زائدة والهاء فى هذه ليست بزائدة انما هى بدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضا فان الهاء فى حمزة نجدتها فى الوصل ناء والهاء فى هذه ثابتة فى الوصل ثباتها فى الوقف^(٧٦) ولم تترك ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها تشبهت بهاء المضمير مثل مررت به وعلامه على أن منهم من يسكنها فى الوصل على أصل القياس فيقول هذه هند ولكن يجب تحركها بالكسر اذا التقت مع ساكن مثل هذه المرأة والأشبه أن يكون صاحب لغة التشكين قد رجع الى أصحاب لغة التحريك لما اضطر الى تحريكها^(٧٧) وكما أن من قال هم قاموا فسكن الميم اذا احتاج الى تحريكها رجع الى لغة من ضمها فى هم فقال : هم الذين يقولون *** ومن قال هم قاموا فأسكن الميم من هم متى احتاج رد اليها الضمة التى فى لغة من يقول : هم قاموا وعلى هذا قراءة أبى عمرو وغيره « هم الذين يقولون » و « أنهم هم الفاسقون » ألا تراه يقرأ « وهم بدأوكم » و « أنهم كانوا كافرين » وغير ذلك مسكن الميم^(٧٨) .

ومن ابدال الهاء من الياء قولهم فى تصغير هنة هنية وأصلها الأول هنيوة لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم : على هنوات شأنها متتابع *** فانما الهاء فى هنية بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنيوة^(٧٩) .

وقد صرح ابن جنى بالتعويض فى زنادقة وفرازنة فقال : فاما قولهم : الهاء فى زنادقة وفرزانة بدل من الياء فى زناديق وفرازين فليس يريدون بذلك البدل على حد ابدالهم

(٧٦) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسان العرب ٣٣٧/٢٠ .

(٧٧) سر الصناعة ص ١٠٦ .

(٧٨) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦ .

(٧٩) المصدر السابق الوجه الاول من الورقة ١٠٧ .

الألف فى قام وباع من الواو والياء وانما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صارت لطول الكلام من الفعل والفاعل فى نحو حضر القاضى امرأة عوضا من ثاء التأنيث فى حضرت وهذا باب واسع (٨٠) *

وقد حاول بعض اللغويين — أيضا — تسويغ الإبدال فقالوا فى هذى حولت الهاء الأخيرة ياء لقرب شبهها بالهاء ، ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس ومن هنا صار مجرى الياء والواو والألف والهاء فى روى الشعر شيئا واحدا نحو قوله : (لمن طلل كالوحي عاف منازلها) ، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازللى ومنازلو ، ابن سيدة وكذلك دهدت ودهديت الياء بدل من الهاء لأنها مثلها فى الخفاء كما أبدلت هى منها فى قولهم ذه أمة الله وكذلك قال الجوهري (٨١) *

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة ولكنها ليست بشيء فى نظر علماء اللغة المحدثين لبعد المخارج واختلاف الصفات فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهى صوت مهموس رخو مستقل منفتح مصمت (ضعيف) (٨٢) أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهى صوت مجهور مستقل منفتح مصمت قوى (٨٣) ، فالاختلاف جذرى بينهما لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الإبدال إذ ان جواز حلول حرف فى القافية ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن

(٨٠) المصدر السابق *

(٨١) اللسان ٣٨٢/١٧ *

(٨٢) التجويد والأصوات ص ٥٥ *

(٨٣) المصدر السابق ص ٥١ *

العرب مسموعا فى النظم فيتبع — لهذا فقط — أما الحكم بجواز التبادل بينهما على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى والعلاقة منفصلة والا فان الواو والألف تقعان وصلا أيضا كما تقع تلك الحروف ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما ، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جريا على قانون المخالفة الصوتية للكلمات السابقة وأشباهها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء) محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات (٨٤) .

ملاحظات لغوية : نرى من النماذج السابقة أن تجاور الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما — كما هو مبين فى الفصل بينهما بياء مثل ماكاكيك ودياجيج — يؤدى الى تطور أحدهما الى صوت مخالف هو الياء . وهذا التطور — كما ذكرنا آنفا — هو احدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير الى أن الانسان فى نطقه يميل الى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج الى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب الى صوت لين أو ما يشبهه أصوات اللين كاليم فى مثل الرسم والرس والذون فى مثل العنبسة : الأسد (٨٥) ، وقد اعترف القدماء براهية التضعيف ولعلمهم كانوا يريدون بهذا انه يحتاج الى مجهود عضلى (٨٦) ، ولكن هذا رأى لم يرتضه الأستاذ العلايلي بل ذهب الى عكسه تماما فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التى تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفا من حروف العلة وذلك فى اطار

(٨٤) اللسان ٣٣٧/٢٠ .

(٨٥) الأصوات اللغوية ١٥٤ .

(٨٦) المصدر السابق ١٥٣ .

بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة ، وهذا الرأى الذى ذهب اليه الأستاذ العلايلى لم يوافقته عليه المحدثون من علماء اللغة بل انهم يؤيدون قانون المخالفة السابق وأن المضعف هو الأصل ثم ان التطور أدى الى قلب أحد المتماثلين ياء كراهية التضعيف ولتقليل الجهد العضلى ، وهذه الظاهرة تنسب الى القبائل البدوية كبنى تميم وعبد القيس ، وهم بطن من أسد ، وقد توطنوا شبه الجزيرة فى جوار تميم وبكر بن وائل^(٨٧) وان القبائل الحضرية — كأهل الحجاز — تميل الى اعطاء صوت ما يستحقه من الوضوح ، واذا وجد التحول من المضعف الى الياء فى بعض البيئات الحضرية أو العكس فى البيئات البدوية فذلك على سبيل التأثير والتأثير .

(٨٧) النهاية للقلشندى ص ٣٣٨ .

ثانيا : الابدال في الحركات

ذلك يتتوع بين ما يتصل ببينة الكلمة وما يتعلق ببنائها ونذكر
صورا من ذلك مما له مصطلح لهجى أو لغوى *

الوكم :

هو كسر كاف الخطاب فى الجمع عند فريق من العرب ، فالمشهور
أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقا دون نظر الى
الحرف أو الحركة التى تسبقها *

ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هذه الكاف اذا سبقت
بياء أو كسرة فى مثل (عليكم) و (بكم) وذلك مناسبة للياء أو
الكسرة قبلها *

وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة فيقول عند الحديث عن
كسر الكاف فى (أحلامكم) من قول الشاعر :

وان قال مولاهم على جل حادث

من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وانما كسرت الكاف من (أحلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء
(أحلامهم) لأنها اختها فى الاضمار ومناسبة لها فى الهمس وذلك
ضعيف لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض عليها بخلاف الكاف فحمل
الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين وأشد^(١) *

(١) الكتاب ١٩٧/٤ بتصرف .

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش قال وناس من بكر بن وائل
يجرون الكاف مجرى الهاء ، اذا كانت مهموسة مثلها * وكانت علامة
إضممار كالهاء وذلك غلط فاحش منهم ، لأنها لم تشبهها فى الخفاء
الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء ، وانما ينبغى أن يجرى الحرف
مجرى غيره اذا أشبهه فى علته ، فيقولون : مررت بكم وينشدون
هذا البيت : وان قال مولاهم ... الخ (٢) *

وبعض العلماء نسب هذه اللهجة لربيعة وناس من بكر معا ،
وربما تسرب ذلك من الآرامية والعبرية اللتين كانتا مجاورتين لسكان
الطائفتين قريبا من العراق *

الوهم :

المعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر اذا كان قبلها ياء أو
كسرة فى مثل قوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم) وقوله سبحانه : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) وقوله
عز وجل (أسمع بهم وأبصر) وقوله جل وعلا (أولئك على هدى
من ربهم) *

وتضم الهاء فى غير ذلك كما فى قوله تعالى : (ومما رزقناهم
ييتفقون) وقوله : (وان جندنا لهم الغالبون) *

وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت
الهاء بياء أو كسرة أو لا فيقولون : فيهم — عنيم — بينهم * قال
سيبويه : واعلم أن قوما من ربيعة يقولون (منهم) اتبعوها الكسرة ،
ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم ، وهى لغة رديئة ، فاذا فصلت
بين الهاء والكسرة فالزعم الأصل ، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز

بينهما ، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة ، ألا ترى أنك إذا حركت الصاد فقلت : صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة ، وإذا قال مصادر فجعل بينهما حرفاً ازداد التحقيق كثرة ، فكذلك هذه^(٣) ، وبعضهم — وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاة — يضمنون هاء (هم) دائماً سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم ، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم .

ثلاثة بهراء :

هي كسر حرف المضارعة عدا الياء^(٤) ، وهذا في الأفعال التي زادت على ثلاثة أحرف ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في كتابه .
الصاحبي ، قال في (باب القول في اختلاف لغات العرب) :

« اختلاف لغات العرب من وجوه ، أحدها : الاختلاف في الحركات كقولنا (نستعين) و (يستعين) بفتح النون وكسرها .
قال الفراء : هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر »^(٥) .

وعند تفسير قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) قال أبو حيان في البحر : « وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهي لغة الحجاز وهي الفصحى وقرأ عبيد بن عمير الليثي وزيد بن حبيش .
ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش بكسرها وهي لغة قيس وتميم وأسد .
وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه »^(٦) .

أما في الثلاثي فإذا كان الفعل أجوف أو ناقصاً أو مضاعفاً :

(٣) الكتاب ١٩٦/٤ وانظر المزهري نقلًا عنه ٢٢٢/١ .
(٤) القاعدة عند أكثر العرب أنهم يفتحون حرف المضارعة في جميع الأفعال إلا الرباعي منها فانهم يحركونه بالضم .
(٥) الصاحبي : ٢٨ . (٦) البحر المحيط ٢٣/١ ، ٢٤ .

وكان الماضى مكسور العين فلغة غير الحجازيين كسر حرف المضارعة
الا الياء .

يقول سيبويه : « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة
للأسماء كما كثرت ثانى الحروف^(٧) حين قلت فعل وذلك عند جميع
العرب الا أهل الحجاز وذلك قولهم : أنت تعلم ذاك وأنا اعلم وهى تعلم
ونحو ذاك ، وكذلك كل شئ فيه فعل من بنات الياء والواو التى
التى الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف وذلك قولك شقيت فأنت
تشقى وخشيت فأنا نخشى ، وخلصنا فنحن نخال ، وعضضنا فأنتن
تعضين »^(٨) .

وقال ابن جنى : « وأما ثلثة بهراء فانهم يقولون يعلمون
وتفعلون وتصنعون^(٩) بكسر أوائل الحروف » وقال ابن منظور فى
اللسان : « وثلثة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون يعلمون وتشهدون
ونصوه »^(١٠) .

وعليها جاء قول الشاعر :

لو قلت ما فى قومها لم تيثم يفضلها فى حسب وميسم^(١١)

وقال الرضى فى شرح الكافية :

« وكسر حروف المضارعة الا الياء غير الحجازيين اذا كان الماضى
مكسور العين ، ويكسرون الياء أيضا اذا كانت بعدها ياء أخرى »^(١٢) .

(٧) وذلك للتنبيه على حركة عينه فى الماضى . و (فعل) — فى
النص — يضبط بكسر العين .

(٨) الكتاب ١١٠/٤ وفى ط بولاق ٢٥٦/٢ ، ٢٥٧ .

(٩) الخصائص ١١/٢ وسر الصناعة ٣٣٥/١ .

(١٠) اللسان ٤٤٢/١ .

(١١) شرح التصريح ١١٨/٢ .

(١٢) شرح الكافية ٢٢٨/٢ ونسب هذا الكسر فى الياء الى بعض

بنى كلب يقولون : هل يعلم . البحر ٣٤٣/٧ .

وذكر أبو حيان أن أبا عمرو قرأ (ولا نركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) بكسر التاء على لغة تميم^(١٣) ويقول ابن جنى : فى تخريج قراءة (فتمسكم) بكسر التاء : « هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما يأتى ماضيه مكسور العين نحو علمت تعلم وأنا اعلم وهى تعلم ونجن نركب وتقل الكسرة فى الياء نحو يعلم ويركب استثقالا للكسرة فى الياء وكذلك ما فى أول ماضيه همزة وصل نحو ينطلق ويوم تسود وجوه وتبيض وجوه فكذاك فتمسكم النار »^(١٤) .

وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » قرأ الجمهور (أعهد) — بفتح الهمزة والهاء — وقرأ طلحة والزهدي بن شرجيل الكوفى بكسر الهمزة قال صاحب اللوامع : وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعنى يعهد وتعهد ، وقال ابن عطية : وقرأ الزهدي بن وثاب (ألم أعهد) بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهى لغة من كسر أول المضارع سوى الياء^(١٥) .

وفى الحديث : كأنك وهمت ؟ قال : وكيف لا ايهم فالأصل : أوهم — بالفتح والواو — فكسروا الهمزة لأن قوما من العرب يكسرون مستقبل فعل — بكسر العين — مثل اعلم ونعلم وتعلم فلما كسروا همزة (أوهم) انقلبت الواو ياء^(١٦) ومن هذه النصوص فهمنا أن المضارع البدوء بالياء لا يكسر لثقل الياء والكسرة فهو مفتوح فى الثلاثى وغيره عند العرب جميعا ، الا اذا توالى الياءات فقد سمع الكسر مثل يبجل مضارع وجل .

كما أننا علمنا كذلك من كتب اللغة كسر أوائل المضارع عند الحجاز لا فرق فى ذلك بين الهمزة أو التاء أو النون ولا بين الثلاثى

(١٣) البحر ٢٦٩/٥ . (١٤) المحتسب ٣٣٠/١ .
(١٥) البحر المحيط ٣٤٣/٧ . (١٦) النهاية ٢٣٤/٥ .

وغيره ، ويدخل فى ذلك كسر الهمزة فى (أعهد) التى نقلنا تفسيرها عن البحر المحيط وكذلك كسر همزة (اخال) فى قول العباس بن مرادس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخلال أنك سيد معيون^(١٧)
وقول زهير :

وما وُدري ولست اخال أدري أقوم آل حصن أم نساء^(١٨)

وبعض اللغويين عكس الأمر فى الفعل (اخال) فنسب الكسر للحجاز والفتح لغيرهم .

وبعضهم قصر التثنية على كسر التاء فقط ، ولكن كتب اللغة تنطق بخلاف ذلك وأن الأمر شائع فى غير اللياء . وهى شائعة فى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كأسد وتميم وقيس وان اشتهرت نسبتها الى بهراء التى هى بطن من تميم أو من قضاة^(١٩) .

وقد فشت نسبتها الى قبائل أخرى من أهل الحجاز وغيرهم فيذكر ابن عطية أن ذلك نسب الى قريش عند شرح قوله تعالى : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بتنطار يؤده اليك) وقد ذكر أن (تأمنه) بكسر التاء لغة قرشية^(٢٠) ، ويذكر أبو حيان أنها لغة فاشية فى العرب كقيس وتميم وأسد وربيعه وهذيل^(٢١) وفى اللسان : وتقول : أنت تتقى الله وتتقى الله على لغة من قال : تعلم وتعلم بفتح التاء وكسرها وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعه وعامة العرب ، أما أهل

(١٧) لسان العرب (خال) .

(١٨) شرح ديوان زهير ٧٣ .

(١٩) جمهرة انساب العرب وخزانة الأدب ٤/٤٩٥ ، ٤٩٦ وصفة

جزيرة العرب ١٣٢ .

(٢١) البحر ٢٣/١ ، ٢٤ .

(٢٠) البحر ٤٩٩/١ .

الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون :
تعلم بفتح التاء والقرآن عليها^(٢٢) .

وفى المخصص أنها لغة جميع العرب الا أهل الحجاز ، وكذلك
ذكر سييويه^(٢٣) ويذكر السيوطى فى نستعين ونحوه أن الفتح لغة
قزيش وأسد ، وغيرهم يكسرها^(٢٤) .

وهذا يؤكد انتشار الكسر فى قبائل كثيرة على سبيل التأثير
والتأثير والا فالمشهور أن الكسر فى حروف المضارعة عند أرباب
البادية من القبائل المشار إليها ، فبهراء من قضاة كانوا يقطنون
ناحية الشام قريبا من العراق^(٢٥) وربيعة مسكنها الحيرة وأسد
ابن ربيعة كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل^(٢٦) وتميم من قبائل
شرقى الجزيرة بالقرب من العراق وهذيل من سكان الحجاز^(٢٧) وهذه
القبائل بدوية — كما نرى من البيئة التى تعيش فيها ماعدا هذيل المضرية —
وقد فسر الدكتور أنيس ميل بعض قبائل المدن الى كسر حرف المضارعة
بأن « بعض القبائل التى تأثرت بحياة الحضرة قد آثرت صوت اللين
الأمامى الذى نسميه الكسرة »^(٢٨) وحاول أن يفسر وجود تلك الظاهرة
عند قبيلة بهراء بهذا المعنى فقد تأثرت لغتها بما فى الشام من لغات
كالآرامية والعبرية لوضوح كسر حرف المضرة باطراد فيهما .

والواقع أن ذلك ليس أمرا مؤكدا ولا مانع من تأثر بعض قبائل
المدن بما أنتشر عند اخوانهم العرب فى البوادر فهم على صلة بهم
يلاقونهم ويتعاملون معهم^(٢٩) .

-
- (٢٢) اللسان ١/١٤١ ، ٤٩٣/٤ .
(٢٣) المخصص ٤/٢١٦ ، ٢١٧ .
(٢٤) المزهر ١/٢١١ . (٢٥) صفة جزيرة العرب ١٣٢ .
(٢٦) البحر ١/٢٣ . (٢٧) صفة جزيرة العرب ١٣١ .
(٢٨) فى اللهجات العربية ٧٤ .
(٢٩) كسر حرف المضارعة منتشر فى لهجاتنا العامة .

ويرى بعض الباحثين أن (هذه الظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية) وزعم أن الفتح في أحرف المضارعة حدث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقى من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره في اللهجات الحديثة كلها ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة فيما يعلم هذا الكاتب إلا في لهجة نجد^(٣٠) .

ونسبى هذا الباحث أن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم .

التخفيف في بعض اللهجات

- بالاتباع .
- بالاسكان (أو حذف الصوائت) .
- باجتماع التغير والحذف .
- السكون والحركة في الصوامت الحلقية .

أولاً : بالاتباع :

فاء فعيل وفعل

يميل التميميون^(٣١) الى كسر فاء فعيل — بكسر العين — اذا كانت عينه حرفاً حلقياً مثل شعير وبخيل ولئيم وشهيد ورغيف ، وكذلك ما كان على وزن فعل بكسر العين وهو حلقياً مثل فخذ وضحك ولعب ووهم ، وقرأ أبو السمال : (أحلت لكم بهيمة الأنعام) بكسر ياء بهيمة^(٣٢) ، فالتميميون يتبعون الفاء للعين في حركتها اذا كانت

(٣٠) فصول في فقه العربية ص ١٢٥ .
 (٣١) تنسب أحياناً بلفظ سفلى مضر (وهم بنو تميم ومن يجاورهم من سكان نجد) وتنسب الى قيس وأسد وتميم ، التهذيب ١٢٢/٧ .
 (٣٢) سورة المائدة الآية (١) ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٣١ .

حلقية مكسورة^(٣٣) وسواء كان ذلك فى اسم أو فعل •

ونقل عن تميم اتباع الفاء للعين فى فعيل ولو لم تكن العين حرفه خلق يقول ابن مكى : (وزعم الليث أن من العرب قوما يقولون فى كله ما كان على فعيل فعيل — بكسر أوله — وان لم يكن حرف خلق فيقولون : كثير وكبير وخلييل وما أشبه ذلك)^(٣٤) •

ويقول ابن منظور :

« لغة تميم شهيد — بكسر الشين — يكسرون فعيلا فى كله شىء كان ثانيه أحد حروف الحلق وكذلك سفلى مضر يقولون فعيلا أى بالكسر ، قال : ولغة شنعاء يكسرون كل فعيل ، والنصب اللغاة العالية^(٣٥) وعلى سيبويه لعدم تأثير الفاء فى العين بقوله : « ولم تفتح هى أنفسها هنا^(٣٦) لأنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء والعين وكراهية أن يلتبس فعل بكسر العين بفعل بفتحها فيخرج من هذه الحروف فعل بكسر العين ، فلزمها الكسر هنا ، وكان أقرب الأشياء الى الفتح وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها »^(٣٧) •

وقد جعل ابن جنى إثارة الكسر فى شعير ورغيف ونحوهما ضربا من تقريب الصوت من الصوت فسلكه فى باب الادغام الأصغر ولكنه صرح بأن أكثر ما يكون ذلك مع حروف الحلق فقال : ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعير وبغير ورغيف وسمعت الشجرى غير مرة يقول : زئير الأسد يريد الزئير ، وحكى أبو زيد عنهم : (الجنة لمن خاف وعيد الله) بكسر الواو فى وعيد وفى النقيذ ، شبهت القاف بالخاء لقربها منها فيما حكاه أبو

(٣٣) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •

(٣٤) تثقيف اللسان ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ •

(٣٥) اللسان (شهد) وانظر التهذيب ٣٧٧/٢ حيث قال : الفتح أفصح اللفتين •

(٣٦) يقصد بعض حروف الحلق • (٣٧) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •

الحسن ، كما شبهت الخاء والغيين بحروف الفم حتى أخفيت النون معهما فى بعض اللغات وهذا فى فعيل مما عينه حلقية مطرد وكذلك فعل بكسر العين نحو نغر ومحك وضحك و (ان الله نعماً يعظكم به) (٣٨) ولا يقول على هذا فى ظريف ظريف ولا فى قتيل قتيل بكسر الفاء لأنه لا حرف حلق فيه (٣٩) •

والانسجام الصوتي بتتابع الحركات تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية ولذا نسبت هذه اللهجة الى بنى تميم على أنه لون من التخفيف والتفريع (٤٠) •

وهذه الظاهرة تتحقق فى الأسماء والصفات والأفعال : فالأسماء مثل بغير والصفات مثل شهيد والأفعال مثل مخض فاذا أرادت الناقدة أن تضع قيل : مخضت وعامة قيس وتميم وأسد يقولون : مخضت بكسر الميم ويفعلون ذلك فى كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق فى (فعلت) وفى فعيل (يقولون) : بغير وزئير وشهيق ونهلت الابل وسجرت منه (٤١) •

صور من الاتباع

ومن الاتباع ما يذكره اللغويون — عن بعض العرب — فى (الحمد لله) ولذلك صور هى :

١ — اتباع الدال للام فى الكسر : الحمد لله (قرأ بها الحسن) فمن خفض الدال قال : هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (ابل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم (٤٢) •

وقال الزجاج : « لا يلتفت الى هذه اللغة ولا يعبأ بها » (٤٣)

(٣٨) الخصائص ١٤٣/١ ، ٣٣٦/٢ . (٣٩) المنصف ٢٢٤/٢ .
(٤٠) فقه اللغة د. نجا ٣١/٤ . (٤١) التهذيب ١٢٢/٧ .
(٤٢) معانى القرآن للفراء ٣/١ . (٤٣) اللسان : حمد .

ويعكس الألفبى لهذا الاتباع بقوله : « قال بعض العرب (الحمد لله) فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التى ليست بممكنة ، وذلك أن الأسماء التى ليست بممكنة تحرك أوآخرها حركة واحدة لا تترول عنها » (٤٤) .

وهذه لهجة لبنى تميم ونسبت الى بعض غطفان (٤٥) .

٢ — اتباع اللام لضممة الدال : (الحمد لله) (قرأ بها ابراهيم ابن أبى عبله) قال الفراء : أما الذين رفعوا اللام فانهم أرادوا المثال الآخر من أسماء العرب الذى يجتمع فيه الضمتان مثل : الحطم والعقب (٤٦) ، وقال الزجاج : من قرأ : الحمد لله ، أى برفع اللام اتباعاً لحركة الدال فى غير القرآن فهى لغة رديئة (٤٧) وهذه اللغة لبعض ربيعة (٤٨) وأصحاب هذه اللهجات من البدو (٤٩) .

٣ — والقراءة المشهورة هى (الحمد لله) برفع الدال وكسر اللام ، قرأ بها الجمهور وقال ابن خالويه بعد أن ذكر صور القراءات فى هذه الآية : لا يقرأ بشيء من ذلك الا بما عليه كل الناس فى كل مصر (الحمد لله) بضم الدال وكسر اللام (٥٠) .

٤ — وهناك قراءة أخرى : (الحمد لله) بنصب الدال ، وعليها قالحمد ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله ، فاذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه انصب ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن نقول : فاضربوا الرقاب ، ومن ذلك قوله تعالى : (معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده)

(٤٤) معانى القرآن للأخفش ٩/١ .

(٤٥) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .

(٤٦) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ . (٤٧) اللسان : حمد .

(٤٨) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .

(٤٩) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ .

يصلح أن تقول فى مثله من الكلام : نعوذ بالله ومنه قول العرب : سقيا لك ورعيا ، يجوز مكانه : سقاك الله ورعاك^(٥٠) .

وقال أبو حيان — فى النهر الماد — قرىء بالنصب على اضمار فعل ، قيل من لفظه ، تقديره : حمدت الحمد لله ، فتخصص الحمد تخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ، ويكون من المصادر التى حذف فعلها وأقيمت مقامه ، وذلك فى الاختيار نحو قولهم شكرنا لا نكرنا وقيل التقدير : اقرأوا الحمد لله أو الزموا الحمد لله .

واللام فى قراءة الرفع للاستحقاق ، وفى قراءة النصب للتيبين فيتعلق بمحذوف تقديره : لله أعنى نحو قولهم : سقيا لزيد^(٥١) ، و (الحمد لله) فى الوجهين الأولين — بالاتباع — عده ابن جنى من باب تقريب الصوت من الصوت فيقول : وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت^(٥٢) .

والاتباع كثير من هذا النوع مثل : أنا أجوعك وأنبؤك وهو منحدر من الجبل — بضم الميم والداد —^(٥٣) .

فهذا لون من تجانس الصوت وانسجامه يؤدى الى الاسراع والخفة فى النطق وقد ضعف ابن جنى الاتباع بكسر الدال وقراءة أبى جعفر فى قوله تعالى : (للملائكة اسجدوا) بضم التاء فى الملائكة مع أنها مجرورة تبعا لضمه الجيم بعدها اذ الحاجز غير حصين لخلل ذلك بالاعراب .

ومن أمثلة الاتباع قراءة أبى السمال (قم الليل)^(٥٤) بضم الميم اتباعا لضمه القاف وهى لغة بلعبر وكذلك :
اضرب السائقين امك هابل

(٥٠) معانى القرآن للفراء : ٣/١ .

(٥١) النهر الماد على البحر المحيط ١٨/١ .

(٥٢) الخصائص ١٤٥/٢ . (٥٣) الخصائص ١٤٣/٢ .

(٥٤) المحتسب ٣٣٥/٢ ، ٣٣٦ ، ٧٢ .

بكسر همزة (أم) المضمومة اتباعا لكسرة النون قبلها *

ومن ذلك يتضح أن الاتباع تارة يكون للأول وأخرى يكون للثاني وهذا اللون من الانسجام وتأثر الأصوات اعترف به اللغويون المحدثون وأطلقوا على كل من قسميه اسما خاصا فاذا تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني سمي متأثرا رجعيا واذا تأثر الثاني بالأول سمي متأثرا تقدما ويلاحظ أن هذا التقريب في نطق الأصوات قد أثر عن أهل البادية كنجران^(٥٥) وبلعنبر وأزد شنوءة^(٥٦) إذ انه يساعد على سهولة اخراج بعض الأصوات وقلة المجهود العضلي ، وهذا بخلاف أهل المدن الذين يعتمدون الى ايضاح الأصوات وفصل كل منها عن الآخر *

ثانيا : بالاسكان (أو حذف الصوائت) واجتماع التغير والحذف :

يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك في بعض الأوزان المستعملة في الأسماء والأفعال رغبة في التخفيف ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جني في بعض كتبه :

١ — (في قلوبهم مرض) بسكون الراء *

٢ — قرأ ابن عباس بخلاف (وحرم) بفتح الحاء وسكون الراء والتثوين ويخرج ابن جني القراءة فيقول : وأما (حرم) بفتح الحاء وتسكين الراء فمخفف من حرم على لغة بنى تميم فهو كبطر من بطر وفخذ من فخذ وكلمة من كلمة بسكون الثاني في الكلمة الأولى وكسره في الثانية^(٥٧) *

٣ — وفي باب الساكن والمتحرك في الخصائص يذكر من المتحرك

(٥٥) حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون في براءة من الله ، يجرون الميم والنون المحتسب ٢٨٣/١ .

(٥٦) البحر ١٥٢/١ . (٥٧) المحتسب ٦٥/٢ ، ٦٦ .

الذى أسكن وهو متصل « ما كان ثلاثيا مضموم. الثانى أو مكسوره
فلك فيه الاسكان تخفيفا وذلك كتولك فى علم علم وفى ظرف قد
ظرف وفى رجل رجل وفى كبد كبد بتحريك الحرف الثانى من الكلمة
الأولى وسكونه فى الثانية ، وسمعت الشجرى وذكر طعنة فى كتف
فقال الكتفية بفتح الكاف وسكون التاء (٥٨) .

٤ — قرأ أبو الحسن بخلاف وأبو رجاء ومجاهد فيما روى عنه
« فنظرة الى ميسرة » قال أبو الفتح : أما فنظرة بسكون الظاء
فسكنه للتخفيف من نظرة كقولهم فى كلمة كلمة وفى كبد كبد بتحريك
الحرف الثانى فى الكلمة الأولى وتسكينه فى الثانية لغة تميمية (٥٩) .

٥ — وبنو تميم يقولون كلمة وكلم ككسرة وكسر (٦٠) والصيغة
الحجازية بفتح الكاف وكسر اللام (٦١) وعند بنى تميم تخفف باسكان
اللام كسدر (٦٢) وفى لغة ثالثة بفتح الكاف وسكون اللام يقول
الأشمونى : « ومنها ثلاث لغات : كلمة على وزن نبرة وكلمة على وزن
سدر وكلمة على وزن تمرة » (٦٣) .

والأعلى هى الحجازية وقرىء بلهجة تميم فى القراءات الشاذة
كقوله تعالى : (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)
قرأ أبو السمال : كلمة (٦٤) وكذلك قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة)
قرأ أحمد بن موسى كلمة (٦٥) بكسر الكاف وسكون اللام .

٦ — وعند تخريج ابن جنى لقراءة الحسن (عضدك) يقول :
« فيها خمس لغات ضم الضاد وتسكينها مع فتح العين وضمها وكسر

-
- | | |
|---|--------------------------|
| (٥٨) الخصائص ٣٣٨/٢ . | (٥٩) المحتسب ١٤٣/١ . |
| (٦٠) الخصائص ٢٦/١ . | (٦١) تاج العروس ٤٩/٩ . |
| (٦٢) المصباح ٣٩ . | (٦٣) شرح الأشمونى ١٠/١ . |
| (٦٤) آل عمران ٦٤ ، وانظر : مختصر شواذ القرآن ٢١ . | |
| (٦٥) مختصر شواذ القرآن ٦٨ . | |

الضاد مع فتح العين وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل وعضد مسكن الضاد مع فتح العين وعضد منقول الضمة من الضاد الى العين وعضد بالضمين جميعا كأنه تثقيل عضد بضم العين وسكون الضاد وقد شاع عنهم نحو ذلك كقولهم فى تكسير أحمر : حمر بضمين الخ^(٦٦) .

٧ — روى عن الحسن أنه قرأ (الحبك) بكسر الحاء ووقف انباء قال ابن جنى : وأما الحبك فمخفف منه (أى من الحبك) كابل واطل بسكون الحرف الثانى فى ابل واطل^(٦٧) .

٨ — روى ابن جنى عن ابن مجاهد قال : قال ابن عباس : سألت أبا عمرو عن (يعلمهم الكتاب) فقال : أهل الحجاز يقولون : يعلمهم ويلعنهم ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم بسكون آخر الفعل ومثله :

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل^(٦٨) تأبى قضاة أن تعرف لكم نسبنا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقد كثر اسكان الياء فى موضع النصب كقوله :
يا دار هند عفت الا أثافيهـا

وهو كثير جدا وشبهت الواو فى ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف قال الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها نزلن وأنزلن القطين المولدا
ومثل ذلك كثير ، وعليه قراءة (فتوبوا الى بارئكم) باسكان الهمزة^(٦٩) .

٩ — قرىء (كطى السجل) بكسر السين ساكنة الجيم خفيفة اللام — وقد قرر ابن جنى أن اسكان الجيم فى السجل بعد

(٦٦) المحتسب ١٥٢/٢ . (٦٧) المصدر السابق ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

(٦٨) المصدر السابق ١٠٩/١ ، ١١٠ ، ٢٠٥ ، ٦٧/٢ .

(٦٩) الخصائص ٣٤٠/٢ — ٣٤٣ .

جذف حركتها وتخفيف السلام لغة لأهل مكة — وذكر أن
أسكان الراء فى (مرض) لغة^(٧٠) كما صرح فى نظير لها وهو قراءة
حرم باسكان الراء بأنها لغة تميمية كما يقولون فى رسل رسل وكتب
كتب^(٧١) باسكان الحرف الثانى ويبدو أن بنى تميم ومن على شاكلتهم
يחסون ثقلا فى هذه الأوزان فى مجال الأسماء وما يشبهه بعضها من
الأفعال (فعل — فعل)؛ — بفتح الفاء مع كسر العين، وضمها — ،
و (فعل) بضم الفاء والعين ، و (فعل) بكسر الفاء والعين ،
فيلجأون الى تخفيفها لأنهم يميلون الى الانسجام الصوتى بعيدا عن
تنوع الحركات وتجاورها ، فقد كرهوا أن يرفعوا السنتهم من
المفتوح الى المكسور ، والمفتوح أخف عليهم فكروهوا أن ينتقلوا من
الأخف الى الأثقل ، وكذلك كرهوا الضمة بعد الفتحة فيما كان على
(فعل) بفتح الفاء والعين ، ويكرهون تتابع الضمتين كالواوين ، وتتابع
المكسرتين تتابع الياءين ، وكرهوا الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الياء
مع الواو فى مواضع^(٧٢) .

فالوزن (فعل) بفتح الفاء وكسر العين اذا كان حلقى
العين فالشهور عنهم — كما يقول أستاذنا الدكتور نجا —
« تخفيفه وتثريعه باسكان عينه مع بقاء حركة الفاء
فيصير فعلا أو اسكان عينه بعد نقل حركتها الى الفاء وذهاب حركة
الفاء فيصير فعلا ويتجه فريق منهم الى بقاء حركة العين ولكنهم يتبعون
حركة الفاء لها فيصير فعلا وان كان غير حلقى العين اقتصرنا فى
تخفيفه على الوجهين الأولين ككتف يقولون فيه كتف وكتف باسكان التاء
مع فتح الكاف وكسرها وفعل كعصد وفعل كحرم وعنق وفعل كابل
يقتصرون فيهما على الوجه الأول ولا تترال بعض هذه اللهجات موجودة
فى بعض جهات جمهورية مصر العربية^(٧٣) ، ولكن الحجازيين ينطقون

(٧٠) المحتسب ٥٣/١ ، ٥٤ .

(٧١) المحتسب ٢٠٥/١ . (٧٢) الكتاب ١١٤/٤ .

(٧٣) اللهجات العربية د. دجا ص ٥٩ وفقه اللغة له ص ٣٠ ، ٣١ .

بتلك الكلمات دون تغيير ولا يعباون بثقل أو خفة ، وفى بعض صيغ الأفعال مثل ظرف وكرم وعلم والمبنى للمجهول يحدث هذا التخفيف عندهم لما ذكرنا .

وفى النص السابق كقراءة يعلمهم باسكان الميم ما يفيد اعترافه بنسبة ذلك الى تميم وهم للتخفيف يستكنون أوآخر الكلمات التى تتوالى فيها الحركات كما فى اشرب — تعرف — أثافى ، ويحسب بعض العلماء ذلك من ضرورات الشعر الا أن الثابت من الثقات أنه سائغ فى حال السعة لأنه لغة^(٧٤) .

ومن التخفيف : تسكين شين عشرة — حال التركيب — فى لغة الحجاز ، وجاءت عليها قراءة « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا »^(٧٥) « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »^(٧٦) .

وهذا فى لفظ عشرة وما تركب معه الى تسع عشرة اذا كان فى التأنيث ، وقد سكتوا العين لما طال الاسم وكثرت الحركة^(٧٧) وقد ورد فيها كسر الشين فيقال (عشرة) عند بنى تميم ، وبها وردت بعض القراءات .

قال أبو حيان : قرأ الجمهور (عشرة) بسكون الشين ، وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى ويحيى بن أبى وثاب وابن أبى ليلى ويزيد

(٧٤) الضرائر ص ٧٠ .

(٧٥) البقرة الآية : ٦٠ .

(٧٦) الأعراف ١١٦ .

(٧٧) شرح الأشموني ٦٧/٤ والمزهر ٢٧٥/٢ ، وشرح المفصل

٢٧/٦ .

بكسر الشين وروى ذلك نعيم السعدى عن أبى عمرو — مشهور عنه الاسكان — وتقدم أنها لغة تميم ، وكسرها لها نادر فى قياسهم ، لأنهم يخففون فعلا يقولون فى نمر : نمر — باسكان الميم مع فتح النون وكسرها (٧٨) .

فسبيلهم التخفيف ، ولغة أهل الحجاز (عشرة) وسبيلهم التثقيب (٧٩) . فبنو تميم يفتحون العين ويكسرون الشين ويجعلونها بمنزلة (كلمة) وأهل الحجاز يسكنون الشين ويجعلونها بمنزلة (ضربة) وهذا عكس ما عليه لغة أهل الحجاز وبنى تميم ، لأن الحجاز فى غير العدد يكسرون الثانى ، وبنو تميم يسكنون .

فيقول الحجازيون : نبقة وفخذ ويقول التميميون : نبقة وفخذ بالسكون فلما ركب الاسمان فى العدد استحال الوضع ، فقال بنو تميم : احدى عشرة وثنتا عشرة الى تسع عشرة — أى بكسر الشين — وقال الحجازيون : عشرة بسكونها (٨٠) . ونسب الكسر — كذلك — الى أهل نجد ، وهو أوسع من تميم ، أو يعبر بها عن سكان هذه المنطقة لأنها أكبرها .

وفى فائدة ذكرها السيوطى فى الالتقان نقلاً عن كتاب (تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث فى القرآن) فى قوله تعالى : (اثنتا عشرة عينا) (٨١) قرئ بسكون الشين ، وهى لغة تميم وكسرها وهى لغة الحجاز ، وفتحها وهى لغة (٨٢) فنسب الكسر للحجاز والتسكين لميم وهو عكس المشهور المعروف فى ذلك ، وكتب النحو واللغة تجمع على

(٧٨) البحر المحيط ٢٢٩/١ . (٧٩) اعراب القرآن للنحاس .

(٨٠) المحتسب ٨٥/١ وشرح الفصل ٢٧/٦ .

(٨١) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٨٢) الالتقان ٢٧٧/٢ .

أن الألفصح للتسكين ، وهو لغة الحجاز هذا فيما كان فيه لفظ
عشر مؤنثا .

ورويت فيه لغة أخرى وهى فتح الشين وقرأ بها ابن المفضل
الأنصارى والأعمش وروى عن الأعمش الاسكان والكسر أيضا .
قال الزمخشري : الفتح لغة وقال ابن عطية : هى لغة ضعيفة ، وقال
المهدوى : فتح الشين غير معروف ويحتمل أن تكون لغة^(٨٣) ، ونسب
بعضهم الفتح الى بنى تميم^(٨٤) . أما اذا استعمل لفظ عشر مركبا
للمذكر فالشين مفتوحة ، وقد تسكن عين عشر فيقال (أحد
عشر) وكذا أخواته الى (تسعة عشر) لتوالى الحركات ، وبها قرأ
أبو جعفر ، وقرأ هيرة صاحب حفص (اثنا عشر شهرا)^(٨٥) وقيها
جمع بين ساكنين^(٨٦) ، واستثنى بعضهم (اثني عشر) فان العين
لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها^(٨٧) .

وهذا التخفيف وان لم ينطبق على أهل مكة والحجاز بعامة لأنهم
حضريون (فلعلهم تركوا لهجتهم ومالوا الى التخفيف فى كلمة
(السجل) وعشرة المركبة وبخاصة أن ابن جنى يذكر أن بعض
التميميين فى بعض الألفاظ كانوا يتركون لهجتهم الى لهجة الحجازيين
وأن هؤلاء يفعلون ذلك أحيانا^(٨٨) وبذلك تسقط دعوى ابن جنى أن
قراءة (بارئكم) بالاسكان غير واردة فى العربية حتى خطأ بها

(٨٣) البحر المحيط ٢٢٩/١ .

(٨٤) الزهر ٢٧٥/٢ . (٨٥) سورة التوبة الآية : ٣٦ .

(٨٦) شرح الأسمونى ٢٧/٤ . (٨٧) اللسان : عشر .

(٨٨) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٢٠ ، وما أورده
ابن جنى من ذلك تحويل الحجازيين كسر الشين فى عشرة المفردة الى
سكونها عند التركيب فقالوا احدى عشرة الى تسع عشرة على حين
عكسها التميميون فكسروا الشين حال التركيب مع أنهم يسكنون فى
الأفراد وهم يعكسون فى نظائره من فخذ ونحوه ، المحاسب ٨٥/١ .

القراء يقول « ألا ترى الى قراءة أبى عمرو (ما لك لا تأمنا على
يرسف) مختلسا لا محققا وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر
على أن يحيى الموتى) مخفى لا مستوفى وكذا قوله عز وجل (فتوبوا
الى باريكم) مختلسا غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف
عليه تحصيل اللفظ الى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذي
رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها ألبتة وهو أضبط
لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ولم يؤت القوم فى
ذلك من ضعف أمانة لكن أتوا من ضعف دراية^(٨٩) ، والواقع أن
أبى جنى سها فى توجيهه لهذه القراءة ، فتسكين المرفوع فى نحو
يشعركم لغة لتميم وأسد باعترافه كما ذكرنا فلا وجه للإنكار من
جهة الرواية كما يقول أستاذنا الشيخ النجار^(٩٠) ولعل هذا الطعن
غاشى عن سوء الظن الذى عرف بين النحاة والقراء^(٩١) فى هذه
الآونة من التاريخ بحيث كان القراء لا يعتدون لكلام النحاة على حين
تظهر ردود فعل لذلك فى انكارهم لبعض القراءات .

الضميران : هو وهى

هو للواحد المذكر ، وهى للواحدة المؤنثة .

والأصل أن تضم هاء هو ، وتكسر هاء هى ، وأن تكون الواو
والياء مفتوحتين وهى اللغة الشائعة عند العرب ، كقوله تعالى :
(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)
وقوله : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا) .

وقد تسكن الواو والياء ، عند بعض القبائل كأسد وتميم^(٩٢)
وقيس قال الشاعر :

(٨٩) الخصائص ١/ ٧٢ ، ٧٣ . (٩٠) التعليق ١/ ٧٣ .

(٩١) البحر ٤/ ٢٧٢ ، ٣٦٢ . (٩٢) اللسان : ها .

أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يخفى

وقال عبيد بن الأبرص :

وركضك لولا هو لقيت الذى لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعادية

وقال ثالث :

ان سلمى هى التى لو تراءت حبذا هى من خلة لو تراعى

وبعضهم وهم همدان يشددون الواو والياء ، وهذا هو الأصل
فيهما ، اذ الأصل أن يكون كل منهما ثلاثى الأحرف مثل أنت فيقولون :
هو وهى ، قال شاعرهم :

وان لسانى شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم

وقال :

والنفس ما أمرت بالعنف آبيبة وهى ما أمرت باللطف مأتمر

ويجوز تسكين الهاء فى هذين الضميرين اذا وقعا بعد الفاء
والواو واللام وثم ، وكما تسكن همزة الاستفهام وكاف الجر
اضطرابا وذلك عند قيس وأسد^(٩٣) ومن أمثلة ذلك :

وكتنا اذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أنى وهو فتيان^(٩٤)

وقرأ بعضهم (فهى كالحجارة أو أشد قسوة)^(٩٥) باسكان الهاء
وبعضهم بكسرها وذلك أن لغة للعرب فى (هو وهى ولام الأمر)
اذا كان قبلهن واو أو فاء أسكنوا أوائلهن ومنهم من يدعها^(٩٦) .

(٩٣) الأشمونى بحاشية الصبان ١١٣/١ ، ١١٤ .

(٩٤) اللسان : ها .

(٩٥) سورة البقرة الآية : ٧٤ .

(٩٦) معانى القرآن للأخفش ١٠٧/١ .

ومثله :

تقمت للطيف مرتاعا فأرقنى فقلت أهي سرت أم عادتي حلم

أراد : أهي سرت ، فلما كانت (أهي) كقولك (بهي) خفف
على حد قولهم في (به) : (بهي) وفي علم (علم) بسكون اللام *

وقد تحذف الواو والياء — عند بعض العرب — كقول أبي خالد
الأسدي :

(اذاه لم يؤذن له لم ينبس)

وقول الآخر :

(ديار سعدى اذه من هواكا)

السكون والحركة في الصوامت الحلقية

١ — قرىء : قرح^(٩٧) — جهرة — زهرة^(٩٨) — يوم البعث —^(٩٩)
— وهنا على وهن^(١٠٠) — الضأن^(١٠١) — كل شيء في القرآن محركا

٢ — قال الشجري : محموم — يعدو — تغذو — وقال غيره من
بنى عقيل : اللحم — نحوه^(١٠٢) — بفتح حرف الحلق في الأمثلة كلها *

اختلف القدامى في فتح حرف الحلق الساكن ، فيرى البصريون

(٩٧) المحتسب ١٦٦/١ . (٩٨) المصدر السابق ٨٤/١ .

(٩٩) المصدر السابق ١٦٦/٢ .

(١٠٠) المصدر السابق ١٦٧/٢ .

(١٠١) المصدر السابق ٢٣٤/١ (١٠٢) المصدر السابق ٨٤/١ .

أنه لهجة عربية ، فمذهبهم (فى كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك الا على أنه لغة فيه كالزهرة والنهر — بسكون الهاء وفتحها — والشعر — بسكون العين وفتحها — فهذه لغات عندهم كالنشر — بسكون الشين وفتحها — والحب — بسكون اللام وفتحها والطرء — بسكون الراء وفتحها^(١٠٣) وليس قياسا عندهم^(١٠٤) لكن الكوفيين والبغداديين قد قاسوه •

فمذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا ، فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوا كالبحر — بسكون الحاء وفتحها — والصخر — بسكون الخاء وفتحها^(١٠٥) •

وابن جنى كان فى أول أمره يوافق أصحابه البصريين ، ففى الخصائص يذكر ما ينم عن موافقته لمدرسة البصرة كما يفهم من قوله : « وسمعت الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى فى نحو : يعدو ، وهو محموم ، ولم أسمعها من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته ، ولا أظن الشجرى الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقى بالفتح اذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين ••• لكن مثل يعدو وهو محموم لم يرو عنهم فيما علمت ، فايك أن تخلد الى كل ما تسمعه » •

وقد أيد رأى البصريين فى المنصف يقول : « فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقى ••• فلا فصل بين نشر ونشر — بسكون الشين وفتحها — وشعر وشعر — بسكون

(١٠٣) المصدر السابق ٨٤/١ وانظر ١٦٦/٢ •

(١٠٤) الخصائص ١٠/٢ •

(١٠٥) المحتسب ٨٤/١ وانظر ١٦٦/٢ •

العين وفتحها — فهذان لغتان كما أن هذين لغتان » ويدافع عن رأى البصريين فيقول : « ان حروف الحلق لا تحرك ساكنا ، ولا تسكن متحركا ، بل لعمرى انه يراد فيها الاتباع وتجانس الصوت ، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها » (١٠٦) *

ولكننا نلاحظ — أيضا — مما ذكره فى المحتسب ما ينم عن موافقته للكوفيين والبغداديين بقياسية فتح حرف الحلق الساكن اذ يقول عن — رأى الكوفيين — : « وما أرى القول من بعد الا معهم ، والحق الا فى أيديهم » *

ويقول : « لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنا من حروف الحلق نحو قوله فى الصخر الصخر — بفتح الخاء — ولعمرى ان هذا عند اصحابنا ليس أمرا راجعا الى حرف الحلق لكنّها لغات ، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا ، فلقد رأيت كثيرا من عقيّل لا أحصيه يحرّك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق ، وهو قول بعضهم نحوه — بفتح الحاء — يريد نحوه — بسكونها — وهذا لا توقف فى أنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألّبتة » (١٠٧) *

وهو بهذا يخرج على مذهب البصريين الذين يعدون ذلك لغات لا يصح القياس عليها *

ولا تناقض بين هذين الموقفين من ابن جنى ، فالثابت أنه ألف المحتسب فى آخر حياته ، وذلك يعطينا أمرين :

(١٠٦) الخصائص ١٠/٢ والمنصف ٣٠٥/٢ — ٣٠٧ .

(١٠٧) المحتسب ١٦٧/١ .

١ — أنه سمع كثيرا من عقيل لا يحصيهم. تفتح حرف الحلق الساكن وقبل ذلك لم يكن سمع مثله من غير الشجرى كما يتبين من نص كلامه .

٢ — كان لاستقراره الذهني (١٠٨) أثر كبير فى تعليل هذه الظاهرة وغيرها بحيث أدرك أن لحرف الحلق أثرا معتدا معتمدا فى تحويل سكونه فتحة كما هو نص كلامه — أيضا — وقد أكد ابن جنى ذلك حين قال : وأنا أرى ، وأن الحق مع البغداديين وفى أيديهم ، وأنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه .

وبذلك يبعد أن يكون توثيق ابن جنى للقراءات الشاذة هو السبب فى هذين الموقفين المتعارضين على ما ذهب اليه الدكتور عبد الفتاح شلبى من أنه « استعان بالمذاهب الأخرى ووجد فيها مقنعا ومحتجا » (١٠٩) .

ويؤيد علم اللغة الحديث هذه الظاهرة الصوتية فـ (حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج الى اتساع مجراه فى الفم ، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره اتساعا وهو الفتحة (١١٠) وذلك أيضا موجود فى أخوات العربية كالعبرية نحو baal (بعل) — naal (نعل) وكذلك الصامت الذى قبله ، فالفعلان الماضيان Shamar ، (سمع) Patah (فتح) كان ينبغى أن يكون مضارعاهما على قياس الثلاثى الصحيح YashmoA (بضم الميم) ، Yeptoh (بضم التاء) لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لما بعدها : Yeptah - YeshmaA

(١٠٨) أبو على الفارسي د. شلبى ص ٣٧٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(١١٠) فى اللهجات العربية ص ١٣٥ .

وقد نسب ابن جنى هذه اللهجة — وهى فتح حرف الحلق الساكن الى بنى عقيل ، وبين أنه فاش فيهم فالى جانب ما نقلناه من قبل عنه يقول أيضا : سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره ، حتى لسمعت الشجرى يقول : أنا محموم — بفتح الحاء — وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعولا — بفتح الفاء — وسمعت مرة أخرى يقول — وقد قال له الطبيب : مص التفاح ، ورم بثقله — والله لقد كنت أبغى مصه وعليتيه تغذو — بفتح الغين — ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل — بفتح الفاء — وسمعت جماعة منهم — وقد قيل لهم قد أقيمت لكم أنزال^(١١١) من الخبز — قالوا : فاللحم — بفتح الحاء — يريدون اللحم — بسكونها — وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه نحوه بفتح الحاء^(١١٢) .

ويعترف ابن جنى بكثرة ذلك عن بنى عقيل^(١١٣) .

ومن ذلك يتضح أن فتح حرف الحلق الساكن من خصائص لهجة عقيل ، وينسب أبو حيان تلك الظاهرة الى بعض بنى بكر بن وائل^(١١٤) وتثبت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين^(١١٥) وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة الى البحرين^(١١٦) ومن هذا نفهم (سر التشابه بين القبيلتين)^(١١٧) .

(١١١) هو ما يبيأ للتنزيل .

(١١٢) المحتسب ٨٤/١ .

(١١٣) الخصائص ٩/٢ .

(١١٤) البحر ٢٤٧/٣ .

(١١٥) نهاية الأرب ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(١١٦) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ ونهاية الأرب ص ١٧٨ .

(١١٧) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١١٣ .

الفصل الثاني

التغيير في بعض الصيغ اللغوية

وتعدد الأوجه النحوية

إبدال الياء ألفا في بعض الأفعال الثلاثية

المعروف في كتب التصريف أن الواو والياء تقلبان ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلها مثل : دعا وسعى فان سكنت الواو والياء أو لم ينفتح ما قبلهما لم يقلبا ألفا مثل : بيت وعين وصوم ونوم والسعى والظبي ويقوم ويبيع ... الخ . وقد نقل عن بعض العرب مثل بلحارث بن كعب أنهم يقلبونها ألفا دون تحقق الشروط السابقة فيقبلون الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا ، فالحرفان (على) و (الى) — من حروف المعاني — وبعض الظروف اذا اتصلت بالمضمر قلبت ألفها ياء فنقول : عليك واليك ولديك ، وقال سيبويه ان ذلك القلب ليفرقوا بين الظاهر والمضمر لأن المضمر لا يستقل بنفسه بل يحتاج الى ما يتوصل به اليه .

وبنو الحارث بن كعب وخثعم وكنانة يقبلون الألف لا فرق عندهم بين المظهر والمضمر : وكذلك كل ياء ساكنة مفتوح ما قبلها يقلبونها ألفا فيقولون : الاك وعلاك ولداك^(١) وقالوا : السلام علاكم^(٢) وأنشد لبعض أهل اليمن :

(١) الكتاب ٤١٢/٣ ، ٤١٣ ، والمصباح (الى) ٢١/١ .

(٢) النوادر لأبي زيد ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

أى قلو ص راکب تراها طاروا علاهن فطر علاها^(٣)

وقد قلبت الواو ألفا لغير علة فى قول الشاعر :

تبت اليك فتقبل تابنى وصمت ربى فتقبل صامتى
وقد شرحنا ذلك فى ابدال حروف العلة بعضها من بعض *

وقد يلتبس ذلك حال القلب التباسا لفظيا بأسماء وأفعال مثل
(الاء) فى (اليه) يلتبس بلفظ (اله) ومثل (علاه) يلتبس
بالفعل (علا) فى مثل : علا زيد ثوب وعلاه ثوب بمعنى
(عليه)^(٤) *

وقد اشتهر أن قبيلة ضبيء تقلب الياء الواقعة بعد الكسرة
ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية — مخالفة القاعدة العامة التى
أشرنا إليها من قبل — سواء أكانت الكسرة والياء أصليتين أو
عارضتين للبناء المجهول فيقولون فى : فنى ، فنى : وفى بقى :
بقى ، بكسر العين وفتحها وفى المبنى للمجهول : هدى زيد : وبنى
البيت : هدى وبنى بضم الفاء وفتح العين * قال زيد الخيل الطائى :
أفى كل عام مأتم تبعثونه على محمر^(٥) منكم أثيب ومارضا
رضى بضم الراء وفتحها *

وقال المستوفز بن ربيعة :

هل ما بقى الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا

وقال امرؤ القيس :

لها متنان حظا كما أكب على ساعديه النمر
يريد : حظيتا *

(٣) الخصائص ٢٦٩/٢ وشرح شواهد العينية ١٢٧/١ ، ١٢٩ ،

٥٨٥/٢ ، ٧٨٦ .

(٤) انظر اللسان (علا) ٣٢٢/١٩ .

(٥) المحمر كمنبر : الذى لا يعطى الا على الكد واللثيم . القاموس

١٤/٢ .

وقال آخر :

ثم عذت بباقة لحي ولا أحد على الدنيا بباق

وقال : وما الدنيا بباقة علينا • يريد : بباقية^(٦) •

وقال : (غير باناة على وتره) أى غير بانية •

وعليها جاءت بعض القراءات الشاذة كقراءة الحسن : (يأياها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين)
— بفتح قاف بقى — وقراءة الأعمش : (فنى ولم نجد له عزما)
بفتح المسين فى نسى •

وفى المزهري : أن ما بنته جماهير العرب على فعل مما لأمه واو
كشقى أو ياء كفى فطىء تبنيه على فعل — بفتح العين يقولون :
شقى يشقى وفنى يفنى^(٧) •

ويبدو أن قبيلة طيء فعلت ذلك فيما تطرفت فيه الياء ، وعلل
الرضى لذلك بأن الطرف محل التغير والتخفيف ، فان توسطت الياء
بسبب التاء اللازمة نحو : ناصاة فى ناصية ونحوها فقليل^(٨) •

قال الأزهري : لغة طيء فى الناصية : الناصاة حكاه أبو عبيد
وأنشد :

لقد آذنت أهل اليمامة طيء بحرب كناصاة الحصان المشهور^(٩)
وعلى ذلك فان هذه اللهجة شائعة فى الفعل الماضى الثلاثى
المكسور العين قليلة فى غيره •

والظاهرة منسوبة لطيء^(١٠) وقد رويت بعض شواهدا منسوبة

(٦) الجوهرة ٤٣/٢ ، شرح المفصل ١١/٢ •

(٧) ٣٨/٢ •

(٨) شرح الشافية ١.١١/٣ • (٩) التهذيب ٢٤٥/١٢ •

(١٠) المقاييس ٢٧٦/١ والمخصص ٤٠/٦ واللسان ١٨٤/٤ والمزهري

• ٢٣٧/١

لغير طيء كتميم وأسد وقيس وفريق من سكان نجد من قبائل اليمن
وقد تأثرت قبائل نجد بطيء حينما هاجروا الى شمالى الحجاز ، وكذلك
نسبت الى بلحارث بن كعب وغيرها *

قلب ألف المقصور ياء

المقصور : هو الاسم العرب الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة ،
ومنه القياسى والسماعى ، ذكر الرضى أن ألف المقصور تقلب ياء فى
الوقف ، قال : (وأما اذا وقفت عليها — (أى الألف) — فتخفى
غاية الخفاء **** ولهذا يبدلون فى الوقف حرفا من جنسها
أظهر منها) (١١) *

وسئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال : لا بنأس بقتل
الافعو ولا بأس بقتل الحدو فقلب الألف فيهما واوا حسب لغته (١٢) *

ونقل عن ابن يعيث أن هذا القلب ياء يكون فى الوقف
والوصل ، يقول : وقوم من العرب يبدلون هذه الألف ياء فى الوقف
فيقولون : هذه أفعى وحبلى ، وهى لغة فزارة وناس من قيس *

وقال : وطيء يجعلونها (أى الألف) ياء فى الوصل والوقف (١٣)
وبعض طيء يقلبونها واوا لأن الواو أبين من الياء والقصد البيان (١٤)
وتقلب ألفه همزة فى الوقف أيضا فيقال فى أفعى : أفعأ ،

(١١) شرح الشافية ٢/٢٧٦ .

(١٢) التهذيب ٣/٢٣٣ .

(١٣) شرح الفصل ٩/٧٧ وانظر المحتسب ١/٧٧ .

(١٤) اللسان نقلا عن ابن الأثير فى النهاية ٥٥/١ وفى كتاب
سيبويه (وزعموا أن طيئا تقول أفعو) الكتاب ٢/٢٨٧ ويقول
السيرافى ومنهم — أى من طيء كما يقول ابن يعيث — من يجعل الألف
واوا (السيرافى على سيبويه ٥/٤٤ وشرح الفصل ٩/٧٧) ، والواو
والياء دون ريب أظهر وأبين من الألف ولهذا قلبت اليهما وكثيرا ما يبدل أحد
أصوات اللين من صاحبه .

وخبلى : حبالاً ، يقول السيوطى : وربما قلبت الألف الموقوف عليها همزة أو ياء أو واوا نحو هذا أفعا — أفعى أفعو فى هذه أفعى وهذه عصاً وعصى وعصو فى هذه عصا الأولى والأخيرة لبعض طيىء والثانية لغة فزارة^(١٥) وكذلك فى شرح التصريح^(١٦) . ويعلى لها القدماء بأن الألف أخفى من الهمزة ، والهمزة اذا كان ما قبلها متحركا كانت أبين من الألف ، والألف قريبة من الهمزة لأن الألف تهوى وتنتقطع عندها^(١٧) .

وقد نسبت هذه اللهجات الى بعض طيىء وفزارة كما عند سيبويه والرضى^(١٨) والسيوطى .

وقد تعددت صور النطق بألف المقصور فى الموقف كما رأينا فى أفعى وعصا وليس من المعقول أن ينسب ذلك الى قبيلة واحدة فى فترة زمنية واحدة ، بل المعقول أن تكون كل صورة من الصور المذكورة فى بعض بطونها دون بعض أو أنه حدث فى أزمان مختلفة .

« فيرجح أن بطنا من طيىء كانت تنطق بالهمزة تارة ويطنا أخرى بالألف وثالثة بالياء أو ربما أن هذه اللهجات حدثت فى فترات متباينة وقد جمع النحاة هذه الاستعمالات دون توضيح أو بيان »^(٢٠) .

ونسبها ابن دريد الى أهل اليمن قال : قوم من أهل اليمن يسمون العصا عسو^(٢١) والمسألة فى رأينا مسألة نبرة شديدة تنتضح عند القبائل البدوية .

-
- (١٥) الهمع ٢٠٦/٢ . (١٦) شرح التصريح ٣٣٩/٢ .
 (١٧) شرح التصريح ٣٣٦/٢ والهمع ٢٠٦/٢ .
 (١٨) الكتاب ١٨١/٤ وشرح الشافية ٢٨٦/٢ .
 (١٩) ٢٠٦/٢ .
 (٢٠) اللهجات العربية فى التراث ص ٤٩٦ ٣ .
 (٢١) الاشتقاق ٥٤ .

وتبقى ألف المقصور على حالها عند اضافتها الى ياء المتكلم كالعصا والفتى والرضا كما فى قوله تعالى : (قال هى عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى) وقوله سبحانه (واذا قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) هذا عند جمهور العرب .

وهذيل (٢٢) تقلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم فيقولون : عصى وفتى ، ورضى عوضا عن كسرة الحرف الذى قبل الياء ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

سبتوا هوى وأعنفوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
وقال الآخر :

فأبلونى بليتكم لعلى أصل الحكيم وأستدرج نويا
فهوى : أصله هواى ، ونوى : أصله نواى فقلب الألف ياء وأدغمها فى ياء المتكلم .

وقوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
قرىء (هدى) بقلب الألف ياء وادغامها فى ياء المتكلم (٢٣) .
وقوله تعالى (قال يا بشرى هذا غلام) قرىء (بشرى) (٢٤) .
وينسب السيوطى قلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم لهذيل وغيرهم (٢٥) ونسبها بعضهم الى طيبى (٢٦) وحكى عيسى ابن عمر هذه اللغة عن قریش (٢٧) .

(٢٢) شرح التصريح ٦١/٢ وشرح الشافى ٢٩٤/١ والبحر المحيط ١٦٩/١ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٩٠/٥ والمحتسب ٧٦/١ ، ٣٣٦ والخصائص ١٧٦/١ ، ١٧٧/١ .
(٢٣) البحر المحيط ١٦٩/١ والمحتسب ٧٦/١ عن عاصم الجحدرى .
وعبد الله بن أبى اسحاق وعيسى بن أبى عمر ونسبت الى النبى ﷺ .
(٢٤) البحر المحيط : ٢٩٠/٥ والمحتسب ٣٣٦/١ ، ونقلت هذه القراءة عن قرأوا (هدى) .
(٢٥) الهمع ٥٣/٢ .
(٢٦) شرح التصريح ٦١/٢ واللسان ٥٥/٢٠ .
(٢٧) شرح الاثمنى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ .

أما إذا ثنى الاسم المقصور فتبقى ألفه حال الاضافة الى ياء المتكلم مثل فتیان تقول : فتياى ، اذ لا موجب لقلبها ياء (٢٨) •

أما الحروف مثل : على والى ، والظروف مثل لدى فانها اذا اتصلت بياء المتكلم قلبت ألفها ياء وأدغمت فى ياء المتكلم مثل على والى ولدى بتشديد الياء •

تصحيح اسم المفعول من الثلاثى الأجوف

التصحيح : إبقاء حرف العلة على حاله دون التعرض له بأى تغيير • والاعلال : تغيير حرف العلة بالقلب أو الحذف أو الاسكان (٢٩) واسم المفعول من الثلاثى الأجوف يعل عند الحجازيين واويا كان أو يائيا فيقال فى اسم المفعول من قال وباع : مقول ومبيع ، ولكن التميميين يعلون الواوى ويصححون اليائى فيقولون : مبيوع ومديون ومعيون ومغيوم ومطيوب (٣٠) من ذلك قول علقمة بن عبدة التميمى فى طائر :

حتى تذكر بيضات وهيجه يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم
وقال عباس بن مرادس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال أنك سيد معيون
ومما أنشده أبو عمرو بن العلاء :

(وكأنها تفاحة مطيوبة) (٣١)

(٢٨) شرح التصريح ٦١/٢ والأشمونى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ والهمع ٥٣/٢ •

(٢٩) شرح الشافى ٦٧/٢ •

(٣٠) الخصائص ٢٦٠/١ وشرح الفصل ٧٨/١٠ وشرح الشافى للرضى ١٤٧/٣ والمقتضب ١٠١/١ •

(٣١) الخصائص : ٢٦١/١ وشرح الفصل ٨٠/١٠ •

وقد ورد التصحيح فى الواوى حكاية عن البغداديين من أن بعضهم يقول ثوب مصوون وفرس مقوود ومسك مدووف ورجل معوود فى مرضه قال : (والمسك فى عنبره مدووف) (٣٢) .

وقال سيديويه « ولا نعلمهم أتموا فى الواوات لأن الواوات أثقل عليهم من اليباءات ومنها يفرون الى اليباء فكرهوا اجتماعها مع الضمة » (٣٣) .

ونقل ابن منظور تعليل هذا الاتمام فقال : وذلك لثقل الضمة على الواو ، واليباء أقوى على احتمالها منها ، فلهذا جاء ما كان من بنات اليباء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (٣٤) .

وقد جعل ابن جنى التصحيح فى الواوى من الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا .

قال : والرابع الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون ومسك مدووف ، وحكى البغداديون فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وكل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره اليه (٣٥) .

وقد أجاز المبرد الاتمام فى ذوات الواو — مخالفا بذلك النحويين — قياسا على ما ورد فيها وقال : ليس بأثقل من سرت مسوورا وغارت عينه غوورا ، لأن فى (سوور) و (غوور) واوين وضميتين ، وليس فى (معوود) مع الواوين الا ضمة واحدة (٣٦) .

وقد قال (لست أراه ممتنعا الا عند الضرورة) (٣٧) .

(٣٢) الخصائص : ١ / ٢٦١ واللسان (قود) .
 (٣٣) الكتاب ٣٤٩/٤ . اللسان (دوف) .
 (٣٥) الخصائص ٩٩/١ . (٣٦) المتع لابن عصفور ٤٦١/٢ .
 (٣٧) المختضب ١٠٢/١ .

ويرى بعض المحدثين أن الصيغة التميمية هي الأصل والحجازية فرع عنها تبعا لنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي والانسجام الصوتي في الصيغة الحجازية يجعلها أحدث من التميمية^(٣٨) وفي كتاب سيبويه ما يفيد أن الصيغة التميمية أقدم من الحجازية^(٣٩).

بعض الأسماء المقصورة والممدودة

تستعمل أولاء اسم إشارة للجمع مذكرا ومؤنثا بصيغة المد عند الحجازيين مثل قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ولكن بنى تميم — وبعض القبائل الأخرى مثل قيس وربيعه وأسد وغيرهم من أهل نجد يستعملون اسم الإشارة للجمع مقصورا فيقولون (أولى) ويقرر النحاة أن الممدود يمتنع اقترانه بلام البعد فلا يقال (أولاء لك) ويجوز أن تلحق المقصور فيقولون (أولالك) قال الشاعر :

أولا لك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل الا أو لا لك^(٤٠)

وقد وردت كلمات مقصورة وممدودة حسب اختلاف القبائل • من ذلك السدى والسداء ممدود البلح بلغة أهل المدينة^(٤١) والحجا والحجاء لغة فيها^(٤٢) •

والشقا والشقاء والبكا والبكاء — بالمد والقصر^(٤٣)

قال حسان :

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغنى البكاء ولا العويل

(٣٨) في اللهجات العربية ٦٧ ، ٦٨ .
(٣٩) الكتاب ٣٤٨/٤ والخصائص ٢٦٠/١ ، ٢٦١ .
(٤٠) الأشموني ٣٩/١ وشرح التصريح ١٢١/١ والهمع ٧٥/١ .
(٤١) التهذيب ١٠٠/١٣ ونسب إلى أهل اليمن . اللسان ٢٧٦/١٤ .
« سدا » .
(٤٢) التهذيب ١٣١/٥ ، ١٣٢ .
(٤٣) الجهرة ٦٧/٣ .

وأوضح اللغويون أن المد فى (البكاء) للصوت المعبر عن الحزن والقصر فى (البكا) للتعبير عن نفس الحزن (٤٤) *

وذكر ابن دريد أن القصر والمد كثير فى الشعر الفصيح (٤٥)

ولا بأس عند اللغويين أن يستعمل القصر والمد فى لهجة واحدة .
أو قبيلة واحدة بنفس المعنى لكن مع اختلاف الأزمان والبيئات ، والمد أقبىس وأكثر فى أسماء الأصوات *

وقد نسب المقصور من هذا وأمثاله الى أهل نجد واليمن أو يغلب القصر على لسانهم ، على حين يكثر المد عند الحجازيين وهذا لا يمنع من العكس بوجود المد فى بيئة نجد والقصر فى بيئة الحجاز ، فقد روى : السدى والسداء ممدود : بلغة أهل المدينة كما ذكرنا من قبل *

كلا وكلا

نتحدث قواميس اللغة عن لفظة « كلا » مذكرا ومؤنثا وتشير الى الآراء الواردة فى معناها وتركيبها وأحوالها الاعرابية وتتلخص فيما يأتى *

أما عن معناها فينتفق العلماء على أنها كلمة مصوغة للدلالة على اثنين ولكنهم يختلفون فى بيان كونها مفردا أو مثنى *

فابن جنى وسيبويه وابن سيدة يقررون أنها اسم مفرد يفيد معنى التثنية كما أن « كلا » مصوغة للدلالة على الجمع * وكذلك يتفق مع هؤلاء العلماء الجوهري فهو يقول : كلا فى تأكيد الاثنين نظير كل فى المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى (٤٦) ويقف فى الجانب الآخر ابن الأنبارى وأبو الهيثم *

(٤٤) المخصص — حكاية عن الخليل — ١٤٠/١٣ والأصول فى النحو لابن السراج ٤١٦/٢ .
(٤٥) الجمهرة ٢١٠/٣ .
(٤٦) اللسان ج ١٥ ص ٢٢٧ .

فابن الأنباري يحكى لنا أن طائفة من العرب لا تميّلها وعلى هذا تكون ألفها للتثنية كآلف « غلامان وذوا » وواحد « كلتا » على هذا الرأي كلت وألف التثنية لا تمال *

كما يحكى لنا أن طائفة أخرى من العرب تميّلها وعلى هذا تكون اسما واحدا عبر به عن التثنية وهو بمنزلة شعري وذكرى *

وأما أبو الهيثم فيروى لنا الأزهرى عنه أن « كلا » أصلها « كل » بالتشديد فخففت اللام وهو رأى الفراء وكذلك كلتا ولا يتكلم منهما بواحد ولو تكلم به لقليل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر :
فى كلت رجلها سلامى واحده كلتاها مقرونة بزائده (٤٧)
هذه هى الآراء عن كونها مفردا أو مثنى *

وأصحاب رأى الأول يقولون بأن ألفها للتأنيث وهى على وزن فعلى كذكرى هذا بالنسبة لـ « كلتا » فأما كلا فوزنها « فعل » بكسر الفاء وسكون العين ولامها معتلة بمنزلة حجا ورضا وألفها منقلبة عن واو بدليل التاء فى « كلتا » لأن بدل التاء من الواو أكثر من بدلها من الياء وألفها للتأنيث كما ذكرت ولذلك تمنع الصرف معرفة ونكرة *

ولكن أبا عمر التجرمى يقول ان التاء فيها علم التأنيث والألف لام الكلمة فوزنها فعتل وعلى هذا تصرف نكرة لأن أقصى أحوالها عنده أن تكون كقائمة وقاعدة (٤٨) *

ونحن نرى اصابة رأى الأول الذى قال به سيبويه واعتمده ابن جنى وذلك لضعف الآراء الأخرى ونشير الى أدلة ضعفها فيما يأتى :

(٤٧) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ *

(٤٨) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٧ *

ضعف أهل البصرة كون هذين اللفظين مثني لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن تنقلب ألفها في النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر • ولأن معنى « كلاً » مخالف لمعنى كل لأن « كلاً » بتشديد اللام للاحاطة وكلا يدل على شيء مخصوص وأما « كلت » في قول الشاعر السابق فمحمولة على الضرورة لأنه اعتبر الألف زائدة لما استدعاه الوزن الشعري لذلك فلا يعتبر حجية^(٤٩) •

أما معاملة هذين اللفظين معاملة المثني من زاوية اعرابية خاصة حال اضافتهما الى المضمر فليس دليلاً على أنهما مثنيين لأن هذه المعاملة ملحوظ فيها شبه آخر ولذلك لزما الألف حال اضافتهما الى الظاهر وحتى حال اضافتهما الى المضمر عند الرفع •

أما نصبهما وجرهما بالياء فمبنى على شبههما بعلى ولدى في لزومهما الاضافة ونحوها ولذلك اقتصر في هذا التشبيه على النصب والجر لأن على لا تقع الا منصوبة أو مجرورة ولا تستعمل مرفوعة فبقيت كلاً في الرفع على أصلها مع المضمر لأنها لم تشبه بعلى في هذه الحال •

وانما أبدلت الفاء من الواو في « كلتا » لأنها تنوب عن الألف اذا صارت ياء مع المضمر ففي هذا الابدال تأكيد للتأنيث •

وينقض رأى أبى عمر الجرمي وهو أن الفاء علم التأنيث ووزن « كلتا » فعنل ينقض ذلك ما ساقه ابن جني من أن الفاء لا تكون علامة للتأنيث الا اذا انفتح ما قبلها كحمزة وفاطمة أو أن يكون قبلها ألف مثل سعادة وعزهاة واللام في « كلتا » ساكنة •

ووجه آخر هو : أن علامة التأنيث لا تأتي الا آخرها والفاء ههنا متوسطة ، وأيضا : فلا يوجد وزن « فعنل » في الكلام حتى يحمل ذلك عليه •

(٤٩) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ •

وقد قيل فى الرد على أبى عمر أيضا لو كان الأمر كما ادعى لقليل
فى النسب اليها كلتوى ولكنهم لم يقولوا ذلك بل قالوا كلوى كما
قالوا فى النسب الى أخت أخوى فدل ذلك على أن التاء مبدلة من واو •
وقد عارض الدليل الأخير ابن برى حين قال : كلوى قياس من
النحوين اذا سميت به رجلا وليس ذلك مسموعا فيحتج به على
الجرمى •

وأيا ما كان الأمر فالأدلة الأخرى تدحض رأيه وتعضد رأى
الجمهور السابق • فلم يبق لنا الا أن نعترف برأى الجمهور الذى
عضده ابن جنى بالدليل •

هيهات

يدور معنى هذه الكلمة فى معاجم اللغة حول البعد وفيها
مناقشات مختلفة •

أولها يتعلق بحركة التاء — ثانيها يتعلق بأصالة التاء أو انقلابها
— ثالثها يتعلق بإفرادها أو جمعها •

أما حركة التاء فقد وردت على أوضاع متنوعة فقد وردت
مفتوحة بلا تنوين ومكسورة بلا تنوين أيضا ومنونة مفتحة وكسرا
وحاول اللغويون القدامى تفسير هذه الأوجه فمن قال هيهات بفتح
التاء بغير تنوين شبه التاء بالهاء ونصبها على مذهب الأداة لأنها
معروفة فى هذه الحال ومن قال بالفتح والتنوين شبهه بقول تعالى :
(فقليل ما يؤمنون) ومن قال هيهات بالكسر بلا تنوين شبهه بحذام وقطام
ومن قال هيهات بالتنوين شبهه بالأصوات كقولهم غلق وطاق (٥٠) وقد

سمى ابن الأنباري كل ذلك لغات^(٥١) وأضاف إليها ورود الضم فيها فتكون كالكسر بلا تنوين وأورد فيها الضم مع التنوين أيضا وهي في هذا الموضع مشبهة بتاء الجمع في عرفات وأنا أميل إلى اعتبار اختلاف حركة التاء راجعا إلى اختلاف اللهجات كما ذكر ابن الأنباري وتعليقات اللغويين القدامى تنتج ناحية الفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطها باللغة من ناحية كونها ظاهرة اجتماعية .

وأما عن أصالة التاء أو انتقالها فهنا آراء .

يقول بعض اللغويين : ان التاء أصلها الهاء بل يحكى ابن منظور في لسانه اتفاق أهل اللغة على ذلك ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه يوقف عليها بالهاء مثل : هيات هيهاء قال ذلك في قوله تعالى : هيات هيات لما توعدون . وهذا دليل لذلك وهذا الرأي يقابله رأي آخر يقول بأصالة التاء وأنها ليست منقلبة بل هي تاء التأنيث . وأما عن افرادها فيقول العلماء ان المتحركة بغير الكسر تعتبر اسما مفردا فاذا كانت مكسورة منونة أو غير منونة فهي جمع ومفردا على ذلك هية^(٥٢) وممن قال بذلك سيبويه وأبو على ، وفي قول آخر لأبي على أن مفردا هيات والمعروف فيها أنها اسم فعل ماض بمعنى يبعد^(٥٣) ولكن أبا على الفارسي كان يقول فيها أنا أفتي مرة بكونها اسما سمي به الفعل كصه ومه وأفتي مرة بكونها ظرفا على قدر ما يحضرني في الحال وقال مرة ثالثة : انها وإن كانت ظرفا فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسما سمي به الفعل كعندك روى ذلك عنه ابن جنى .

ويكون معناها على الظرفية في البعد فمعنى هيات ما تقول :

(٥١) اشار إليها ابن جنى في الخصائص ج ٣ (باب في تسمية الفعل) .

(٥٢) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٣ .

(٥٣) الأثموني مع الصبان ج ٣ ص ١٩٧ .

فى البعد ما تقول ، وهذا الرأى سبق به المبرد فى المقتضب كما
يقول الأستاذ النجار محقق الخصائص *

ويروى ابن جنى أنها من الألفاظ الرباعية المكررة فاءها ولامها
الأولى هاء وعينها ولامها الثانية ياء فهى لذلك بمنزلة صيصية وقد
حذفت اللام لأنها فى اسم غير متمكن *

قال ابن سيدة : أنشد ابن جنى قول العجاج *

هيهات من منخرق هيهأوه

ولم يفسره قال : ولا أدرى ما معنى هيهأوه *

ولكن بالبحث عن معناه نجد أنه البعد والشيء الذى لا يرجى
وهو يدل على كون هيهات من مضاعف الأربعة^(٥٤) وألف هيهأوه هى
ألف فعلال بعكس ألف هيهات^(٥٥) *

ونحن لا نرتضى الآراء التى تتحدث عن افرادها وجمعها فالذى
نعرفه من واقع كتب اللغة أنها وضعت هكذا اسم فعل ماض بمعنى
بعد فلا تتصرف فأما كون مفردها هيهة أو هيهات فذلك من غرائب
اللغة لأن هيهة لم نعرف لها أثرا فى المعاجم اللغوية وأما من قال ان
مفردا هيهات فلم يأت بجديد *

أما معنى الظرفية الذى لمسه فيه أبو على الفارسى ورجحه
ابن جنى وادعى أن ذلك من عند الله فربما استقيد من معنى الفعل
واسمه فبعد بحسب أصلها يتضمن معنى الظرفية ولكن أبا على لم
يعطنا رأيا صريحا بل اضطرب بين روايات ثلاث كما سبق ، أما قول
ابن جنى بأنها رباعية مكررة فهذا أمر مقبول *

(٥٤) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٥٥) الخصائص (باب فى تسمية الفعل) ج ٣ .

هلم

تستعمل عند الحجازيين اسم فعل أمر بطريقة واحدة ، فلا تلحق بها الضمائر البارزة ، وإنما يستتر فاعلها ، مفردا أو مثنى ، أو جمعا ، مذكرا أو مؤنثا ، فنقول : هلم يا زيد ، وهلم يا زيدان ، وهلم يا زيدون ، وهلم يا هندان ، وهلم يا هندات .

وبنو تميم^(٥٦) يجعلونها فعل أمر تتصل بها الضمائر للمفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقولون : هلم يا زيد ، وهلمى يا هند ، وهلم يا زيدان ويا هندان ، وهلموا يا زيدون ، وهلمن يا هندات .

وجاءت (هلم) فى القرآن بلهجة الحجاز ، قال تعالى : (قل هلم شهداءكم) (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) .

ولذا رجع النحاة لهجة الحجاز^(٥٧) وذكر الرازى أنها أفصح^(٥٨)

ويرى الخليل أن (هلم) مركبة من (ها) التى للتنبيه و (لم) بمعنى : اجمع شملك الينا ، وحذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال ،

(٥٦) ينسب الخليل لهجة غير الحجازيين الى بطن من تميم هم بنو سعد (العين ٥٦/٤) والصاحح (هلم) ونسبها الأزهري الى تميم وبنى سعد (التهذيب ٤٣٧/٦) ونسبت أيضا الى تميم وبعض نجد (تاج العروس ١٠٨/٩) وإلى أهل نجد (المصباح ص ٦٤٠) وفيه أن أبا زيد قال : (استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عقيل وقيس والساقى الضمائر من لغة تميم وعليها أكثر العرب) ، لكن وقوعها فى القرآن بلفة الحجاز وعدم قراءتها — ولو شذوذا — باللغة التميمية دليل على أن أكثر العرب على لهجة الحجاز لا لهجة تميم . انظر لغة تميم د. ضاحى عبد الباقي ص ٤٨٩ .

(٥٧) الكتاب (باب ما لا يجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة وذلك الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل نحو ايه وصه ومه واشباهها ٢٥٩/٣ والمقتضب ٢٠٢/٣ ، ٢٠٣ وشرح المفصل ٤١/٤ والأشعرى ٢٠٦/٣ واللسان (هلم) .

(٥٨) مختار الصحاح ص ٦٩٨ .

يقول سيبويه ، وزعم (أى الخليل) أنها (لم) — بضم اللام وتشديد الميم المفتوحة — لحقتها ها للتبويه وإنما حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم^(٥٩) . وعند الأخفش أنها مركبة من (هل) التى للاستحاث و (لم) .

ويرى الفراء أنها مركبة من (هل) و (أم) بمعنى اقصد ، ثم حذفت الهمزة تخفيفا ، وبناء على وجود الفعل فى تركيبها قال التميميون بفعاليتها وقد وردت صيغة للمضارع منها : حكى الأصمعى أن الرجل يقال له : هلم فيقول : لا أهلم^(٦٠) .

ويقول النحاة : ان (هلم) لما غير معناها بعد التركيب صارت كسائر أسماء الأفعال المنقولة عن أصلها عند الحجاز ، ولذا لم تتصرف عندهم ، على حين يصرفها بنو تميم نظرا لأصلها^(٦١) .

هذا هو الرأى القديم فى (هلم) اسم فعل أمر وفعل مركبا ، ولكن بعض المحدثين يميلون الى القول ببساطتها على ضوء اللغات السامية ، فالكلمة فى العبرية هى halom كلمة واحدة ليست مركبة ، وهو أقرب الى القبول .

الحاق الفعل علامة التنبيه والتجمع

إذا كان الفعل اسما ظاهرا مفردا جاء الفعل بصيغة الافراد عند العرب جميعا^(٦٢) . أما اذا كان الفاعل اسما ظاهرا مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا فان جمهور العرب يفردون الفعل فلا يلحقون به علامة

(٥٩) الكتاب ٢٥٩/٣ .

(٦٠) شرح الفصل ٤٣/٤ وانظر فى اعتبارها فعلا — عندهم — الأشمونى ٢٠٦/٣ والبحر المحيط ٢٣٥/٤ والهمع ١٠٧/٢ .

(٦١) شرح الكافية ٧٢/٢ ، ٧٣ والحجة للفارسى ١٤٦/١ ، ١٤٧ .

(٦٢) شرح درة الغواص للخفاجى ١٥٢ وشرح التصريح ٢٧٥/١ ،

١١٠/٣ وجمع الهوامع ١٦٠/١ والجنى الدانى للمرادى ١٧١ .

تثنية أو جمع فتقول : قام أخواك وقام اخوتك وقام أختاك وقامت أخواتك وقال قومك فحذفوا العلامة اكتفاء بما أظهروا^(٦٣) وعلى ذلك تجرى الفصحى ، وفى القرآن الكريم : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بيحيى) الخ (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) الخ .

ولكن بعض العرب ومنهم قبيلة طيء وبلحارث بن كعب ، وأرد شنوءة^(٦٤) وهى قبائل يمنية كانت تلحق الفعل — اذا كان فاعله ظاهرا مثنى أو جمعا — علامة التثنية وعلامة الجمع فيقولون : قاما أخواك وقاموا اخوتك وقمن نسوتك ، يقول سبيويه :

(واعلم أن من العرب من يقول : ضربونى قومك وضربانى أخواك وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قال : من قال : أكلونى البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشيين آبائهم وكذلك أفعل نحو أعور وأحمر فتقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه فان تثبت قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه^(٦٥) .

ووردت بعض آيات القرآن الكريم — ظاهرها — يشير الى هذه اللغة ومن ذلك قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله تعالى (وأسرؤا النجوى الذين ظلموا)^(٦٦) فبعض النحاة يجعل الاسم الظاهر (كثير) و (الذين ظلموا) فاعلا على اللغة السابقة بيد أن

(٦٣) شرح الأشموني ٤٨/٢ .

(٦٤) المصدر السابق ٤٨/٢ . (٦٥) الكتاب ٢٣٦/١ .

(٦٦) المصدر السابق ٢٣٧/١ ط بولاق .

(٦٧) من المسائدة الآية ٧١ ومن الأنبياء الآية ٣ .

جمهور النحاة والمفسرين يحاولون تخريج الآيتين على اللغة المشهورة التي عليها جمهور العرب فيعربون « كثير » على أنه بدل من (الواو) التي يجعلونها ضميرا فاعلا في عموا وصموا كما تقول : رأيت قومك ثلثيهم أو يضمرون فعلا آخر ارتفع به الاسم الظاهر والتقدير (عمى وصم كثير منهم) أو « كثير » خير لمبتدأ محذوف ويكون التقدير (العمى والصم كثير منهم) (٦٨) .

ويعربون (الذين ظلموا) بدلا من الواو في (أسروا) العائد إلى الناس قال المبرد : وهو كقولك : ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو في انطلقوا أو يعرب (الذين ظلموا) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هم الذين ظلموا أو مبتدأ وما سبقه خبر الذين ظلموا وهو (وأسروا النجوى) أو منصوبا بفعل محذوف أى أعنى الذين ظلموا وأجاز الفراء أن يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم (٦٩) وهذه التأويلات عدها بعض العلماء تعسفا وتكلفا مستغنى عنه فان تلك اللغة (الحاق علامة الجمع للفعل) مشهورة ولها وجه من القياس واضح (٧٠) .

وجاءت تلك اللغة في بعض الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) (٧١) والحديث رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة وتكملته : (يتعاقبون فيكم

(٦٨) تفسير القرطبي ٢٤٨/٦ وانظر السكتاب ٢٣٦/١ بولاق ، ٤١/٢ هارون قال سيبويه (وأما قوله جل ثناؤه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فانما يجيء على البدل وكأنه قال : انطلقوا فليل له من ؟ فقال : بنو فلان فقوله جل وعز (وأسروا النجوى الذين ظلموا) على هذا فيما زعم يونس .

(٦٩) تفسير القرطبي ٢٦٨/١١ ومعانى القرآن للفراء ٣١٦/١ وشرح التصريح ٢٧٠/١ ، ٢٧٧ ومعنى اللبيب ٣٦٥/٢ .
(٧٠) فتح البارى ٢١٨/٣ .
(٧١) شرح الأشموني ٤٨/٢ .

ملائكته بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يخرج
الذين بانوا فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادى ؟
فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون « (٧٣) *

فذكر الواو الى جانب الاسم الظاهر (ملائكة) وأول الحديث
على أنه جزء من حديث طويل وأصله (ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) (٧٣) *

وقد قال أبو حيان : ان الراوى قد تصرف فى الحديث بعبارته
مستندا الى رواية البزار — عن أبى هريرة — بلفظ (ان لله ملائكة
يتعاقبون فيكم) الحديث (٧٤) والواو — على هذه الرواية — ضمير
الفاعل ولا شاهد فيه *

وأيد السيوطى رأى أبى حيان قائلًا (وتواردته جماعة من
شراح الحديث ومعهم ابن مالك على أن الحديث جاء على لغة أكلونى
البراغيث والحق ما قاله جماعة آخرون منهم أبو حيان أن الحديث
تصرف فيه الراوى) (٧٥) *

ولكن — كما قال ابن حجر — هذا الحديث ورد بلفظ (يتعاقبون
فيكم ملائكة) فى الصحيحين فالعزو اليهما أولى (٧٦) *

ومن أقوال التابعين قول الحسن البصرى (قد أوكدته يداه
وأعمدته رجلاه) أى صيرتاه عميدا وهو المريض الذى لا يستطيع أن
يثبت على المكان حتى يعتمد من جوانبه لطول اعتماده فى القيام

(٧٢) فتح البارى ٢١٨/٣ — ٢٢١ رواه الشيخان والنسائى والامام
مالك فى الموطأ ، تنوير الحوالك شرح للسيوطى على موطأ مالك ١٨٤/١ .
(٧٣) الفائق للزمخشري ٧٣/٣ والنهاية ٣٩٧/٣ ولسان العرب
٣٩٧/٤ .

(٧٤) فتح البارى ٢١٨/٣ . (٧٥) تنوير الحوالك ١٨٤/١ .
(٧٦) فتح البارى ٢١٩/٣ .

عليهما يقال : عمدت الشيء وأعمدته جعلت تحته عمادا وقوله :
وأعمدناه رجلاه على لغة من قال : أكلوني البراغيث وهى لغة
طبيء (٧٧) *

ومن الشعر الذى جرى أصحابه على هذه اللغة قول عمر بن
ملقط الطائى :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى لك ذا واقية (٧٨)
بدلا من : ألفيت عيناك *

وقول أمية بن الصلت :

يلوموننى فى اشتراء التخييل أهلى فكلهم يعذل (٧٩) *

بدلا من يلومنى أهلى *

وقول عبد الرحمن العتبى :

رأين المغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخدود النواصر
بدلا من : رأيت المغوانى *

وقال الفرزدق :

ولكن ديافى أبوه وأمه

بحوران يعصرن السليط أقاربه (٨٠)

بدلا من : (يعصر أقاربه) *

وقول عبد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم (٨١)
وبعض العلماء من القدامى حكم بأنها غير فصيحة أو قليلة

(٧٧) النهاية ٣/٣٩٧ *

(٧٨) شرح شواهد المفنى ١١٣ وأمالى ابن الشجرى ١/١٣٢ *

(٧٩) ديوان أمية بن الصلت ١٦ والدرر اللوامع ١/١٤٢ وأمالى

ابن الشجرى ١/١٣ وشرح التصريح ١/١٧٦ والهمع ١/١٦٠ *

(٨٠) الكتاب ٢/٤٠ والشاعر يهجو عمرو بن عفراء الضبى ودياف :

قرية بالشام وهوران من مدن الشام والسليط : الزيت *

(٨١) ديوان ابن قيس الرقيات ٢/٣٥ ، ١٩٦ وأمالى ابن الشجرى

١/١٣١ وشرح التصريح ١/٢٧٧ والهمع ١/١٦٠ *

وبعضهم أشار الى أنها لغة فاشية أو لغة حسنة^(٨٢) وأصحاب هذه اللهجة طييء وبنو الحارث بن كعب وأزد شنوءة وأضرابهم من العرب — كما أشرنا من قبل •

وهذه اللهجة ظلت على بعض الألسنة حتى عصر الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ وعدها لحنا لكنها لهجة عربية ليست بلحن كما قال الشهاب الخفاجي في شرح الدرة ، وهي شائعة في اللهجات الدارجة الآن في مصر مثل (لاموني الناس) الخ وقد اتخذ الجمع قرارا بجوازها فقال : «يجوز اذا كان الفاعل اسما ظاهرا أو مثنى أو مجموعا جمعا لمذكر أو مؤنث أو ما يدل على أحدهما أن يلحقوا الفعل المسند الى أحدهما علامة التثنية أو علامة الجمع»^(٨٣) •

وربما كان الحاق العلامة شائعا ابان نشأة اللغة ثم تطورت الى ترك العلامة بعد عصر تهذيب اللغة بما استقرت عليه الفصحى •

فعال للمؤنث

يختلف العرب في اعراب ما جاء على (فعال) علما لمؤنث : فالحجازيون بينونه على الكسر مطلقا رفعا ونصا وجرا سواء كان آخره راء أو لا مثل حذام وقطام ولكاع ، ومن ذلك قول لجيم بن صعب بن بكر بن وائل :

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام^(٨٤)

ويفرق التميميون بين ما كان آخره راء وما ليس آخره كذلك فان كان آخره راء فمعظم التميميين بينونه على الكسر كالحجازيين

(٨٢) انظر الكتاب ٤٠/٢ وفتح الباري ٢١٨/٣ والبحر ٢٩٧/٦ والقرطبي ٢٤٨/٦ •

(٨٣) في أصول اللغة ٢١٠/٢ •

(٨٤) الاثموني ٢٦٨/٣ وشرح التصريح ٢٢٥/٢ •

فيقولون : هذه ظفار ودخلت ظفار ونزلت بظفار وعليه قول الشاعر :
متى ما ترد يوما سفار تجدد بها أديهم يرمى المستجيز المعاورا^(٨٥)
وقليل منهم يعربه اعراب ما لا ينصرف فيرفعه بالضممة وينصبه
ويجره بالفتحة فيقول : هذا سفار ورأيت سفار وشربت من سفار *
وان لم يكن آخره راء فالتميميون يعربونه اعراب ما لا ينصرف
فى جميع أحواله فيقولون : هذه حذام ورأيت حذام ومررت بحذام *
وبناء (فعال) — علما لمؤنث — على الكسر مبنى على شبهه بفعال
اسم الفعل لاشتراكهما فى الصيغة والتأنيث والتعريف والعدل وهم
يشبهون الشيء بالشيء^(٨٦) *

ومذهب التميمين فى اعرابه اعراب ما لا ينصرف هو القياس
لأن ذلك شأن الأعلام المعدولة^(٨٧) *

الاسم الموصول

يستعمل (الذى) و (التى) اسمين موصولين للمفرد والمفردة ،
وفى المفرد لغات : (الذى) و (الذى) بحذف الياء ومثناها : اللذان
واللتان بتخفيف النون عند جمهور العرب ، وبعض العرب — تميم
وقيس — يشدد النون فى التثنية فيقولون : اللذان واللتان بتشديد
النون المكسورة *

ويرى الكوفيون أن تشديد النون يكون فى حالات الاعراب
الثلاث الرفع والنصب والجر ، لكن البصريين يرون جواز التشديد

(٨٥) شرح التصريح ٢/٢٢٥ والشذور ٨٠
(٨٦) الكتاب ٣/٢٧٨ وشرح التصريح ٢/٢٢٥
(٨٧) الكتاب ٣/٢٧٧ *

فى حالة الرفع وقد وردت بعض القراءات بتشديد النون فى أحوال
الاعراب كلها^(٨٨) ، ويعمل النحاة لجواز تشديد النون فى المثنى المذكر
بأنه للتعويض عن الياء المحذوفة فى المفرد : الذى والتى أو لتأكيد
الفرق بين صيغة المبنى والمعرب^(٨٩) وبلحرت بن كعب وبعض ربعة
تستعمل المثنى المذكور بحذف النون حالة الرفع مثل قول الفرزدق :

أبنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوكة وفنككا الأغلالا
وقول الأخطل :

هما اللتا لو ولدت تميم لقيىل غخر لهم عيم
ومته : هما اللتا أقصدنى سهماهما^(٩٠) .

وهذا الحذف لتقصير الموصول لطوله بالصلة لكونهما كالشئ
ألواحدا وأمن الالتباس بالمفرد ولهذا لا يجوز حذف النون من اسمى
الإشارة (ذان — تان) للالتباس بالمفرد ولعدم الطول^(٩١) ويرى
بعض الباحثين أن بلحرت قبيلة يمنية وأكثرهم بدو ، وربعة بعضها
حضرى والآخر بدوى وتلك الظاهرة تناسب البدو من ربعة^(٩٢) .

وهذا فى رأينا كلام جزافى فمرة يقول هذا الكاتب : قبائل
اليمن ومنهم بدو وهنا يقول . وأكثرهم بدو ، وربعة يجعل بعضها
بدوا وبعضها حضرا وكأن المسألة فى يده يصنع ما يشاء بالتبائن
فيصيرها بدوا أو حضرا اخضاعا لما يريد من التعليلات للهجات
وهذا لا دليل عليه .

(٨٨) الأشمونى ١٤٧/١ ، ١٤٨ وشرح التصريح ١٣٢/١ .
(٨٩) شرح التصريح ١٣٢/١ . (٩٠) اللسان ٣٤٣/٢ .
(٩١) شرح التصريح ١٣٢/١ وخزانة الادب ٥٠٣/٢ وشرح الفصل
١٥٤/٣ .
(٩٢) اللهجات العربية فى التراث ٦٦٢/٢ .

أما الاسم الموصول لجماعة الذكور (الذين) فيلزم الياء في جميع حالات الاعراب عند جمهور العرب وقد تحذف نون الجمع فيقال : (الذى) كما قال الأسيب بن بديلة :
وان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد .
ومنه ما أوردته ثعلب :

فان ظفر القوم الذى أنت غيهم فأبوا بفضل من سناء ومن غم^(٩٣)

وقيل : انها تحذف على لغة من يعرب الذين بالواو رفعا قال :
قومي الذو بعكاظ طيروا شررا من رأس قوهك ضربا بالمصاقيل^(٩٤)

ولكن كيف قصروا ذلك على المرفوع مع أن سبب الحذف كما يتحقق حال الرفع يتحقق حالى النصب والجر وصورة اللفظ واحدة فيها جميعا ؟

وبعض العرب كهذيل وعقيل يعربون (الذين) اعراب جمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجزا ، قال أحد شعراء بنى عقيل أو رؤبة :

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا^(٩٥)

وذكر بعض النحويين أن بعض العرب ومنهم هذيل يستعمل (اللآئون) اسما موصولا لجماعة الذكور بالواو حال الرفع وبالياء (اللآئين) حالى النصب والجر وعليها قول الشاعر الهذلي :
هم اللآئون فكوا الغل عنى بمر السابحات وهم خصاص^(٩٦)

(٩٣) مجالس ثعلب ٣٦٥/٢ .

(٩٤) شرح المفصل ١٥٦/٣ وخزانة الادب ١٤/٦ ، ١٧ .

(٩٥) الهمع ٨٣/١ والأشمونى ١٤٩/١ وشرح المفصل ١٤٤/٣ والمغنى

٤١٠/٢ وابن عقيل ١٤٤/١ .

(٩٦) المغنى ١١٠/٢ ، والهمع ٨٣/١ .

وهذا على غير المشهور من استعمال (انلاء) اسما موصولا
لجماعة الاناث .

اعراب المثني

المشهور أن المثني يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء عند جمهور
العرب ، فيقولون : جاء أخواك ورأيت أخويك ومررت بأخويك ،
وبعض العرب : بلحرت بن كعب ، وخثعم ، وكنانة وبلعنبر ،
ويطون من ربيعة ، وبكر بن وائل وزبيد وهمذان وعذرة^(٩٧) يلزمون
المثني الألف مطلقا — رفعا ونصبا وجرا — قال الشاعر :

ان أباه وأبا أباه قد بلغا في الجد غايتها
وقال الآخر :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنحرين أشبهها ظيانا
وفى رواية : أعرف منها الأنف .

وقال الآخر :

عاطرق اطراق الشجاع ولويرى مساعا لئاباه الشجاع لصما
وقال هوبر الحارث :

تترود منا بين أذنياه طعنبة دعتنه الى هابي التراب عقيم^(٩٨)

وقد ورد ذلك في بعض القراءات كما في قراءة : (ان هذان
لساحران) بتشديد النون في بعض قراءات السبعة كنافع وابن عامر
وحمزة والكسائي^(٩٩) وعليها قراءة : (فكان أبواه

(٩٧) الهمع ٤٠/١ ، وليس في كلام العرب ٣٢٤ والصاحبي ٢٩ .
(٩٨) الصاحبي ٢٩ ، وشرح الفصل ١٢٨/٣ ، ١٢٩ والأشموني
٧٩/٢ .
(٩٩) السبعة لابن مجاهد ٤١٩ .

مؤمنان) (١٠٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا وتران فى ليلة) (١٠١) وفى نوادر أبى زيد أن الياء الساكنة اذا انفتحت ما قبلها تقلب ألفا — فى المثنى وغيره — وعلى هذا جرى أصحاب هذه اللهجة فى المثنى فهم يقولون : أخذت الدرهمان بدلا من الدرهمين ، وفى عليها يقولون : علاها ، وفى السلام عليكم : السلام علاكم . لانفتاح ما قبل الياء الساكنة فتقلب ألفا وهذا عند بلحرت . ابن كعب (١٠٣) .

ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة اعراب المثنى بالألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك لانكماش الصوت المركب (Diphtong) أى ai فيحول الى كسرة طويلة سالمة كالذى نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتنا المصرية مثل ولدين (uala den) بدلا من (ولدين) ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة السالمة الى فتحة طويلة وهو شبيه بتحويل الاملالة فيما أصله ياء الى الألف عند الحجازيين ولهذا التحول نظائر فى عاميتنا مثل (فان) — عند بعض سكان مصر — المتطورة عن (فـين) والتي أصلها (فـين) اختصار (فـأين) كما أن له نظائر فى العربية القديمة مثل (عاب) و (باع) المتطورين عن (عيب) و (بيع) .

ويرى أن هذه اللهجة تمثل الطور الثالث لصوت اللين المركب وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثنى من لهجات مختلفة ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر وحالة الألف بالرفع (١٠٣) .

ونقول لهذا الكاتب : ان هذا التحول يمكن اذا كانت الألف لم

(١٠٠) البحر المحيط ١٥٥/٦ .

(١٠١) الترمذى ٢٩٣/١ . (١٠٢) النوادر ٥٨ .

(١٠٣) فى اللهجات العربية ١٤٣ ، ١٤٤ .

توجد فى اللهجات العربية الأخرى لكنها واقعة فى بعض جوانب
الاعراب وهو حالة النصب فلنسا بحاجة الى هذا التحليل الغريب
الذى لا دليل عليه •

وكذلك أخذ أوجه الاعراب من لهجات متعددة لا دليل عليه أيضا
وليس من عمل النحاة كما ادعى هذا الكاتب •

ما الحجازية والتميمية

ترد (ما) نافية وهى من الحروف غير المختصة التى تدخل
على الأفعال والأسماء ، والمعروف أن أصل العمل أن يكون للأفعال
لأن كل فعل لابد له من فاعل الا ما استعمل زائدا مثل (كان) أو
فى معنى الحرف مثل (قلما) أو تركب مع غيره مثل (حبذا)
وما يعمل من الأسماء فانما ذلك لشبهه بالفعل كاسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة بالخ •

والحروف نوعان : نوع مختص بما يدخل عليه ولم ينزل منزلة
الجزء منه فيعمل فيه •

ونوع لم يختص أو اختص ولكن تنزل منزلة الجزء منه فهذا
لا يعمل لأن جزء الشيء لا يعمل فى الشيء •

و (ما) حرف غير مختص ولها شبهان :

أحدهما عام : راعاه بنو تميم •

والثانى خاص : وهو شبهها بليس فى كونها للنفى وداخله على
المبتدأ والخبر وتخلص المحتمل للحال كما أن ليس كذلك ، وراعى
هذا الشبه أهل الحجاز فأعملوها عملها فرفعوا بها المبتدأ اسمالها
ونصبوا الخبر خبرالها^(١٠٤) •

(١٠٤) همع الهوامع ١/ ١٢٣ •

وقد أعملها الحجازيون — عمل ليس — بشروط :

١ — ألا ينتقص النفي بالـ «

٢ — ألا تتراد بعدها ان النافية فان زيدت بطل عملها مثل :

بنى غدانة ما ان أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزفـ

٣ — ألا يتقدم خبرها فان تقدم بطل عملها نحو ما قائم زيد خلافاً
للفراء وغيره الا اذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً •

وجاء على ذلك قوله تعالى : (ما هذا بشراً) (١٠٥) ، (ما هن
أمهاتهم) (١٠٦) وقرئ (أمهاتهم) — بالرفع على لغة تميم — واللغة
الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد الكتاب العزيز (١٠٧) كما تقدم •

زيادة الباء في خبرها :

وتزاد الباء في خبر (ما) عند الحجازيين قياساً على (ليس)
في الراجح من الآراء ، يقول ابن يعيش : « والأصل في زيادة
الباء في النفي مع ليس وحملت (ما) الحجازية على ليس اذ كان
خبرها منصوباً كخبر ليس » (١٠٨) •

وذهب قوم الى أن أصل دخول الباء انما هو مع (ما) لضرب
من التقابل وذلك أن القائل يقول : ان زيداً قام فيقول النافي لذلك
الخبر : ما زيد قائماً فيدخل (ما) بازاء (ان) فاذا قال : ان
زيداً لقائم قال النافي : ما زيد بقائم فتأتى الباء لتأكيد النفي كما
أتى باللام لتأكيد الايجاب فصار الحرفان بازاء الحرفين (١٠٩) ومن

-
- (١٠٥) سورة يوسف الآية ٣١
 - (١٠٦) سورة المجادلة الآية ٢
 - (١٠٧) شرح المفصل ١٠٨/١
 - (١٠٨) المصدر السابق ١١٥/٢ ، ١١٦
 - (١٠٩) المصدر السابق ١١٦/٢

أمثلة زيادة الباء في خبر (ما) قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين)^(١١٠)
ودخلت الباء لتأكيد النفي •

زيادة (من) مع اسمها :

وترداد (من) كذلك مع المبتدأ أو اسم (ما) في مثل قوله
تعالى : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير »^(١١١) (من ولي) (من) هي التي
للاستعراق اذا كانت تميمية •

وكذلك اذا كان « ولي » اسم (ما) فتزاد (من) لما ذكر ، من ذلك
قوله تعالى : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء »^(١١٢) •

فتوجه (من شيء) على ما تقدم ، فتكون (ما) تميمية أو حجازية
على جواز تقدم الخبر اذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً •

الوقف على تاء التانيث

اذا كان الاسم مفردا مختوما بتاء التانيث ففي الوقت عليه
طريقتان :

الأولى : الوقف بالهاء فتقول : فاطمة وطلحه •

الثانية : الوقف بالتاء عند طيبي^(١١٣) فيقولون : فاطمت ، طلحت
وهذه أمت في (أمة) وسمح بعضهم يقول : يا أهل سورة البقرة
فقال مجيب : ما أحفظ منها ولا آيت ، وعليها أنشد قطرب لراجز من
حمير أو أبي النجم :

• (١١٠) سورة البقرة ٨

• (١١١) سورة البقرة ١٠٧

• (١١٢) الأنعام ٦٩

• (١١٣) نسبت أيضا الى حمير وأهل اليمن

والله أنجأك يكفى مسلمات من بعدما وبعدهما وبعدمت
صارى نفوس القوم عند الغلصمت وكادت الحرة أن تدعى أمت (١١٤)

وقد وقف بعض القراء على بعض الكلمات بالتاء موافقة لرسم
المصحف فى مثل قوله تعالى : (أولئك) يرجون رحمت الله () وقوله
سبحانه (ان رحمت الله قريب من المحسنين) وقوله سبحانه :
(واذكروا نعمت الله عليكم) وقوله جل شأنه (ذكر رحمت ربك
عبده زكريا) ، وعلى هذا رسمت فى المصحف العثمانى بعض التاءات
المفتوحة وهى للتأنيث : قال سييويه : « وزعم أبو الخطاب الأخفش
أن ناسا من العرب يقولون فى الوقف : طلحت كما قالوا فى تاء
الجمع قولاً واحداً فى الوقف والوصل » (١١٥) وهى لغة فاشية (١١٦)
وهذا كله اجراء للوقف مجرى الوصل خوفاً من الخفاء لأن التاء
أظهر من الهاء .

هذا فيما اذا كان قبل التاء متحرك ، أما اذا كان ما قبلها ساكناً
صحيحاً مثل : بنت وأخت فالوقف عليها بالتاء فقط .

واذا كان ما قبل التاء ساكناً مثلاً — فى غير جمع المؤنث —
مثل الصلاة ، فالأرجح الوقف عليها بالهاء ، وقد يوقف عليها بالتاء
مثل الصلات .

أما جمع المؤنث السالم فيوقف عليه بالتاء مثل : البنات
والأخوات .

وقد أجرى بعض العرب الجمع مجرى المفرد شذوذاً ، فوقفوا
عليه بالهاء وهم قبيلة طيء (١١٧) يقول الشيخ خالد الأزهرى : ومن

(١١٤) شرح الفصل ٨٩/٥ والهمع ٢/٢٠٩ والأشمونى ٤/٢١٤
والتصريح ٢/٣٤٤ .

(١١٥) الكتاب ٤/١٦٧ . (١١٦) شرح الفصل ٨١/٥ .
(١١٧) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٧ .

الوقف بالابدال هاء قولهم : كيف البنون والبناء ، وكيف الاخوه والاخواء وقولهم : (دفن البناء من المكرمات) حكاه قطرب عن طييء بابدال تاء الجمع هاء فى الوقف ، تشبيها بتاء التأنيث الخالصة ، وقال ان المراجع فى تاء الجمع الوقف عليها بالتاء ، وانما كان الأرجح الوقف عليها بالتاء لأنهم لما أرادوا أن يكون فى جمع المؤنث السالم زيادتان لم يكفهم أن يزيّدوا الواو ولا الياء مع الألف لأنهم لو زادوها لانقلبتا همزة فزادوا التاء معه لأنها تصير بدلا من الواو كما فى ثخمة فصارت علامة التأنيث وأغنت عن أن يقال فى مسلمة : مسلمتات ، فلما أفادت هذه التاء الجمع والتأنيث وأغنت عن علامة التأنيث الملحقة بالواحد أثبتت فى الوقف ولم تبدل هاء وعاملوا ما ألحق بالجمع معانئته لأنهم لما أجروه مجراه فى الاعراب أجروه مجراه فى غيره (١١٨) .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن تاء التأنيث تنقلب هاء فى الوقف ويقول : « ان هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قاب صوت الى آخر ، بل هى حذف الآخر من الكلمة ، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو فى الواقع امتداد فى النفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل أو كما يسمى عند القدماء ألف المد ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى التاء المربوطة فليس يوقف عليها — كما ظن النحاة — بحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء .

ويؤيده بعضهم بأنه ليس لرأى القدماء ما يسنده من الناحية الصوتية فلا تقارب بين تاء التأنيث والهاء ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المختوم بالتاء .

(١١٨) شرح التصريح ٣٤٣/٢ والمنصل ٥/١٠ وقد وقف على بعض التاءات الأصلية بالهاء مثل التابوت واللات والعنكبوت وهيات ، نسب ذلك الى اليمين وطييء والانصار من الأزد اليمانية ممن هاجر قبل الاسلام وقرأ الكسائى والبزى : هيباه فى القرآن (المؤمنون ٢٦) والنشر ١٣١/٢ .

مطابقة المصدر بوصفه

المشهور أن المصدر لا يطابق الموصوف ، فيأتى بالافراد والتذكير
للوحد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فنقول : رجل عدل ، وامرأة
عدل ورجلان عدل وامرأتان عدل ورجال عدل ، ونساء عدل .

وهذا لأن الوصف بالمصدر من قبيل الوصف بالجنس ، فالمصادر
أجناس للمعاني^(١١٩) كما أن غيرها أجناس للأعيان كرجل وفرس .

فالتذكير والافراد أقوى فى اللغة ، وأعلى فى الصيغة ، قال
تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) وقال جل
ثنائؤه : (وان كنتم جنبا فاطهروا) .

وانما كان التذكير والافراد أقوى من قبل أنك لما وصفت
بالمصدر أردت المبالغة بذلك ، فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد
ذلك بترك التانيث والتثنية والجمع للمصدر ، ألا ترى أنك اذا انثت ،
أو ثنيت أو جمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقية التى لا معنى
للمبالغة فيها ، نحو قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات فكان ذلك يكون
نقضا للغرض أو كالتنقض له ، فلذلك قل حتى وقع الاعتذار لما جاء
منه مؤنثا أو مجموعا^(١٢٠) .

وذلك جرى على الأصل للمصادر من الافراد والتذكير^(١٢١) .

وقال الزجاج : يقال : رجل جنب ورجلان جنب وقوم جنب
وامرأة جنب كما يقول رجل رضا ، وقوم رضا ، وانما هو على تأويل
ذوو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه^(١٢٢) .

(١١٩) الخصائص ٢٦/٢ . (١٢٠) المصدر السابق ٢٠٧/٢ .

(١٢١) شرح التصريح ١١٣/٢ .

(١٢٢) معانى القرآن وأعرابه ١٦٩/٢ .

ويقول الأستاذ العقاد - عن الموصف بالمصدر - فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد في مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثير ، فإن (العدل) - مثلا - عدل واحد في صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيل : رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل ، لأن الأسماء هنا في حكم المضاف والمضاف اليه من جهة المعنى (١٢٣) .

فالوصف بالمصدر على معنى عادل وعادلة وذو عدل وذات عدل وذوا عدل وذواتا (١٢٤) عدل وذوو عدل وذوات عدل .

وبعض العرب يجيز تشنية المصدر وجمعه وتأنيثه ، وهذا قليل ، يقول الزجاج : من العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل ، وإذا جمع جنب قلت : في الرجال جنبون ، وفي النساء جنبات ، وللاثنتين جنبان (١٢٥) .

ويقول سيبويه : وأما فعل - بضم الفاء والعين - فهو في الصفات قليل ، وهو قولك : جنب - بضم الجيم والنون - فمن جمع من العرب قال أجنب ، كما قالوا : أبطال (١٢٦) .

(١٢٣) مجلة الأزهر . عدد رجب سنة ١٣٨١ هـ - ديسمبر ١٩٦١ م
من مقال بعنوان (الصفة في اللغة العربية) ص ٧٨٩ .

(١٢٤) كان القياس ان يقال ذاتا مثنى ذات بمعنى صاحبة ولكن عين الكلمة ردت وهي الواو فقلل ذواتا اتباعا لاسلوب القرآن الكريم في قوله تعالى (ذواتا أفنان) انظر النهر المسد من البحر على هامش البحر المحيط لأبي حيان ج ٨ ص ١٩٤ .

(١٢٥) انظر نص الزجاج السابق وشرح التصريح ١١٣/٢ .

(١٢٦) معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٢ .

ويقول الأزهري : وأما قول العرب رجل ضيف ، ورجال
أضياف وضيوف وضيغان وامرأة ضيفة فقليل (١٢٧) .

وجعل ذلك المبرد مخالفا الوجه الأقوى فقال : ليس بالوجه
رجلان جنبان وامرأة جنبية وقوم أجانب (١٢٨) .

وجاء في الحديث عن عائشة (كنت أغتسل أنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم من اناء واحد ونحن جنبان) (١٢٩) .

وجاء مثل ذلك في الشعر كما في قول الخنساء :

ابكى أخاك لأيتام أراملة

وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا (١٣٠)

ولكن اللهجة الأولى هي الأقوى والأفصح (١٣١) وقد جرى
القرآن على الأكثر الأفصح كما ذكرنا من قبل .

(١٢٧) الكتاب ٦٢٩/٣ .

(١٢٨) الكامل ١٥/٣ .

(١٢٩) صحيح مسلم ٢٥٦/١ .

(١٣٠) ديوانها .

لهجات يلفقها النحاة

قبل وبعد

لعلك تقرأ فى كتب النحو أن لقبل وبعد أربع حالات .

١ — حالة ذكر المضاف اليه مثل : قبلهم وبعدهم .
وتعربان حينئذ .

٢ — حالة حذف المضاف اليه ونية لفظه .

٣ — حالة قطعهما عن الاضافة لفظا ومعنى .

وفى هاتين الحالتين يعرب اللفظان .

٤ — حالة حذف المضاف اليه ونية المعنى وهذا يبنى اللفظان .

والحالات الثلاث الأخيرة — كما ترى — قسمها النجاة — فى حكمها النحوى — الى موقفين : موقف تعرب فيه قبل وبعد وموقف تبنيان فيه وهذه الحالات الثلاث ليست فى رأى إلا تصويرا لحالة واحدة ، وهى حالة حذف المضاف اليه فقط ويبدو لى — كذلك — أن هذه الحالة كان العرب يقفون حيالها مواقف مختلفة .

فبعض العرب يعربون اللفظين — حينئذ — ، وبعضهم يبنيهما ولا شئ غير ذلك .

وفى الحقيقة أن النحاة لفتوا طرائق التعرب فيها اعرابيا ، وبنائها وجعلوا منها قاعدة يجوز فيها الوجوه التى ذكروها .

ويبدو لك عدم جدوى هذه العلل النحوية من تصويرهم لحوال حذف المضاف اليه ، بأنه تارة يقصد اللفظ ، وتارة يقصد المعنى ، وتارة يحذف ، ولا يقصد .

ولا يبدو الفرق على وجه التحديد بين نية اللفظ ، ونية المعنى ،
فما الفرق بين أن أقصد تقدير لفظ معين وهو الغلب — مثلا — فى
قوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) وبين أن أقصد لفظا عاما
دون تصديد كالغلب أو النصر أو الفوز أو التفوق أو نحو ذلك ؟
ان هاتين الحالتين — فى نظر المتكلم والسامع — سواء لا فرق بينهما
فالمهم أن المضاف إليه ملحوظ بما يؤدى المعنى المراد •

ثم ان الحالة الثالثة التى ادعوا فيها أن المضاف قد حذف وقطعت
الكلمتان — قبل وبعد — عن الاضافة لا يبدو أنها كما تظهِر ،
فالملاحظ أن ذهن المتكلم أو السامع — فى تلك الحالة نفسها —
لا ينصرف عن المضاف اليه المقدر ، وتأمل معنى هذا البيت الذى
يدعون فيه أن لفظ (قبل) فيه قد قطع عن الاضافة :
قساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات
ألا ترى أن المعنى : وكنت قبل أخذ الثأر الذى يرمز الشاعر
اليه ، وقيل البيت فى مناسبه ، أو أن (قبلا) اذا لم يكن تقدير
المضاف اليها ذلك أو نحوه فماذا يكون المقصود قبل أى شيء ؟ اذ لا بد
من شيء محذوف مقدر لحظه المتكلم فى نفسه ، ويلحظه السامع
كذلك ، وان لم يذكر صراحة •

ويدل لذلك أيضا أن الآية الكريمة السابقة قرئت بالأوجه
الثلاثة فاذا لم يكن المقصود واحدا بالنسبة للمضاف اليه المقدر
فعلام تصح هذه الأوجه ؟ وفيما يبدو أنها أوجه لطرائق النطق
العربية التى أشرنا اليها •

ففى نظرى ان قول النحاة ان قبل وبعد تقطعان عن الاضافة
نهائيا قول غير مسلم ، وان الكلمتين واشباههما من الظروف البهيمه
كأسماء الجهات لا تكون الا فى حالتين :

٢ — اضافة مقدره

١ — اضافة ظاهرة •

وأنها فى حالة ظهور المضاف اليه معربة لا محالة *
وفى حالة تقدير المضاف اليه تختلف لهجات العرب فيها فمن
معرب لها ومن بان ولا شيء غير ذلك *

وتكون عملية نية المعنى ، ونية اللفظ والقطع عن الاضافة
لا تعدو أن تكون حديثا فلسفيا محضا لا داعى اليه عند تدريس مثل
هذه القواعد الراجعة الى اختلاف اللهجات *

لا النافية للجنس

يذكر النحاة فى باب (لا) النافية للجنس أن الصفة التى تتبع
اسم (لا) المبنى على الفتح مثل (لا رجل ظريف فى الدار) يجوز
فيها ثلاثة أوجه :

- ١ — البناء على الفتح ، بتركيب الصفة مع الموصوف تركيب
خمس عشرة ودخول (لا) عليهما بعد التركيب *
- ٢ — النصب ، باعتبار محل اسم (لا) لأنه فى محل نصب ،
لأنها — كما نعلم — تعمل عمل (ان) *
- ٣ — الرفع ، باعتبار محل (لا) مع اسمها ، لأنهما معا فى
موقع المبتدأ ، والمبتدأ — كما نعلم — يكون مرفوعا *

كما يذكر النحاة — أيضا — أن (لا) اذا كررت فى مثل :
(لا حول ولا قوة الا بالله) جاز فى الاسم الأول (حول) وجهان :
(البناء على الفتح والرفع) ، فاذا فتح الاسم الأول جاز فى الاسم
الثانى (قوة) ثلاثة أوجه :

- ١ — البناء على الفتح ، باعتبار (لا) الثانية عاملة عمل « ان »
- ٢ — النصب ، عطفا له على محل اسم (لا) الأولى و (لا)
الثانية مهملة *

٣ — الرفع عطفاً له على محل (لا) الأولى مع اسمها •

وإذا رفع الاسم الأول جاز فى الاسم الثانى وجهان :

١ — البناء على الفتح — كما سبق — •

٢ — الرفع عطفاً على الاسم الأول ، لأنّبه مبتدأ مرفوع^(١) •

ويلفت نظر الباحث هنا أن النحاة يجيزون كل هذه الوجوه ،
فهى فى رأيهم سائغة الاستعمال ، فيجوز استعمال هذا وذاك كما
يشاء المتكلم •

ولئن صح أن يحدث ذلك لنا فانه لم يكن يسوغ للعرب ، اذ ان
القبيلة العربية الواحدة ، أو قبائل العرب كلها لم تكن تنطق بهذا
وذاك كما يشاء لها الحديث ، ومجالاته ، والا كانت اللغة ضرباً من
الفوضى التى لا يوقف فيها عند حد ، والعربى حكيم يسير وفق طريقة
يرتئىها ولا يحيد عنها •

فالمعروف أن العربى كان يتمسك بلهجته ، فلا يتنازل عنها حتى
فى أخرج الأحوال ، لأن لسانه قد طبع عليها ، ونشأ منذ نعومة
أظفاره ، ويؤكد لنا ذلك القصص المروية عن الأعراب فى
عصر فصاحة اللغة ومن تلك الروايات ما حكاه ابن جنى فى
خصائصه من أن أبا حاتم — الراوية اللغوى المعروف — أقرأ
أعرابياً بالحرمة الآية الكريمة (طوبى لهم وحسن مآب) —
وكان الاعرابى هذا ممن ينطق كلمة (طوبى) بالياء بدل الواو
(طيبى) ، فقال له أبو حاتم : (طوبى) فنطق الاعرابى (طيبى) ،
فكرر أبو حاتم (طوبى) وأعاد الاعرابى (طيبى) حتى ضجر
أبو حاتم وتألّم فقال : (طوطو) ، فقال الاعرابى ، (طيطى)^(٢) •

(١) انظر شذور الذهب ط ١١ (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) ص ١٢١ —

١٢٤ •

(٢) انظر الخصائص ١/ ٣٨٤ •

ولئن كان فى تلك القصة ما يدل على تعنت الأعرابى وتشدده فى عدم مطاوعة أبى حاتم على ما يريد ، فإنه يدل دلالة قاطعة على أن العربى لم يكن يتنازل عن لهجته وعدم التنازل عن اللهجات لأنها أمر مركز فى طبع الانسان لا يزال حتى يومنا هذا ، اللهم الا بعد كثير من عناء التغيير والممارسة •

وأريد من ذلك أن أقول : ان جواز مثل هذه الأوجه المتعددة فى الأمثلة التى ذكرتها يدل على أن تلك الأوجه كان كل منها عند فريق من العرب وطائفة منهم ، ثم ان النحاة جمعوا الأمثلة التى تحمل هذه الظواهر الاعرابية المتعددة فى اطار واحد ، وقالوا لنا : يجوز هذا ويجوز ذاك •

ويمكن أن نجد لكلامنا دليلا واضحا فى ذكرهم بعض الشواهد لتحقيق هذه الظواهر الاعرابية ، فقد رووا لنا لكل وجه منها شاهدا من القرآن أو الشعر وهو بلا ريب يحمل وجهها واحدا فقط لا عدة أوجه مما يؤكد كلامنا فى أن هذه الأوجه ترجع الى اختلاف اللهجات • ويبدو ذكر اللهجات واضحا فيما كتب السابقون من النحاة فى هذا الباب كقول سيبويه (والدليل على أن لا رجل — بفتح اللام — فى موضع اسم مبتدأ وما من رجل — فى موضع اسم مبتدأ فى لغة يبنى تميم قول العرب من أهل الحجاز : لا رجل أفضل منك) (٣) •

ولذا فان تعليقات النحاة لبعض هذه الوجوه كان مجرد فلسنة عقلية محضة كتعليقهم لوجه رفع الصفة ورفع الاسم بعد (لا) الثانية — مع بناء الاسم الأول على الفتح — فانهم يعللون ذلك — كما ذكرنا — بالعطف على محل (لا) مع اسمها ، وهذا شئ لم يكن يعرف العربى عنه شيئا ، كذلك فان مسألة تركيب الاسم والصفة ، وبنائهما كما تركب خمسة عشر لم يكن فى ذهن العربى عند نطقه بتلك العبارة على هذه الصفة •

الفصل الثالث

الفك والادغام

الفك والادغام في الفعل الثلاثي المضعف

مضعف الثلاثي^(١) هو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد^(٢) .

ولهذا الفعل من حيث الفك والادغام أحوال :

فتارة يكون ترك الادغام بـ بابقاء كل حرف على حاله — وهو الفك — ملتزما عند العرب .

وأخرى يكون ادغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعا
الا ما خالف ذلك مما عد شاذا

وثالثة يختلف العرب في فكه وادغامه .

فيلتزم الفك في الماضي منه والمضارع والأمر حال الاسناد الى
ضمائر الرفع المتحركة .

فمن الصد والجذ تقول في الماضي صدت وصدت وصددت وصددتا
وجددنا ، وصددن وصددن وفي المضارع والأمر^(٣) يصددن ويجددن

(١) الفعل المضعف نوعان : ثلاثي وهو ما نتحدث عنه ، ورباعي وهو ما كانت فاءه ولامه الاولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند اسناده الى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين .
(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبر ومضعف اللام مثل أبيض واقتشهر واظمان واستعد واجتر واحمر وضار ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثي أما الاول فلا يحدث فيه تغيير عند الاسناد الى الضمائر أو الاسم الظاهر .
(٣) يسند اليهما — من الضمائر المتحركة — نون النسوة فحسب .

واصددن واجددن ، وقال تعالى : (وان يستعففن خير لهن) وقال عز حكمه : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) •

ويلتزم الادغام عند اسناد المضعف — بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر — الى ضمائر الرفع الساكنة كآلف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة^(٤) فتقول : فى الماضى — صدا وجدا وصدوا: وجدوا ، وفى المضارع المرفوع : يصدان ويجدان ويصدون ويجدون وتصدين وتجدين والمنصوب والمجزوم : لن أو لم يصدأ ويجدا ويصدوا ويجدوا وتصدى وتجدى وفى الأمر : صدا وجدا وصدوا وجدوا وصدى ، وجدى •

وكذلك يجب الادغام فى الماضى المضعف اذا أسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التأنيث فتقول : جد خالد وصد على ، ومحمد جد ، وجدت آلاء •

وكذلك يجب الادغام فى المضارع المضعف اذا اسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشب الطفل على ما عوده أبواه والطفل يشب على الجد ، ولن يشب الطفل أو الطفل لن يشب على غير الجد •

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الادغام تكون عند العرب جميعا •

وهناك حالات يجوز فيها الفك والادغام فى الفعل المضعف الثلاثى حسب اختلاف القبائل •

وذلك فى المضارع المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول : لم يصد على ولم يصدد ولم يجد أحمد ولم يجدد وعلى لم يجد ولم يجدد •

(٤) فى المضارع والأمر •

وكذلك فعل الأمر المسند الى ضمير الواحد — وهو المبنى على السكون مثل : كف واكفف وجد واجدد وصد واصدد وقد نسب الفك الى الحجازيين ، والادغام الى التميميين *

ففى شرح الشافعية : أهل الحجاز لا يدغمون فى المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تزد ، لأن شرط الادغام تحريك الثانى ، وبخو تميم وكثير من غيرهم لما رأوا أن هذا الاسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وان كانت الحركة عارضة فى نحو (اردد القوم) لم يعتقدوا بهذا الاسكان وجعلوا الثانى كالمحرك ، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالادغام^(٥) .

وقال الأزهري ان بنى تميم — أدغموا فى المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبنى على السكون اعتدادا بتحريك الساكن فى بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعتقدون بذلك^(٦) .

ويذكر السيوطى أن الفعل المضاعف ان سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغيرهم من العرب يدغم لعدم اعتدادهم بالعارض^(٧) .

وفى حالة الادغام — هنا — يفتح آخر الفعل — مضارعا كان أو أمرا — للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى ونمير — وكلها بطون من قيس — الكسر مطلقا على أصل التخلص من التقاء الساكنين *

(٦) شرح التصريح ٤٠١/٢ .

(٥) ٢٣٩/٢ .

(٧) همع الهوامع ٢٢٧/٢ .

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن ،
أما إذا وقع بعده ساكن فانهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر
فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه •

ونقل عن بعضهم اتباع آخر الفعل لأقرب الحركات اليه نحو
رد — بالضم — وعض — بالفتح — وفر — بالكسر — الا مع ضميرى
المذكر الغائب والمؤنثة المعائنة فيحرك بحركة الضمائر فيقال : عضه
— بالضم — وردها — بالفتح — والا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى
كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر
وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فعض الطرف ورد ابنك — بكسر
آخر الفعل وفتحه — •

يقول سيبويه : اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحرير
ما قبله ، فان كان مفتوحا فتحوه : وان كان مضموما ضموه وان كان
مكسورا كسروه ، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى^(٨) فان جاءت
الهاء والألف فتحوا أبدا ، وسألت الخليل لم ذاك ؟ فقال : لأن انهاء
خفية فكأنهم قالوا : ردا وأمدا وغلا — اذا قالوا : ردها وغلا
وأمدها — (كلها أفعال أمر) ، فان جئت بالألف واللام
وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان فى الأصل مجزوما ،
لأن الفعل اذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر ، وذلك قولك :
اضرب الرجل ، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته الى
أصله ، لأن أصله أن يكون مسكنا على لغة أهل الحجاز ، ومنهم من
يفتح اذا التقى ساكتان على كل حال الا فى الألف واللام والألف
الخفيفة ، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشبه ذلك ،
وفعلوا به اذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون
وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم ، وسمعناه ممن ترضى عرييته ،

(٨) بالضم فى الأول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الاتباع •

ومنهم من يدعه اذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا يجعله فى جميع الأشياء كآين ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون : غص الطرف انك من نمير^(٩) .

وقد جاءت آيات كثيرة بالادغام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى : (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار) — بالرفع — أى برفع الرء المشددة^(١٠) على الاخبار^(١١) .

وقرأ باقى السبعة (لا تضار) — بفتح الرء على الجزم جعلوه نهيا^(١٢) وقرأ الحسن بكسر الرء المشددة على النهى والجزم^(١٣) .

وروى عن ابن عباس (لا تضار) بفك الادغام وكسر الرء الأولى وسكون الثانية — مبنيا للمعلوم — وقرأ ابن مسعود — كذلك

(٩) الكتاب ٥٣٢/٣ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك فى الكامل للبرد ٣٣٩/١ ، ٤٣٠ والهمع ٢٢٧/٢ وانظر أيضا شرح التصريح ٥٠١/٢ ، والمصباح ٦٨٦ .

(١٠) هذا الفعل — فى هذه القراءة ونظائرها — من ضار — بتشديد الرء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢١٢/٢ ، ٢١٤ .

(١١) الكشف ٣٧٠/٢ ، ٣٧١ وهى خبرية لفظا انشائية — على النهى — معنى .

(١٢) سكنت الرء الأخيرة للجزم وسكنت الرء الأولى للادغام فالتقى ساكنان فحرك الآخر منهما بالفتح لموافقة الالف التى قبل الرء لتجانس الالف والفتحة .

(١٣) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الرء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم وأصله (تضار) بكسر الرء الأولى — أو مبنيا للمفعول وأصله (تضارر) بفتح الرء الأولى .

— بفك الادغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية — مبنيا للمجهول — وكلا القراءتين على الجزم والنهي^(١٤) .

والاظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والفك لغة تميم .

والفعل (يغر) فى قوله سبحانه : (فلا يغرك) تغلبهم فى البلاد (قرأ الجمهور بالفك — وهى لغة أهل الحجاز — وقرأ زيد ابن على وعبيد بن عمر (فلا يغرك) بالادغام مفتوح الراء وهى لغة تميم^(١٥) .

والفعل (يضر) فى قوله جل ثناؤه : (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)^(١٦) قرأ الكوفيون وابن عامر بالادغام ، وقرأ أبى : (لا يضركم) بفك الادغام ، وقرأ عاصم — فيما روى أبو زيد عن المفضل عنه — بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو ، لم يرد زيد ، والفتح هو الكثير المستعمل ، والفك لغة أهل الحجاز ، ولغة سائر العرب الادغام^(١٧) .

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى : (ان يمسسكم قرح

(١٤) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل — والدة ومولود — هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير : لا تضار والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضر ، ولا يضار مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع ايثارها ارضاعه وغير ذلك من وجوه الضر .

واذا كان مبنيا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدة الضرر من قبل الزوج وأن يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد .

(١٥) سورة غافر من الآية ٤ وانظر البحر ٤٤٩/٧ .

(١٦) آل عمران من الآية ١٢٠ واختلف أحركة الراء اعراب فهو مرفوع أم حركة اتباع لضمه الضاد ، وهو مجزوم ، فخرج الرئع على التقديم والتقدير : لا يضركم ان تصبروا ، ونسب هذا القول الى سيبويه ، وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع اضممار الفاء والتقدير : فليس يضركم . قاله الفراء والكسائى .

(١٧) البحر ٤٣/٣ .

فقد مس القوم قرح مثله (١٨) قرىء يمسم بالادغام - ويمسمم بالفك .

وجاء الفعل (يرتد) - مجزوما - بالفك والادغام فى قوله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) (١٩) .

وقوله سبحانه : (يأيتها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز ، والباقيون بواحدة مشددة وهى لغة تميم (٢٠) .

كما جاء الفعل (يشاق) - مجزوما - كذلك فجاء بالفك فى قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (٢١) .

كما جاء بالادغام والفك فى قوله تعالى : (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) (٢٢) قرأ الجمهور بالادغام وقرأ طلحة بالفك (٢٣) .

والفعل (يحب) فى قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) قرأ الجمهور (تحبون ويحبكم) من أحب ، وقرأ أبو رجاء العطاردي بفتح التاء والياء من حب - وهما لغتان ، وقرىء (يحبكم) بفتح الياء والادغام .

(١٨) سورة آل عمران الآية ١٤٠ ، والبحر ٦٢/٣ وانظر ص ٤٣ أيضا .

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١٧ ولم تقرا هنا بادغام المثليين . البحر ١٥٠/٢ .

(٢٠) سورة المائدة الآية ٥٤ ، وانظر الكتاب ٤١٧/٢ ، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٥١١/٣ ؛

(٢١) سورة النساء الآية ١١٥ والبحر ٣٥٠/٣ .

(٢٢) سورة الأنفال الآية ١٣ اجمعوا على فك المثليين اتباعا لخط المصحف . البحر ٤٧١/٤ .

(٢٣) سورة الحشر الآية ٤ والبحر ٤٤/٨ .

وأيضاً الفعل (يحل) فى قول المولى تبارك وتعالى : (ومن يحل عليه غضبى فقد هوى) *

والفعل (تمنن) فى قوله سبحانه (ولا تمنن تستكثر) قرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون (٢٤) *

ويستعف فى قوله سبحانه : (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) (٢٥) *

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما وقع فى حديث لأبى ذر (فلم أنقار أن قمت) بالادغام أى لم ألبث وأصله أنقارر فأدغمت الراء فى الراء (٢٦) *

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى : (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى) (٢٧) *

وقوله سبحانه : (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) (٢٨) الحجازيون يقولون : اغضض وأهـ نجد يقولون غض بالادغام *

وفى الحديث (اللهم اشدّد وطأتك على مضر) (٢٩) جاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لانسـان يصب : اصب فصب على رأسه) (٣٠) *

وفى حديث آخر (خذ يا جابر فصب على) (٣١) بالادغام *

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليه) (٣٢) بالفك ، وجاء

(٢٤) آل عمران الآية ٣١ ، وطه الآية ٨١ والمدثر الآية ٦ وانظر البحر ٤٣١/٢ ، ٢٦٣/٦ ، ٣٧١/٨ ، ٣٧٢ .

(٢٥) النور الآية ٣٣ وانظر : النهر الماد على البحر ٤٥٠/٦ .

(٢٦) النهاية ٣٨/٤ .

(٢٧) سورة طه الآية ٣٧ وانظر البحر ٢٣٩/٦ ، ٢٤٠ .

(٢٨) سورة لقمان الآية ١٩ ولم يقرأ هنا بادغام المثين .

(٢٩) صحيح مسلم ٤٦٧/١ . (٣٠) المصدر السابق ٣٠٦/٤ .

(٣١) المصدر السابق ٣٠٨/٤ .

(٣٢) المصدر السابق ٤٢٣/٣ .

بالادغام في قوله (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له) (٣٣) *

ومما ورد في الشعر قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويقول المبرد : أهل الحجاز على القياس الأصلي : اردد واغضض

وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين (٣٤) *

فأهل الحجاز لا يدغمون لثلا يؤدي الادغام الى التقاء الساكنين

اذ يحتاج الى تسكين الأول والثاني ساكن فيلتقى ساكنان نحو : ان

تردد أردد واشدد وغيرهم يدغم حملا للمجزوم على غيره مثل

يفر وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف

آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز (٣٥) *

هذا هو المشهور عند العرب *

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالادغام في الماضي

والمضارع والأمر المسندة الى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون : ردت —

بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب — وردن — بالاسناد الى نون

النسوة — في الماضي — ويردن وردن — باسناد المضارع والأمر الى

نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بان يقال : رددت بضم التاء

للمتكلم وفتحها للمخاطب — ورددن ويرددن وارددن (كأنهم قدروا

وجود الادغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه) (٣٦) وكأن اتصال الضمير

أمر عارض (٣٧) *

وعليه في الحديث (رأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيفا)

الرواية بالفك وعند السمرقندي هزت سيفا بزاي مشددة (٣٨) *

(٣٣) المصدر السابق ٧٧٩/٤ *

(٣٤) اللسان (غض) والبحر ٤٤٣/٢ والكمال للمبرد ٣٤٠/١ *

(٣٥) المتع ٦٥٦/٢ ، ٦٥٧ ، (٣٦) المتع ٦٦٠/٢ *

(٣٧) شرح الشافعية ٢٤٦/٢ *

(٣٨) شرح مسلم للنووي ٣٢/١٥ *

وفى حديث أحد (حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل) أى يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك — على الأصل ، وجاءت فيه رواية أخرى هى (يستدن) — بالسين المهملة والنون — أى : يصعدن فيه •

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم وأبى جعفر وشيبة ونافع — فى بعض الروايات عنهم — فى قوله تعالى : (أفعيينا بالخلق الأول)^(٣٩) قرأوها بتشديد الياء من غير اشباع فى الثانية ، ووجهها ابن خالويه فى الشواذ بأنها من ادغام ألياء فى الياء فى الماضى عيى وهى مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به ، فلما ادغم ألحقه ضمير المتكلم المحظم نفسه ولم يفك الادغام^(٤٠) •

وعليه ما جاء فى الحديث (حتى اذا رأينا جدر المدينة هشنا إليها) كذا الراوية عند السجزي وعند أبى بحر : هشنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الادغام ولغة بعض العرب فى نقل الحركة ثم ادغامها^(٤١) •

وهذا الادغام مخالف للمعهود فى اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح^(٤٢) وقيل انه شاذ قليل^(٤٣) أو تركيب قبيح فى العربية^(٤٤) وذلك لأن الادغام انما جاز فى المضعف لسكون الأول وتحرك الثانى وعند الاسناد انى ضمير الرفع المتحرك يلزم النك لأن ما قبل الضمير المتحرك ييسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الادغام •

(٣٩) الآية ١٥ من سورة ق ، قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضى (عيى) كرضى أسنده الى ضمير المتكلمين •
 (٤٠) انظر : البحر ١٢٢/٨ ، ١٢٣ •
 (٤١) صحيح مسلم ١٠٤٧/٢ •
 (٤٢) النووى فى شرح مسلم ٣٢/١٥ •
 (٤٣) شرح الشافعية للرضى ٢٤٥/٣ •
 (٤٤) اللسان ٢٢٠/٤ •

ونسب الادغام هنا الى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة (٤٥) كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى : اعلم أنه اذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فان بنى تميم وافقوا فيه الحجازيين فى فك الادغام للزوم سكون الثانى ، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردت نظرا الى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكين ، قال السيرافى : هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد (٤٦) .

كما جاء الفك فى الماضى المسند الى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى :

فما لعينيك ان قلت اكفاهمتا وما لقلبك ان قلت استفق يهم

كما جاء الفك فى الفعل الماضى المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبا الى هذه القبيلة السابقة أيضا .

ومن ذلك الحديث (فازحفت عليه بالطريق فعبى بشأنها) (٤٧) الرواية بكسر الياء الأولى من العى والعجز ، وفى رواية بعضهم فعى بتشديد الياء وادغام الأولى فيها على اللغة السابقة .

وفى كتب اللغة : عى بأمره وعبى والادغام أكثر نقله الأزهري وذلك عند بعض العرب (٤٨) يقال : عى من باب تعب وقد يدغم الماضى فيقال عى (٤٩) .

(٤٥) شرح التصريح ٤٠٣/٢ والاشموني ٣٥١/٤ ، ٣٥٢ والمتح لابن عصفور ٦٦٠/٢ ، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٥٣٥/٣ والبحر عند الحديث عن الآية أفعبينا الخ .

(٤٦) شرح الشافية ٢٤٦/٢ . (٤٧) صحيح مسلم ٩٦٢/٢ .

(٤٨) اللسان والصاح والقاموس (عى) .

(٤٩) المصباح ٤٤١ .

صيغة افتعل

يجرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الادغام ، فقد أراد العرب التخفيف حين تتجاوز ثاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالذال والذال والزاي لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتي .

فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة ، والذال والزاي مع جهرهما رخوان فنقلب ثاء الافتعال دالا فتقول في افتعل من دان : ادان ومن ذكر اذكر ومذكر ومن زان ازدان ومن زجر ازدجر .

وبعض العرب — في غير التماثلين كالذال والزاي — يزيد من قوة التماثل فيحول الدال صوتاً من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر : اذكر ومذكر ومن زان : ازان ، ومن زجر : ازجر .

وبعضهم يقلب فاء الافتعال اذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول : اذكر ، ومذكر ومنه قوله تعالى : (وادكر بعد أمة) وقرأ بعضهم (واذكر) بالذال^(٥٠) ، وعلى ذلك جاء في الحديث (وعليه جملة فاذرع منها يده) أى أخرجه ، هكذا رواه الهروي وغيره واذرع افتعل من ذرع بمعنى مد ذراعيه ويجوز اذرع أيضا^(٥١) .

وقوله تعالى : (وما تدخرون في بيوتكم)^(٥٢) وفي حديث أصحاب المائدة (امروا ألا يدخروا فادخروا) أصل الادخار : ادتخار افتعال من الذخر يقال ذخر وادتخر فقلبت

(٥٠) سورة يوسف الآية : ٤٥ .

(٥١) النهاية ١٥٨/٢ (ذرع) وسر الصناعة ٢٠٢/١ ، ٢٠٤ .

(٥٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ .

التاء الى ما يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب الذال في الجهر فقليل اذخُر ، وفيها طريقتان أخريان :

أحدهما : قلب الذال المعجمة دالا وادغامها فيها فتصير دالا مشددة ادخُر — وهذا هو الأكثر *

والثانية : قلب الدال المهملة الى ذال وادغامها فيها فتصير ادخُر وهذا هو الأقل (٥٣) *

وأراد العربي التخفيف — أيضا — حين تكون فاء الافتعال من أصوات الاطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء) ، لأن تاء الافتعال مستقلة ، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا في النطق بها متجاوزة مع التاء بعدها ، فيحول العربي التاء الى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء والاطباق وهو الطاء لينتقل اللسان من صوت مطبق الى نظير مطبق أيضا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول : من صبر : اصطبر ومصطبر *

ومن ضجع : اضطجع ومضطجع
ومن طلع : اطلع ومطلع
ومن ظعن : اظطن ومظطن

وقد قرب العربي التاء المستقلة من الفاء المستعلية المطبقة ولم يدغم ، أما مع الطاء فيجب الادغام لاجتماع المثليين والأول منها ساكن *

وأحيانا يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبذلة من تاء الافتعال الى جنس الصوت الذي هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول : في اصطبر : أصبر ، وفي مصطبر : مصبر *

قال تعالى : (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) (٥٤)
قرأ الجحدري : (أن يصلحا) بتشديد الصاد ، ويقول فى اضطجع :
اضجع ، وفى اظطعن اظعن بتشديد الفاء •

وأحيانا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعال من جنس
الطاء التى حلت مكان التاء فيقول : فى اضطجع : اطحج ، وفى
اضطره : أطره قال تعالى : (قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره
الى عذاب النار وبئس المصير) (٥٥) ، قرأ ابن محيصن : أطره بتشديد
الطاء •

وكان أصل (يصلحا) هو يستلحا لأنه يفتعل من صلح فقلبت
تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام فى أصوات اللفظ لأن
التاء صوت مستقل والصاد مستعل فحولت التاء الى صوت مستعل
مناسب وهو الطاء فصار اللفظ (يصطلحا) وهذا نوع من تقريب
الصوت دون ادغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع
أصول الثنايا العليا الى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف
الثنايا السفلى لتتفق معها فى الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ
يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه الآن
(يصلحا) ، وعلى هذا النمط تفسر اصبر ، أما قراءة (أطره) فقد
كان أصل اللفظ أضطره ثم لاستقلال التاء واستعلاء الصاد قلبت التاء
طاء لتتناسب الصاد فصارت أضطره ثم ان الصاد انتقلت الى رخاوة
الطاء فقلبت صوتا مماثلاً ثم ادغمت فيهما ، ويعتبر ابن جنى هذه
لغة مرذولة أعنى ادغام الصاد فى الطاء وذلك لما فيها من الامتداد
والفشو فانها من الحروف الخمسة التى يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم
هى فيما يجاورها وهى : (ش — ض — ر — ف — م) ويجمعها

(٥٤) النساء الآية ١٢٨ •

(٥٥) البقرة الآية ١٢٦ •

(ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها في قولهم
(مشفر)^(٥٦) .

وهذه الحروف يدغم بعضها في بعض ويحول بعضها الى
بعض لقرب المخارج فأصوات الاطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال
والزاي كلين من الثنايا وطرف اللسان^(٥٧) فكلين من حيز واحد .

أما اذا بنيت (افتعل) من واوى الفاء أو يائيها فالعرب
يختلفون ، فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحركات التي قد تقلب
الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واوا أو ألفا ففي افتعل من (ورث)
يقولون : ايثرث ، ياترث ، موثرث ومن ينغ : ايتنغ ، ياتنغ ، موتنغ
وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها في تاء الافتعال
حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق : اترث
يترث فهو مترث ، واتنغ يتنغ فهو متنغ .

تفاعل وتفعّل

تأتى كل من الصيغتين باظهار التاء دون ادغامها فيما بعدها
واذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التي تخرج من أصول الثنايا
العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت — ظ ذ ث — ص —
س — ز) أو من حروف وسط اللسان (ج ش) اختلفت قبائل
العرب .

فبعضهم يظهر التاء فيها دون ادغام لها في الفاء بعدها
وبعضهم يدغم .

فمن الاظهار في صيغة تفاعل قوله تعالى : (لولا أن تداركه
نعمة من ربه)^(٥٨) ومن الادغام قوله عز حكمه (واذا قتلتم أنفسا

(٥٦) المحتسب ١/١٠٦ .

(٥٧) الكتاب ٤/٤٦٢ — ٤٦٤ .

(٥٨) سورة القلم من الآية ٤٩ .

فادركتم فيها) (٥٩) وقوله تعالى : (بل ادرك علمهم في الآخرة) (٦٠)
وقوله (أثقلتكم إلى الأرض) (٦١) .

ومما جاء بعدة أوجه قوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا) (٦٢)
قرىء يتشابه بالياء والتاء دون ادغام وقرىء (يشابه) بالادغام (٦٣) .

وقوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) (٦٤) قرىء : تظاهرون بحذف
أحدى التائين وبادغام التاء الثانية في الظاء (٦٥) .

ومن الاظهار في صيغة تفعل قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) (٦٦)
وقوله (افلا يتدبرون القرآن أم على القلوب أقفالها) (٦٧) وقوله
سبحانه : (يوم يتذكر الانسان ما سعى) (٦٨) .

ومن الادغام قوله عز حكمه : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها
وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها) (٦٩) فأصل ازينت : تزينت
فادغم ، وقرىء على الأصل (٧٠) وقوله تعالى : (لا يسمعون إلى الملا
الأعلى) (٧١) أصله يتسمعون ، والبيان عربى حسن لاختلاف
المخرجين (٧٢) .

وقوله جل ثناؤه : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام

-
- (٥٩) سورة البقرة من الآية ٧٢ . (٦٠) سورة النمل من الآية ١٨
(٦١) سورة التوبة من الآية ٣٨ . (٦٢) سورة البقرة من الآية ٧٠ .
(٦٣) تفسير أبى السعود ١١٢/١ (٦٤) سورة الأحزاب الآية ٤ .
(٦٥) تفسير أبى السعود ٩٠/٧ . (٦٦) سورة النجم الآية ٨ .
(٦٧) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) الآية ٢٤ .
(٦٨) سورة النازعات الآية ٣٥ . (٦٩) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٧٠) الانحاف ١٠٨/٢ . (٧١) سورة الصفات الآية ٨ .
(٧٢) الكتاب ٤٦٣/٤ .

ومن يرد أن يخله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء (٧٣) .

أصل يصعد ، يتصعد ، وقرئ يصاعد وأصله يتصاعد (٧٤) .

وقوله سبحانه : (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) (٧٥) أصله : يتصدعون على معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار .

وفى حديث الزكاة : (لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا تيس الا أن يشاء المصدق) (٧٦) — بضم الميم وتشديد الصاد والdal معا مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله : المتصدق فادغمت التاء فى الصاد .

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلى كبير حتى لا تختلط ، ولا تشوه صورها ، وهذا خاص بالبيئة المدنية التى تتسم بتلك السمات ، أما غموض الأصوات ودخول بعضها فى بعض فانه ناجم عن السرعة فى اخراجها ، وعدم التأنى فيها ، وذلك هو اتجاه قبائل البادية .

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل الى التخفيف ، والسرعة فى الكلام كتميم وأسد وغنى وعبد

(٧٣) سورة الأنعام من الآية ١٢٥ .

(٧٤) تفسير أبى السعود ١٨٣/٣ .

(٧٥) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٧٦) النهاية ١٥/٣ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ فى الصدقة الا اذا كان المال كله كذلك عند بعضهم ، وقد نهى عن أخذ التيس فى الصدقة لأنه مضر برب المال الا أن يسمح به .

القيس ، وبكر بن وائل وكعب ونمير^(٧٧) .

كما ينسب الاظهار الى بيئة الحجاز المتحضرة وهي تمثل الثأني
فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه^(٧٨) وقد نسب سيبويه هذه
الظاهرة الى قبائلها فى مواطن من كتابه .

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حال ،
بل ان بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الادغام ،
فتميل اليه كهذيل ، فهي قبيلة مدنية ، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم
هى ألف المقصور بعد قلبها ياء وقد تقدم شرح ذلك^(٧٩) .
وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين (المماثلة

assimilation وتدرس أحيانا تحت اسم التضعيف doubling

وهي تخضع لنظرية السهولة ، وكأن الادغام ظاهرة حادثة ،
والفك هو الأصل قبل التطور .

(٧٧) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ١٣٣ .

(٧٨) فى اللهجات العربية د. أنيس ٥٦ .

(٧٩) انظر ص ٣١٩ من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيادة

٢٢٢

حذف نون من

تحذف بعض قبائل زبيد وبنى خثعم من اليمين نون (من) الجارة اذا وقع بعدها حرف ساكن ، ونسب بعضهم ذلك الى هذيل . وبعضهم نسبه الى تميم^(١) .

قال الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألكة غير الذى قد يقال م الكذب .
وقال الآخر :

لقد ظفر الزوار أقفية العدا بما جاوز الآمال م الأسر والمقتل .
وقال أبو صخر :

كأنما ماكن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر^(٢)

واختلفت آراء الباحثين القدامى فى ذلك فىرى ابن عصفور : أن حذف نون (من) من باب الضرورة ويرى ابن مالك أنه قليل ، وقال أبو حيان : انه كثير ويجوز فى سعة الكلام وطالما بنى النحويون الأحكام على بيت واحد أو بيتين فكيف جواز حذف نون (من) فى هذه الحالة وقد جاءنا منه مالا يخفى كثرة ويمكن تتبع ذلك فى دواوين العرب^(٣) وكلام أبى حيان يمكن أخذه على اعتبار أنه يميل الى رأى الكوفيين .

(١) الشعر والشعراء تحقيق احمد شاکر ١/٤١٣ .

(٢) الخصائص ١/٣١٠ .

(٣) شرح التصريح ٢/٢٦ والهمع ٢/٢٠٠ .

أما البصريون الذين لا يقننون للظاهرة الا مع كثرة الشواهد
حقّعون ذلك قليلا أو من الضرورات *

حذف ألف (على) الجارة ولامها

تحذف بلحرت بن كعب الألف من (على) الجارة وتحذف معها
لامها اذا تلاها اسم معرفة. بآل قال الشاعر :

شما سبق القيسى من سوء سيرة ولكن طغت علماء غرة خالد

وروي الشطر الأول (وما غلب القيسى من ضعف قوة) *

وقال آخر :

عداة طغت علماء بكر بن وائل وهاجت صدور الخيل شطر تميم^(٤)

فأصل علماء على الماء * حذفت همزة الوصل من (الماء)
لأنها تسقط في الدرج وحذفت ألف (على) لالتقاء ساكنة مع لام
المعرفة الساكنة ثم حذفت لام على كراهة اجتماع المثلين *
ونظير ذلك حذف النون من بنى الحارث وبنى العجلان حين قالوا :
بلحارث وبلعجلان لأن النون قد اجتمعت مع اللام وهي مقاربة لها
فالأن يحذفوا اللام مع أختها بطريق الأولى^(٥) *

الخلخانية

هي اللفظة في الكلام والعجمة ، ويقال رجل لخلخاني وامرأة
لخلخانية اذا كانا لا يفصحان *

وقيل انها منسوبة الى لخلخان وهي قبيلة وقيل هي موضع^(٦) *
. وورد في حديث معاوية : أى الناس أفصح ؟ فقال رجل : قوم ارتفعوا

(٤) شرح المفصل ١٥٥/١٠ ، وشرح الشافية ٤٩٨/٤ .

(٥) شرح المفصل ١٥٥/١٠ .

(٦) اللسان ٤٠٨/٥ ، وخزانة الأدب ٥٩٦/٤٠ ، النهاية في غريب

الحديث والآخر ٢٤٤/٤ .

عن لخلخانية العراق^(٧) والخلخانية تعرض فى لغات أعراب الشجر
وعمان كتولهم : مثا الله كان — يريدون : ما شاء الله كان^(٨) ، وهم
بذلك يحذفون بعض الحروف اللينة^(٩) .

وسبب هذا الحذف ان بعض الناطقين يميلون الى تقصير
الحركات تقليلا للجهد العضلى وفى العربية الفصحى المنطوقة الآن
تقصير للحركات على لسان الناطقين فلا نجد الآن ناطقا ينطق حروف
المد على طبيعتها كما حددها علماء التجويد .

وفى العلاميات — اعترافا كثير من التغيير لما ذكر العلماء من
شيوعها فى اللغات وما يعتريها من البلى الصوتى .

وربما انتشر ذلك أول الأمر فى البدو فعرفت اللخلخانية عند
الأعراب وقد نسبت الى الفرات أو العراق أو الشحر وعمان^(١٠) .

القطعة

هى قطع اللفظ قبل تمامه مثل : يا أبا الحكم تقول طييء :
يا أبا الحكا فتقطع كلامها^(١١) وقد ورد مثل ذلك من قطع نهاية
الكلمات فى غير لهجة طييء مثل قول عبيد بن الأبرص :

ليس حى على المنون بخال
يقصد بخالد .

(٧) اللسان ٢٠/٤ .

(٨) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ، والمزهر — نقلا عنه ٢٢٣/١ .

(٩) تاريخ آداب العرب ١٤٣/١ .

(١٠) البيان والتبيين ٢/٢١٢ وفقه اللغة للثعالبي ١٠٧ وتاج العروس

٢٧٧/٢ .

(١١) يقول الخليل فى العين (قطع) : القطعة فى طييء كالعنفة

فى تميم ١٥٦/١ ونقله الأزهرى فى التهذيب ١٩٦/١ .

وقول ليبيد بن ربيعة :

درس المنا بمتالع فأبان (١٢)

• يريد المنازل ولم يسما يريدون لم يسمع (١٣)

ولعل ما جعله بعض النحاة من ترخيم المنادى يدخل في هذا النوع من اللهجات كما ورد عن ابن أحرر من قوله :

وعمار وآونة أثالا

• يريد : أثالة (١٤)

وقول جرير : (١٥)

ألا أضحت حبالك رماما وأضحت منك شاسعة أماما

• يريد : أمامة

وبعض أمثلة القطعة تنظر فيها اطة الحرف الأخير بعد

الحذف خلافا لما يحدث في الترخيم •

والقطعة وان كانت حذفاً لأواخر الكلمات فإنها تختلف عما يسمى في علم النحو (الترخيم) اذ لترخيم شروطه لأنه حكم خاص بالنداء فيكون في آخر الاسم المنادى ويكون بحذف حرف أو حرفين مثل فاطم في فاطمة ومثل يا سلم يا منص يا مسك في سلمان ومنصور ومسكين (١٦) •

ولكن الحذف هنا في القطعة ليس خاصاً بالأسماء بل يمكن أن

يدخل الاسم والفعل كما يمكن أن يكون حذفاً لحرف أو أكثر دون شروط •

(١٢) الخصائص ١/١٨١ واللسان : ابن •

(١٣) مميزات لغات العرب ٣١ • (١٤) الكتاب ٢/٢٧٠ •

(١٥) وجرير من قبيلة تميم • انظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ •

(١٦) الكتاب ٢/٢٣٩ — ٢٧٤ •

وإذا كان قطع الكلمات هنا ورد فى بعض الأبيات الشعرية فإن بعض العلماء كسينيويه يعد ذلك من الترخيم فى غير النداء للضرورة لكن يمكن أيضا أن يكون منسوبا إلى اللهجات التى كانت تقطع أواخر الكلمات ويؤكد ذلك أن كلا الشاعرين : عبيد بن الأبرص الذى ينتسب إلى قبيلة أسد وليبد الذى ينتمى إلى بنى عامر من قبيلتين كانتا تعيشان على مقربة من ديار طيء ويمتد ذلك إلى اليمن ولذا نسبت هذه الظاهرة إلى أهل اليمن ويمكن أن يمتد ذلك إلى غيرهم متأثرا بهم *

والأصل فى نطق الكلمات أن تتم فيه الحروف كاملة بذا للمجهود العضلى المطلوب ولكن بعض الناطقين يختصر نطق الكلمات جريا على قانون السهولة الذى شاع فى البدو والحضر على سواء وان خص بعضهم بالبدو *

وبعض المحدثين يرجع حذف أواخر الكلمات إلى الأخطاء السمعية التى تنجم عن ضعف بعض الأصوات وقد ينشأ عن ذلك سقوطها من الكلام الصوتى على مر الأجيال عند انتقال اللغة من جيل إلى آخر *

فعل — أفعال

المعروف أن حروف الزيادة التى تدخل الأفعال يكون لكل منها زيادة فى المعنى وفقا للقاعدة التى تقول : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى •

فكل حرف يزداد على الصيغة الفعلية تقابلها زيادة فى المعنى وهذا واضح فى الأفعال التى تعترتها هذه الزيادة •

ولكن قد تجيء عدة صيغ فيها بعض حروف الزيادة مع اتحاد المعنى وهذا قد يرجع الى اختلاف اللهجات •

من ذلك : فعلت وأفعلت التى ألف فيها بعض العلماء كتباً كالزجاج فى كتابه (فعلت وأفعلت) أحيانا مع اتفاق المعنى وأخرى مع اختلافها وكذلك لابن دريد كتاب فى هاتين الصيغتين على ما يقال •

فقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد الا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل فيجىء به قوم على فعلت ، ويلحق قوم فيه الألف فيبينونه على أفعلت^(١٧) •

ويقول ابن درستويه : لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد الا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد^(١٨) •

وذكر ذلك ابن جنى فى خصائصه (باب فى الفصحى يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا)^(١٩) مثل سقى وأسقى فى قول الشاعر :
سقى قومي بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

(١٧) الكتاب ٦١/٤ . (١٨) الزهر ١/٣٨٤ .

(١٩) الخصائص ١/٣٧٠ والحجة لابن خالويه ٢٠١٢ .

ووفى وأوفى فى قول آخر :

أما ابن طوق فقد أوفى بزمته كما وفى بقلاص النجم حاديها
وفى القرآن الكريم : ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ (٢٠)
﴿ لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ (٢١) ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله ﴾ (٢٢)
﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ قرىء وفى بالتخفيف ثلاثيا عند ابن
محيسن (٢٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ (٢٤)
قرىء ﴿ لا يحزنك ﴾ من أفعال (٢٥) . وقوله تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع
الأكبر ﴾ (٢٦) قرىء ﴿ لا يحزنهم ﴾ من أفعال . وقوله سبحانه :
﴿ لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب ﴾ (٢٧) بضم الياء قرأ
حفص وحزمة والكسائى . لغة نجد وتميم ، وبفتح الياء قرأ الباكون
لغة الحجاز (٢٨) .

وفى الحديث : « الوليمة فى الاعذار حق » الاعذار : الختان ،
ورد عذرتة وأعذرتة ، ويقال للطعام الذى يعد فى الختان اعذار (٢٩) ،
وفى حديث عمر (أطردنا المعترفين) أى المقربين على أنفسهم بما
يوجب الحد عليهم ، وقد ورد : أطرده السلطان وطرده ، أى : أخرجه
من بلده وأبعده (٣٠) ، وفى حديث خديجة : (انك لتصل الرحم وتكسب
المعدوم) يقال : كسب وأكسب فلانا مالا . أى : أعانه على كسبه

-
- (٢٠) سورة الانسان الآية ٢١ (٢١) سورة الجن الآية ١٦ .
(٢٢) سورة الفتح الآية ١ .
(٢٣) سورة النجم الآية ٣٧ ، والاتحاف ٤٠٣ .
(٢٤) سورة آل عمران الآية ١٧٦ .
(٢٥) الاتحاف ١٨٢ (قراءة نافع) .
(٢٦) سورة الانبياء الآية ١٠٣ والجمهور يحزنهم — من حزن —
وهى لغة قريش .
(٢٧) سورة طه الآية ٦١ .
(٢٨) الاتحاف ٣٠٤ .
(٢٩) النهاية ١٩٦/٣ .
(٣٠) المصدر السابق ١٧/٣ .

وجعله يكسبه^(٣١) ، وحديث الايمان : (أدناها اماطة الأذى عن الطريق) أى : تتجيته ، يقال مطت الشيء وأمطته وقيل : مطت أنا وأمطت غيرى ، وماط وأماط بمعنى واحد^(٣٢) .

وقد جمع الرسول الكريم بين فعل وأفعل فى قوله : « يرد من صدقة الجانف فى مرضه ما يرد من وصية المجنف عند موته » يرد بضم الياء وتشديد الدال المضمومة ، ويقال : جنف وأجنف اذا مال وجار ، فجمع بين اللغتين ، وقيل : الجانف يختص بالوصية ، والمجنف المائل عن الحق^(٣٣) .

ويقال : بشرت الرجل بخير وأبشرته^(٣٤) . وجنه الله وأجنه^(٣٥) ، وألاته عن وجهه^(٣٦) بمعنى حبسه وصرفه عند تميم ، ويقال : لاته بمعناه عند الحجاز^(٣٧) .

وقال ابن منظور : (فعل وفعل كثيرا ما يتعاقبان على المعنى الواحد نحو : جد فى الأمر وأجد . وصددته عن كذا وأصددته ، وقصر عن الشيء وأقصر ، وسحقه الله وأسحقه ونحو ذلك^(٣٨) .

ولابن دريد باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة والأصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت^(٣٩) .

وقد ألف كتاب فعلت وأفعلت ومنها ما اتفق معناه وجمع منها أحد الباحثين ستة ومائتى فعل^(٤٠) .

(٣١) المصدر السابق ١٧١/٤ .

(٣٢) المصدر السابق ٢٢٢/٤ والصحاح (ماط) .

(٣٣) النهاية ٣٠٧/١ ومختار الصحاح ١١٣ .

(٣٤) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج ص ١٣٠ .

(٣٥) المصدر السابق ١٣٥ .

(٣٦) المزهر ٢٧٦/٢ والقاموس ١٦٣/١ .

(٣٧) الانتحاف ٣٩٨ .

(٣٨) اللسان ٢٣٣/١٥ . (٣٩) الجهرة ٤٣٤/٣ .

(٤٠) فى بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٦ ص ١١٦ .

والهمزة هنا ليست للتعديّة ، والنقل على ما هو مشهور فيها فى مثل ذلك لكنها لتأكيد المعنى ان صح هذا الاعتبار كما ورد عن بعض اللغويين ونقله صاحب الاتحاف (٤١) .

وقد اضطربت أقوال الباحثين فى نسبة كل من الصيغتين الى بيئة لغوية ، فبعضهم يرى ان (فعل) — بغير همز — للحجاز وبالحمز (أفعّل) لتميم ، ففى قوله تعالى : (فأسر بأهلك) يقول الفراء قوله (فأسر بأهلك) قراءتنا من أسريت بنصب الألف وهمزها ، وقراءة أهل المدينة (فاسر بأهلك) من سريت (٤٢) .

ويقول أيضا : قرأ أهل الحجاز (فاسر بأهلك) موصولة من سريت وقراءتنا (فأسر بأهلك) من أسريت ، وقال الله تعالى : (سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وهو أجود (٤٣) .

وقال لبيد بن ربيعة :

إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه قضى عملا والمرء ما عاشى عامل

ويذكر بعض اللغويين ان أسرى بالألف لغة أهل الحجاز (٤٤) . ولعل الفعل بالهمزة قد تأثر به أهل الحجاز وقد جمعهما حسان فى قوله :

ان النظيرة ربة البيت أسرت اليك ولم تكن تسرى (٤٥)

(٤١) الاتحاف ٣٩٨ . التميميون يميلون الى تأكيد المعنى وتقويته فأدخلوا الهزة التى للتعديّة مبالغة فى تأكيد المعنى .

(٤٢) معانى القرآن ٢٤/٢ .

(٤٣) وفى حديث جابر رضى الله عنه « قال له : ما السرى يا جابر ؟ أى ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت ؟ والسرى السير بالليل وسرى وأسرى لغتان (النهاية ٣٦٤/٣ سرى) .

(٤٤) ديوان الأدب ١٠١/٤ ، والمصباح ٢٧٥/١ واللسان ٣٨١/١٤ .

(٤٥) ديوانه ٢٢٤/ .

وقال الفراء — أيضا — : فتن لأهل الحجاز وأفتن لأهل نجد^(٤٦) وجاء أعشى همدان باللغتين في قوله :
لئن فتننتني لهي بالأمس أفتنت سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم
وقال أبو حيان في فتن وأفتن : لغة الحجاز فتن ولغة تميم وربيعية : أفتن رباعية^(٤٧) وقرأ عيسى بن عمر (لا تفتني) بضم التاء من أفتن وقرأ الباقر بفتح التاء من (فتن)^(٤٨) .
وكان الأصمعي يعد (أفتن) ليس بثبت وأبى الا (فتنت) ولما أنشد بيت أعشى همدان السابق قال : هذا أخذ عن مخنف وليس بثبت^(٤٩) .

وقد عد ابن دريد (فتنت) الصيغة الراجحة فقال : اختلف أهل اللغة في (فتنت) و (أفتنت) فقال قوم : لا يقل الا فتنه فهو مفتون ، وهي اللغة الكثيرة ، وقال آخرون : أفتنه فهو مفتن ، وذكر رأى الأصمعي السابق . وقد ذكر الخليل والأصمعي : رابنى هذا الأمر يربينى : أى أدخل على شكا وخوفا ، أو رأيت منه ما أكره وفى لغة رديئة نسبت الى هذيل : أرابنى^(٥٠) ويقال : ضاء السراج يضيء وأضاء يضىء والأخيرة أقوى^(٥١) ، وقد يصفونها بأنها لغة قليلة ، تقول : غار اذا أتى الغور ، وأغار أيضا وهي لغة قليلة ، وذكر صاحب المصباح أنه لا يقال أغار ، وأن الفراء زعم أنها لغة^(٥٢) .

وعند الحديث : (فوق الجبل على باب الكيف فأوطده) أى :

-
- (٤٦) معانى القرآن للفراء ٣٩٤/٢ .
(٤٧) البحر المحيط ٣٣٩/٣ والخصائص ٣١٩/٣ ويراد سعيد ابن جبير .
(٤٨) البحر ٥١/٥ .
(٤٩) الجمهرة ٢٤/٢ ، ٢٥ .
(٥٠) العين ٢٨٨/٨ .
(٥١) التهذيب ٩٦/١٢ ، ٢٥٢/١٥ ، ٢٥٣ .
(٥٢) النهاية ٣٩٣/٣ . والمصباح (غور) .

سده بالهدم هكذا روى ، يقول ابن الأثير : وانما يقال : وطده وأوطد .
قليلة فى وطد (٥٣) .

وفى كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (وألا يغتر واقف
من وقيفاه) يذكر ابن الأثير : الواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه
على خدمتها ، والوقيفى بالكسر والتشديد والقصر : الخدمة وهى
مصدر كالخصيصى والخليفى يقال : وقفت الشئ أقفنه وقفا :
ولا يقال أوقفت الا على لغة رديئة (٥٤) وذكر الخليل أن (أوفى) بالالف
— من (وفى) — هى فى أهل تهامة (٥٥) .

وقد أشار المبرد الى أن الأفصح هو (أوفى) لجىء القرآن
بها فى مثل قوله تعالى : (وأوفوا بعهدى أوف بعهديكم) (٥٦) وأشار
بعضهم الى فصاحة اللغتين .

وفى (هبط) و (أهبط) ذكر ابن دريد أنهما لغتان فصيحتان (٥٧)
وعند المبرد أن (أهبط) لغة تميم (٥٨) ويقال فرزت الشئ وأفرزته
لغتان جيدتان (٥٩) وقال الأصمعى فى (غسا) و (أغسى) يقال :
غسى الليل وأغسى ، وغسى اذ اسود قال العجاج :

من مر أيام وليلى مغسى

(٥٣) النهاية ٣٠٤/٥ .

(٥٤) المصدر السابق ٣١٦/٥ .

(٥٥) العين ٤٠٩/٨ .

(٥٦) سورة البقرة من الآية ٤٠ وانظر الكامل ١٨٧/٢ .

(٥٧) الجمهرة ٣١١/١ ، ٤٣٨/٣ . (٥٨) الكامل ٣٧٥/١ .

(٥٩) التهذيب ٩٦/١٢ .

فهذا من (أغسَى) وسمعت رجلا من باهلة منذ خمسين سنة ينشد :
كأن الليل لا يغسَى عليه إذا زجر السبنداة الأمونا^(٦٠)

ونرى أن اللغويين — أحيانا — يؤكدون فصاحة اللغتين ،
وأحيانا فصاحة احدهما دون الأخرى تبعا للسمع والورود عن
العرب وفقى القرآن الكريم ، وبعضها يأتي مع نسبته الى أصحابه ،
وأحيانا لا ينسبون بعضها ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى :
(أَسْمَحُوا لِعِبْدِي كَأَسْمَاحِهِ إِلَى عِبَادِي) الاسماح لغة فى السماح
يقال : سمح وأسمح اذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء^(٦١) .

وفى الحديث : (ان أكثبكم القوم فانبلوهم) وفى رواية :
(اذا أكثبوكم فارموهم بالنبل) يقال : كَثَبَ وأكثَبَ اذا قارب والكثَبُ
القرب^(٦٢) .

وفى خطبة عائشة (وأنجح اذا أكديتم) يقال نجح فلان وأنجح
اذا أصاب طلبته وأنجحت وأنجمه الله^(٦٣) .

وفى حديث ابن مسعود (كان يصلى الظهر والجنادب تتقز
من الرمضاء) أى تقفز وتثب من شدة حرارة الأرض وقد نقز وأنقز :
اذا وثب^(٦٤) .

وفى حديث ابنى مليكة : (ان أمنا حين رعد الاسلام
وبرق) الخ أى جاء بوعيده وتهديده يقال : رعد وبرق وأرعد وأبرق^(٦٥) .

(٦٠) السبندى : الطويل الجرىء ومؤنته : السبنداة وناقاة امون :
وثيقة الخلق . انظر القاموس ٣١٠/١ ، ١٩٩/٤ .
(٦١) النهاية ٣٩٨/٢ .
(٦٢) المصدر السابق ١٥١/٤ .
(٦٣) النهاية ١٨/٥ .
(٦٤) المصدر السابق ١٠٥/٥ .
(٦٥) المصدر السابق ٢٣٤/٢ .

وفى الحديث : (سألت ربي ألا يسلب على أمتي سنة فترمدهم فأعطانيها) أى تهلكهم يقال رمد وأرمده إذا أهلكه (٦٦) .

وفى حديث رافع بن خديج : (وسئل عن كراء الأرض البيضاء بالذهب والفضة فقال : لا بأس إنما نهى عن الإرماء) من قولهم رمث الشيء بالشيء إذا خلطته وقولهم رمث وأرمت : إذا زاد (٦٧) .

والذى عليه جمهور اللغويين أن (فعل) للحجاز و (أفعل) لتميم ، وجرى على ذلك المحدثون من علماء اللغة وأن جاء عكس ذلك فقد ورد عن بنى تميم : جبره وبقيّة العرب تقول : أجبره (٦٨) .

قال اللحياني : تميم تقول : جبرته على الأمر أجبره جبرا وجبوراً بغير ألف قال الأزهري : وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها إلا أن بعض اللغويين فرق بينهما فى المعنى فجعل جبر لجبر العظم بعد كسره وجبر الفقير بعد فاقته والاجبار للاكراه (٦٩) وعند بنى تميم (هلك) وغيرهم (أهلك) قال العجاج وهو تميمي :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدلجا
يعنى (مهلك) وهى لغة تميم (٧٠) .

وتقول تميم : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به وكنانة وقيس يقولون : (أخلى) (٧١) .

ونسبت (فعل) إلى قيس مثل (فتىء) .

-
- (٦٦) المصدر السابق ٢/٢٦٢ .
 - (٦٧) المصدر السابق ٢/٢٦١ .
 - (٦٨) اللسان ١/٥٣٤ .
 - (٦٩) التهذيب ١١/٦٠ .
 - (٧٠) اللسان : (هلك) .
 - (٧١) المصدر السابق (خلى) .

قال أبو زيد : تميم نقول : أفتأت وقيس وغيرهم : فتئت (٧٢) ،
وقيس قبيلة بدوية وربما قصد بغيرهم أهل الحجاز •

وتنسب صيغة (فعل) للكثيرين في تعس وأنعس يقال : تعس
بنفسه وأنعسه الله وروى تعس بفتح العين (٧٣) • وهذا يدل على أن
بعض القبائل تتأثر بالأخرى للاتصال بينها •

فعل واغتسل

جاءت صيغ من هذا النوع من الثلاثي وغيره بمعنى وهي — دون
ريب — ترجع — في معظمها — الى اللهجات وان لم يسم أصحابها في
كتب اللغة • من ذلك : فرى فريا وافترى افتراء اذا كذب وهو
افتعل من الفرى ، وفي القرآن الكريم عن بيعة النساء (ولا يأتين
بجهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) وجاء مثله في الحديث (٧٤) •

وجاء القود بمعنى القصاص ، وقاده به وأقاده قتل المقاتل بدل
القتيل واستنقاد الحاكم سألته أن يقبده واقتاد منه يقتاد افتعال منه
وقى الحديث : (من قتل عمدا فهو قود) ويقال : قاد البعير واقتاده :
جرى خلفه (٧٥) ويقال : مك الفصيل ما في ضرع الناقة وامتكه اذا
مص كل ما فيه من اللبن (٧٦) ومن ذلك : نكس السيف من غمده
وانتصاه : أخرجه ومن افتعل جاء انتضى في حديث علي حين ذكر
عمر فقال : (تكب قوسه وانتضى في يده أسوما) على معنى
استخرجها من كنانته (٧٧) •

ويقال : نظرت فلانا وانتظرتة : اذا ارتقبت حضوره ، ومن

(٧٢) التهذيب : ٣٣٠/١٤ •

(٧٣) المصدر السابق ٧٨/٢ •

(٧٤) النهاية ٤٤٣/٣ •

(٧٥) المصدر السابق ١١٩/٤ •

(٧٦) المصدر السابق ٣٤٩/٤ •

(٧٧) المصدر السابق ٧٣/٥ •

الأول (الثلاثى) ما ورد فى حديث أنس قال : نظرنا النبى — ﷺ — ذات ليلة حتى كان شطر الليل^(٧٨) ، ومن ذلك : همط ماله وطعامه وعرضه ، واهتمطه أخذه مرة بعد أخرى من غير وجه •

وفى الحديث أنه — ﷺ — (سئل عن عمال ينهضون إلى القرى فيهمطون الناس فقال لهم المهنا وعليهم الوزر)^(٧٩) •

ويقال : قص الأثر واقتصه إذا تتبعه وجاء فى الحديث عن غسل دم الحيض : (فتقصه بريقها) على معنى تزيله من الثوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره كأنه من القص^(٨٠) •

ضميرا الخطاب

نلاحظ أن التاء والكاف تستعملان ضميرين لخطاب المذكر ، والمؤنث ، فمع المذكر يفتح كل منهما ، ومع المؤنث يكسران تقول : حضرت وحضرت ، وشاهدتك وشاهدتك ، وهذا شائع عند جمهور العرب •

وقد تشبع فتحة المخاطب المذكر فتنشأ عنه ألف ، وتشبع كسرة المخاطبة المؤنثة فتنشأ عنها ياء فيقال : حضرتنا — حضرتى — شاهدتكنا — شاهدتكى — وهذا ينسب لربيعة وتجرى عليها اللهجة العامية فى مصر •

وبهذه النماذج المتعددة للهجات نتأكد من وجود لهجات عديدة فى الجزيرة وان كانت القرشية قد سيطرت وأصبحت اللغة العامة للعرب جميعا •

• (٧٨) المصدر السابق ٧٨/٥

• (٧٩) المصدر السابق ٢٧٤/٥

• (٨٠) المصدر السابق ٤٧٧/٣

ولو أن الرواة اهتموا بهذه اللهجات لنقلوا لنا فيضا كبيرا كنا قد استفدنا منه لكنهم — لخوفهم على القرآن الكريم ولعته — اهتموا باللغة العامة ولم يأبهوا لهذه اللهجات فنسى معظمها وتاه في الجزيرة وقضى عليه ، على حين أننا نشاهد بقايا هذه اللهجات يظهر واضحا في كتب النحو ، التي تحاول أن تخلط اللهجات ، وتستخلص القواعد منها وتدافع عنها بالفلسفات كما نرى ذلك عند اعراب المثني بحاليه اللذين أشرنا اليهما وعند اعراب قراءة (ان هذان لساحران) وقراءة (فكان أبواه مؤمنان) فتذكر كتب النحو كثيرا من الآراء ومن الممكن أن نكتفى بتعليل واحد قريب وواقعي ، وهو أن هاتين القراءتين جاءتا حسب لهجة عربية تلتزم المثني الألف في جميع أحوال اعرابه ، وبهذا نريح التفكير العقلى من أن يضل في متاهات النحاة .

الفصل الخامس

الدرس اللهجي الحديث

تعد دراسة اللهجات dialectology ^(١) دراسة مهمة من الدراسات اللغوية فى العصر الحديث ، وهى من فروع علم اللغة العام :
linguistics

وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر النغويون الغربيون الى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم ، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه الى الفصحى ونبذ العاميات لأن فى الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضارى والأدبى ، فهم يحافظون على الفصحى من لغاتهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على وحدتهم الثقافية والقومية فان تلك اللغات قد وعت لهم تاريخ أجيال وحضارات مضت ونقلتها اليهم بحيث يستطيعون فهمها ووعياها ، فهم يتصلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، أما لو اتجه الناس الى العاميات فسوف تصرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضى على أملهم فى المستقبل ولذلك حذر العلماء هناك من استعمال العاميات وطلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصاحتهم ، بل حاولوا - ومعهم الحكام - ابتكار الطرق والوسائل التى تؤدى الى منع انتشار العاميات ، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤ م الى الأب جريجوار بأن يضع تقريراً

(١) هو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام فى لغة من اللغات ، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغة أو لغات . انظر : المصطلحات العلمية والفنية لجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٣/٤ ، ٢٢١/١٥ .

بين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ونشر اللغة الفصحى (٢) .

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب فى اهمال دراسة اللهجات فى تلك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها :

١ — توجه الدراسة الى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها — مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها — معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنظر فى أمرها على العكس من اللهجات الشعبية التى يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها الى دراسات دائبة وجهود يتجشمها الباحث فيها ويحتاج معها الى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب .

٢ — العلماء — آنذاك — كانوا يحبون الدعة والمهدوء ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعى الأسفار ولا مشقات الانتقال .

أما اللهجات فتحتاح — لقتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها — الى تنقل وترحال لملاقات أربابها فى بيئتهم ذنت أو نأت ، سملت أو صعبت ، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة .

ولكنها — يوما ما — فرضت نفسها عليهم وجذبتهم — ان طوعا أو ان كرها — الى دراستها وتتبع مناحيها ، لأن التطور سنة الحياة ، وما فى الكون — بثتى ألوانه — يتطور ، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات فى هذا الشأن فكما يتطور كل شئ تتطور اللغة .

ولذا — على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها — وجدنا سيلها يتدفق فى كل مكان ، ورأينا انشعاب اللغات الفصحى الى عديد من اللهجات الشعبية تبعا لسنة الطبيعة وعوامل الاجتماع — فى الداخل والخارج — فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها فاضطروا الى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه الى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها فبدأوا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها •

وكما اهتم الفرنسيون — وجمعيتهم الوطنية — بمحاربة تلك اللهجات — أول الأمر — اهتموا أيضا — بعد أن علموا كغيرهم عدم جدوى محاولاتهم — بدراستها ، وظهر ذلك واضحا فى انشاء شعبة خاصة لدراسة اللهجات الشعبية فى معهد الدراسات العليا بفرنسا على يد أول مهتم فرنسى بها وهو (جاستون باريس) ونهضت دراستها على يد طائفة من العلماء الفرنسيين منهم تورتلون وبرنجيه وأنطوان توماس وألبرت دوزا •

وكذلك على يد غير الفرنسيين كالعالمين الايطاليين كورنو وأسكولى ، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراسة الأب روسلو الذى اهتم بالناحية الصوتية فى اللهجات وجيليرى الذى درس اللهجات من ناحيتها الدالية •

وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام الى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه • فاللغات قد تحيا نتيجة لاستمرار بقائها فى الاستعمال على ألسنة أهلها ، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال أو تغيرها واضمحلالها ، وليس معنى موت اللغة أن يقضى عليها نهائيا بحيث لا يبقى لها أثر لأنها — عندما تموت — تكون قد تركت آثارا فى خليفاتها كما يقول الدكتور السعران :

« ان اللغة اللاتينية لم تمت فى الحقيقة من الناحية التاريخية بل أصابها تغيرات عميقة أنتجت أشكالا حديثة لها أبرزها : البرتغالية والكتشالية ولغة قطالونيا ولغة بروفانس والفرنسية والايطانية ولغة رومانيا والأسبانية ، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنا نحس اذا نظرنا الى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة » (٣) .

ووصل العلماء — فى أمر التوحيد والانقسام — الى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة ، فاللغات — متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية — تميل الى الانقسام أكثر من التوحيد وهذا رأى بعض اللغويين ، وهو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية ، فاللغات — منذ آدم عليه السلام — يتوالى عليها الانقسام بعد التوحيد ، وهى على هذه الحال فى شتى بقاع الأرض الى اليوم ، ولم تستمر — حتى الآن — لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق الى لهجات .

بيد أن (يسبرسن) يرى أن القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى — فى حقيقة الأمر — من القوى المقسمة (٤) ويستدل لذلك بكثرة المتكلمين بكل لغة فى الأزمان الحاضرة عنها فى الأزمان الماضية .

ولكن الرأى الأول تسانده ظواهر اللغات العالمية — دون ريب — وكثرة عدد المتكلمين لا يعنى توحيد اللغة ، فهذا قد يحدث مع تشعبها وانقسامها فكيف توصف بالتوحيد مع الانقسام ؟

وقد حدد العلماء الأسس التى تؤدى الى ظهور لغة عامة والى استمرار التوحيد اللغوى لأمة اكتملت لها تلك الأسس كالاتصال والاختلاط بين المتكلمين وشيوع الأدب والثقافة بعناصرها المتعددة

(٣) اللغة والمجتمع د. محمود السمران ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ .

وما يصحب ذلك من حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية
واعلامية *

واللغات قد تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض وقد تبقى فى
حيز ضيق من الوجود وربما توسط حالها كل ذلك يخضع لعوامل
الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق فمع أهلها تدخل أراضى جديدة
ونتصارع مع لغات جديدة ، نتيجة الغزو والاستعمار أو مع زيادة
الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق النمو وذلك قد يدعو الى انقسامها
وقد تساعد على ذلك عوامل أخرى اجتماعية وسياسية وثقافية
ونفسية وفسيولوجية وجغرافية فلا ريب أن الجماعات المختلفة على
هذا النحو تختلف لغاتها بل تنقسم اذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها
هذه العوامل ، بل ان الاقليم الواحد كجمهورية مصر العربية تنقسم
فيه لغة المحادثة الى ألوان شتى من اللهجات المحلية نتيجة لاختلاف
البيئات — نسبيا — بين أهلها فى مدنها وقراها فنحن نستطيع أن نلمس
هذه الفروق من سيرنا فى تلك الأماكن فمن مدينة الى أخرى ومن قرية
الى أخرى نلمح مظاهر هذا الاختلاف بين اللهجات ، فعلى حين ينطق
بعضهم (يقول) ينطقها آخرون (يئول) وآخرون (يجول) ويعبر
بعضهم عن السيارة بكلمة (كومبيل) وبعضهم (اتومبيل) وبعض
ثالث (ترمبيل) وساقية المياه يسميها بعضهم (تابوت) وبعضهم
(طبلية) وبعضهم (حلزونة) وبعضهم (حلوفة) ، وهكذا ، على
حين تبقى مع ذلك اللغة العامة مفهومة للجميع ومستعملة فى الكتابة
والأمور الرسمية كلغة قومية وهى — عندنا — العربية الفصحى التى
تربط بين الأمة العربية فى شتى أقطارها *

والملاحظ أن لكل بيئة لهجاتها الخاصة التى تتبع من حياتها
والمؤثرات عليها فهناك لهجات خاصة تبعا للطبقات المتعددة فلهجة
للاستقراطيين وأخرى للزراعيين وثالثة للتجارين ورابعة للبحريين.

وخامسة لأرباب الصناعات والمهندسين وسادسة للرياضيين وغير ذلك من ألوان اللهجات التى تناسب كل الفئات الاجتماعية ولذا يطلق علماء اللغة المحدثون على هذا اللون اللهجى اسم (اللهجات الاجتماعية) وأهم تلك اللهجات ما يسمونه : (اللهجات الحرفية)^(٥) .

ويرى بعض علماء الانتوجرافيا أن لهجات هذا النوع ترتجل ارتجالا ويتفق عليها من أفراد الجماعة المتكلمة بها ولكن الرأى السديد هو أنها تخضع لعوامل النشأة الاجتماعية والبيئة التى تحياها تلك الطوائف مع تسليمنا بأنه ربما نشأ اصطلاح أو أكثر عن طريق الاختراع ثم شاع استعماله بالتقليد ولكن هذا ليس ظاهرة عامة .

كل ذلك الانقسام واختلاف اللغات واللهجات قد خضع لعوامل كانت الدراسة الغربية فاتحة له وممثلة طريقه وواضعة أسسه العامة والخاصة حتى أصبحت له قوانين العلم التى طبقت — قديما — على اللغات الهندية الأوربية وانقساماتها الى ضوائف لغوية كبيرة^(٦) وعلى اللاتينية — احدى لغات الفرع الايطالى من هذه المجموعة اللغوية — فقد انشعبت الى عدة فروع لهجية — فى أواخر العصور الوسطى — هى : الفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا^(٧) .

وعوامل تكوين اللغة العامة برزت فى دراساتهم — أيضا — فقد لوحظ أن التغيرات الفردية لا تؤثر تأثيرا فعالا فى هذا المجال ، بل الاعتماد على العوامل الاجتماعية متصافرة : فقد كانوا — كما ذكر الدكتور السعران — يفهمون قديما « أن الايطالية قد كونها دانتي والانجليزية كونها تشوسر والألمانية كونها لوثر والدينمركية

(٥) علم اللغة د. وائى ص ١٧٣ ، ١٧٦ واللغة لفندريس ص ٣١٥ ،

٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٦) لها طوائف ثمان . انظر علم اللغة د. وائى ص ١٨٠ وما بعدها .

(٧) المصدر السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

كونها كريستين بدرس ف أظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن يخط هؤلاء حرفاً»^(٨) كما أن الانقسام إلى لهجات شعبية ومحلية كانت له مبادئ وقوانين عمل الغربيون على إثبات وجودها وتأكيدا بالأدلة السليمة النابعة من التجارب ودراسة الوقائع اللغوية التي تؤكد صحة النتائج •

وقد وصلوا من ذلك إلى تحديد عوامل الخلاف التي تحدث في صراع اللغات واللهجات وما يعتريها من تشعب ، فقد يكون كثيراً من الناحية الصوتية ثم يكون — أيضاً — من الناحية الدلالية ، أما ناحية القواعد فإنها تكون قليلة وبطيئة التغير عادة •

واننا نلاحظ ذلك في لغتنا العربية فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التي كانت في الجزيرة مثل العنقة والفحفة والاستتطاء وغير ذلك وبعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما في وثب عند حمير بمعنى جلس وعند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفز ، والسدقة — في لهجة تميم — الظلمة ، وفي لهجة قيس : الضوء^(٩) •

أما الخلاف في القواعد — كالبنية والاشتقاق والجمع والتأنيث والنسب والتصغير وتكوين الجمل — فهو قليل وهكذا في اللهجات العربية الحديثة •

وقد ظهر من ملاحظة تلك العوامل وظواهر الانقسام ودراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال ، فما دام البشر مختلفين في طبيعة بيئاتهم وأجسامهم وثقافتهم والعوامل التي تتغلب عليهم فلا يمكن اتحاد لغاتهم لأنها سوف تخضع لتلك العوامل وتتأثر بها فمهما كانت واحدة في أول أمرها فسوف يعروها الانقسام

(٨) اللغة والمجتمع د. السعمران ص ١٧٣ •

(٩) المظهر ط الأولى ١٨٨/١ ، ١٩١ •

وصدق الله العظيم اذ يقول : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (١٠) .

واللغوى الحديث يدرس اللغة من وجهين :

١. — اللغة من الناحية التنظيمية والتركيبية الموروثة : والتي تكون مجموعة من القواعد والقوانين تختزن فى عقول الجماعة الناطقة بها وتطبقها فى ميادينها المختلفة للتعامل والسلوك الانسانى .

٢ — اللغة فى تطورها الاجتماعى والتارىخى : فالانسان كما تنتقل أحواله البيولوجية ووظائفه العضوية من طور الى آخر فى مراحل يمر بها المجتمع البشرى بأسره فذلك عاداته وتقاليده وظواهر الاجتماع التى تتصل به ومنها اللغة التى عراها ويعروها الاختلاف والانتقال بمرور الأجيال والعصور فتتغير وتتلون بألوان تتأثر بحال الانسان ومرور الأحداث المتقدمة به من ثقافات وتجارب تتقدم به أو تتأخر وتستحدث أمورا وتتخلص من أخرى مضى عليها الزمن أو غيرها من منظور اجتماعى أو سياسى أو نفسى الى غير ذلك مما يؤثر فى الانسان وفهمه للحياة فهما جديدا وتخضع اللغة العامة للطبقات الاجتماعية كما نرى فى لغة العمال والفلاحين والصناع والتجار الى غير ذلك ، ومن هنا تعددت اللهجات وتنوعت بما يسمى اللهجات الحرفية أو الطبقية .

وقد نظر الى اللغة المشتركة على أنها النموذج الذى يحتذى ، وأنها المعيار الأساسى الذى يقاس عليه ولها قواعدها ، ونظمها المعروفة وعلى أن اللهجات متفرعة من هذا النموذج وداخلة فى اطاره .

الأطلس اللغوى

فى العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات واللهجات فى الغرب وانتقلت الى الدراسات اللغوية المعاصرة فى العالم العربى *

وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء فى التوزيع الجغرافى للغات واللهجات وامكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التى تنصوى تحت اللغة الواحدة *

اللغات : قرر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم ، فهى تمتد فى الجزيرة والشام والعراق وشمال افريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وافريقية وغيرها * وهكذا حال اللغات الأخرى كالانجليزية والفرنسية وغيرها حيث يمكن بيان حدود كل منها بطريقة ميسورة *

وهذا فى غالب الأمر ، وقد يصعب ايجاد فاصل بين اللغات ، بأن توجد فى بقعة واحدة ، توجد بينها حواجز ، كما فى سويسرا ، ففيها أربع لغات هى : الألمانية والايطالية والرومانية والفرنسية ، فمناطقها يصعب الفصل بينها لخضوعها لنظام سياسى واحد واختلاط شعبها بعضه ببعض وهكذا شأن اللغات المتجاورة فالفرق بين اللغتين المتجاورتين تختفى فى الأقاليم الحدودية الانتقالية *

وكذلك اللغات المتقاربة فى الأصل اللغوى كالفرنسية والايطالية فمع امكان وضع نقاط انتقال محصورة بينهما لا يبقى هذا الخط عند حدود اللغتين وكذلك الحدود بين الفصحى ولهجاتها فلا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية thigh German ونهاية الألمانية المبثذلة Lew German وهناك خصائص وسطية تربط

اللغات المتشابهة بعضها ببعض وقد تختلف فيحصل الاختلاف الواضح .

وهذا ينطبق على طوائف اللغات كاليهند وأوربية والسامية وغيرها ، وهجرات السكان تقضى على الاختلافات وتقربها مع عدم تفكك سلسلة المناطق اللغوية .

اللهجات : يصعب رسم خط جغرافى للهجات التى تنتمى الى لغة واحدة للصلات القوية بين الناطقين بها لأنهم أبناء أمة واحدة . وبناء على ذلك :

١ — أنكر بعض الباحثين وجود لهجات فى اللغة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجزئته ، كما أنه ليس من الممكن التفريق بين الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية ، ومن هؤلاء : بول ميرو وجاستين بارى الذى يقول : لا يوجد أى حد حقيقى يفصل بين فرنسى الشمال وفرنسى الجنوب فصور التكلم الشعبية عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف الى آخر كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها على بعض وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض ، وكذلك جوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج ، فالظواهر اللغوية متداخلة كالموجات بحيث يتعذر الفصل بينها أو بيان حدود كل منها .

وقد طبق ذلك على دراسة اللغات الهندية الأوروبية ، وقرر عدم وجود لهجات فيها ، وان الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب فى غالب الأحيان تتبعه ورسمه (١) .

وقد ينظر الى تصنيف اللهجات على أساس من سماتها الخاصة على أنه شئ من صنع الخيال الى درجة كبيرة ، ففى الولايات المتحدة

(١) أسس علم اللغة لاريوباي ص ٢١١ وفصول فى علم اللغة العام لـ (ف. دى سويسر) ص ٣٥٤ وما بعدها بتصرف .

الأمريكية — مثلا — لا يوجد ما يمكن أن يسمى لهجة جنوبية أو لهجة غربية وسطى أو لهجة نيو انجليزية ، ولكن توجد سلسلة من الخصائص المحلية غير المتناهية مع بعض ملامح مشتركة من ناحية ، ولامح متباينة من اقليم إلى اقليم من ناحية أخرى^(٢) .

٢ — وقيل بعض الباحثين : ان الفصل بين لهجات اللغة الواحدة يمكن عن طريق التعرف على السمات والخصائص البارزة لكل لهجة مما يوجد فى منطقة ولا يوجد فى الأخرى ، ومن هؤلاء ميبه الفرنسى ونص عبارته : « هناك لهجة محددة فى كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فانه يبقى أن كلا منهما تتميز فى مجموعها ببعض السمات العامة التى لا توجد فى الأخرى ... فان كلا من اللهجتين فى مجموعها قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة الى حد يجعلها فى مأمن من الخلط بينها »^(٣) .

ويذكر بعض الباحثين : هناك على سبيل المثال خط افتراضى واضح محدد يمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى يخترق معظم الأرض الألمانية وعلى أحد جانبي هذا الخط يقول المتكلمون dat وعلى الجانب الآخر يقولون das ، واذا كان هذا الخط الافتراضى لا يتطابق دائما مع الواقع فانه — غالبا — ما ينظم الظواهر فى شكل حزم أو مجموعات مع اختلافات يسيرة نسبيا ، واذا أخذ المرء المتوسط أو المعدل لهذه الخطوط الفاصلة فانه يمكنه أن يحدد خطا مفردا يفصل منطقة لهجة رئيسية عن غيرها ، وهذا هو أساس الطريقة العلمية لتصنيف اللهجات الرئيسية فى لغة معينة^(٤) .

ويذكر فرديناند دي سوسير « من الممكن أن نحدد اللهجة

(٢) المصدر السابق ص ٦٩ .

(٣) اللغة ٣١٢ .

(٤) أسس علم اللغة لاريوباي ص ٧٠ .

بخصائصها الكلية التى تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة ،
ومن الممكن — أيضا — أن نحدد اللهجة باحدى مميزاتها ونحدد بيد
مدى انتشار هذه الميزة أو الخصيصة » *

ويقول الدكتور أنيس : « متى برزت صفات خاصة واتضحت
للسامعين وظهور اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ،
أمكن القول أن هناك لهجة قد نشأت وتميزت وتدرس على أنها لهجة
متميزة » ^(٥) *

وهذا من شأنه أن يقرب المطلوب ، ولكنه لا يؤدى الى بيان
الحد الفاصل الدقيق بين لهجة وأخرى *

فلهجات اللغة العربية — مثلا — يمكن التعرف على خصائص كل
منها مصرية أو سورية أو عراقية الخ ، ولكن لا يمكن أن يعرف —
بالتحديد — المكان الذى تنتهى عنده السورية أو غيرها للتداخل
الشديد بينها *

وقياسا على ذلك فاللهجات المحلية فى أى قطر يمكن أن تخضع
لهذا المقياس من حيث الخصائص والمميزات ، فطرائق النطق بينها
مختلفة ، فبعضها يميل فى مثل (عليه — اليه) وبعضها ينطق ألقاف
همزة وبعضها جيما ، وأخرى تحول الكاف الى ثأف فى نطق بعض
الكلمات كما يلاحظ ذلك فى اللهجات العامية فى مصر *

وهكذا بيان كل ما يكشف عن الفواصل بين اللهجات بحيث يمكن
معرفة خصائص وسمات كل منها *

وعلى هذا المنوال سائر اللهجات العربية فى أقطارها المتعددة
ويبدو أن هذا رأى جدير بالاتباع *

وقد كانت الدراسة القديمة تعتمد على الشواهد والنماذج

(٥) فى اللهجات العربية ص ١٧ *

وملاحظة ما تحتوى من نظم وقوانين تدرك بالتجارب الذاتية التى نقوم على المشاهدة والتلقين والنقل عن السابقين .

ولا ريب أن الأطلس اللغوى كانت له بذوره فى دراسات علمائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغوية التى استخلصوا منها قواعد اللغة العامة ، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات المسائدة فى بعض مناطق الجزيرة .

وفى العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات العملية وطرق القياس المستحدثة التى يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التى تنتشر فيها فيما يدرف بالأطلس اللغوى أو الجغرافية اللهجية Linguistic Geography or Dialect Geography (٦) .
وذلك على أساس من علم اللغة الجغرافى لأن العلاقة قائمة بين اللهجات وبيئاتها الجغرافية .

وقد بدأ ظهور الأطلس اللغوى على يد اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية فى معظمها ثم أصبح ينحو المنحى الوصفى العلمى فى مجال البحث اللغوى (٧) وقد ظهرت فكرة الأطلس اللغوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٨٦ م) وكان (وينكر Wenker) فى ألمانيا و (جيليرون Gillieron) — واضع علم اللغة الجغرافى (٨) — فى فرنسا من أوائل المهتمين بوضع هذه الأطلس للغتين الألمانية والفرنسية ولهجاتهما ووضعوا شروط هذا

(٦) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ص ١٣٤ .

(٧) المصدر السابق ص ١٣١ .

(٨) وظيفة علم اللغة الجغرافى أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات فى مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية وطرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض . ماريوباي ص ٣٧ . علم اللغة الجغرافى هو التطبيق العلمى الحديث لعلم اللغة ، وعلم اللغة الجغرافى يفتى بشئ من التفصيل الوضع الحالى للغات العالم من حيث عدد المتكلمين والتوزيع الجغرافى ص ٦٤ . وانظر أيضا ص ١٨٥ ، وتدرس فيه العوامل التى تؤدى الى تقدم لغة أو تقهرها وإحلال غيرها محلها ص ٧٢ .

المنهج الجديد للدراسة اللغوية حتى تخلو بهذا المنهج من الخطأ وتتجه ناحية الصواب ، ثم امتد هذا النشاط العلمى اللغوى الى دول أخرى كسويسرا والنرويج والسويد والبرتغال وايطاليا وأمريكا وبعض البلاد الشرقية .

وفكرة الأطلس اللغوى نالت اهتماما كبيرا فى العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة فى علم التاريخ اللغوى ، ويبدو هذا فى الصيغ الحية للغة أى بلد ، بالإضافة الى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة ، وقد ساعد هذا كثيرا علماء اللغة التاريخيين ، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التى تمت فى الماضى حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة ، أو غير كافية^(٩) .

ومع ذلك فحتى هذا الوقت لا توجد الا مناطق ضئيلة جدا هى التى وضع لها أطلس لغوى^(١٠) .

ويهتم علماء الأطلس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة ، ويهتمون بالناحية العلمية التى تنتقل الى حقل التجربة .

وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التى يقع عليها الاختيار من اقليم ما — رسمت حدوده — لعمل خرائط له ، مع الاستعانة براو يمثل المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوى مدرب تدريباً دقيقاً على كيفية الاجابة على الأسئلة .

ويجرى البحث بتحديد مجموعات الكلمات والعبارات والجمل التى يسبق اعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التى يراد دراستها .

ويرتب ذلك فى صورة أسئلة يجيب عليها الراوى اللغوى ،

(٩) أسس علم اللغة لماريوباي ص ١٣٢ وانظر أيضا ص ٣٧ ،

• ٢٢١:

(١٠) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

والمادة التى ينطقها الراوى اللغوى اما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل ، أو تستخدم الطريقتان معا .

ثم تجرى مرحلة المقابلة والمعارضة بين كل كلمة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبين المقابلات لها من اللغة العامة ، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطة مستقلة للمنطقة .

ولهذا اللون من الدراسة طرق متنوعة عند العلماء والباحثين المشتغلين بعلم اللغة الجغرافى .

ففى ألمانيا برزت (طريقة وينكر) وتقوم على جمع أحصائى تحدد فيه عدة خصائص أو كلمات أو عبارات من اللغة الفصحى أو العامة تمثل مظاهر لغوية متعددة صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية ودلالية ، وينظر اليها على أنها المقياس المعيارى .

ويقوم المسجل اللغوى باستطلاع رأى الراوى اللغوى الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التى يراد دراستها ، فيسجل الكلمة أو العبارة أو الجملة التى ينطقها الرجل العادى فى الشائع من الاستعمال اللغوى فى الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجى للغة العامة .

وبعد ذلك تفحص الاجابات — لعدد كبير من الرواة اللغويين ، والتى سجلها المسجلون اللغويون — ويقارن النطق الذى فى اللغة أو اللهجة المدروسة بالنظام أو الاستعمال اللغوى النموذجى ، وتستخلص النتائج المستتبطة من الاجابات على الأسئلة المدونة ، ثم توضح هذه النتائج على خرائط لغوية ، وتصنف حسب مجالات الدراسة من حيث اصوات المفردة والكلمات والجمل والدلالة والقواعد التى تخضع لها .

وفى فرنسا برزت (طريقة جيليرون) فى لون آخر من عمل
الخرائط اللغوية .

وفىها تختار البلاد أو الأماكن التى يجرى فيها البحث من
البلاد التى لها تأثير لغوى واضح فيما حولها من الأماكن بحيث تمثل
بيئة لغوية واسعة .

وتوضع أسئلة فى صورة مجموعات كل مجموعة تتعلق بدراسة
أحدى الظواهر اللغوية أو عدة ظواهر يتصل بعضها ببعض اتصالا
وثيقا ، وتعرض هذه الأسئلة على أهل البلاد التى تجرى فيها دراسة
اللهجة أو الظاهرة اللغوية عن طريق الرواة اللغويين أيضا ، ويقوم
بعمل الاحصاء مسجل لغوى مدرب كذلك .

وبعد جمع الاجابات تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص
والسمات للهجة أو اللهجات التى يقصد دراستها فى مجاز الأصوات
أو صيغ الألفاظ أو طرق التعبير الى غير ذلك ، ثم تسجل هذه النتائج
على الخريطة الخاصة بها .

ويحتوى الأطلس اللغوى فى فرنسا — على سبيل المثال —
على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة « حصان » — كما تستعمل فى لغة
الكلام — فى حوالى خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة ، وهناك خرائط
لكلمات أخرى ، والمحصل النهائى لهذه الخرائط يعطينا مجموعات من
الخطوط المتقاطعة التى تمثل كل منها واحدة من الخمسمائة لهجة محلية
ليس فقط فيما يتعلق بالمفردات ولكن أيضا فيما يخص مجموعات
الكلمات التى تخدم الغرض النحوى ، وبهذا يصبح من الممكن تماما
استخلاص نحو وصفى لكل لهجة من تلك اللهجات المحلية باتباع
أسس التحليل الفونيمية والصوتية^(١١) .

(١١) المصدر السابق ص ١٣٣ .

وفى طريقتى وينكر وجيليرون يشترط فى الرواى اللغوى أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافيا أو اجتماعيا ، وأن تتوافر فيه المقدرة اللغوية على تمثيل النطق الصحيح لأهل بيئته ، وأن يتوافر عنده قدر كبير من الوعى والفهم للأسئلة بحيث يمكنه الاجابة عليها دون تعثر أو انحراف .

وأن يكون صادق القول غير واقع تحت مؤثرات تجعله يخفى بعض الاجابة أو يجيب بغير المطلوب ، أو يعطى بيانات غير صحيحة أو غير دقيقة لأسباب أخرى .

« وكلما كان الراوى اللغوى أقل ثقافة كان أفضل لأن المتعلمين ، أو الأكثر تعلما فى المنطقة تتأثر لغتهم بمعلوماتهم واحترامهم للغة الأدبية الوطنية » (١٢) .

وفى الأطلس الفرنسى لم تحدد خصائص أو عبارات معينة يقاس عليها كما فى الطريقة الألمانية . وبهذا يمكن أن نميز الطريقة الفرنسية بأن المسلحين اللغويين لا يؤثرون على المتكلم الذى تدرس لهجته بل يترك على طبيعته ليقول ما يشاء ، أما الطريقة الألمانية فقد فرضت نظاما معينة تتطلب الاجابة بما يمكن أن يتكلف لها المجيب أو يحور من طريقة الاجابة تبعا للتأثير النفسى واللغوى عليه ، وان كانت الطريقة التى اتبعها النظام الألمانى تأخذ فى الاعتبار شمول النواحي المتعددة للاستعمال اللغوى مما يجعلها أوسع وأشمل .

والأطلس اللغوى يحوى خرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحي الهندسية .

وعلى هذا فالأطلس اللغوى يقوم على عمل خرائط لبيان أصوات

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة أو عدة لهجات وتوضيح صلتها
باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى *

وعمل الأطالس اللغوية يعتمد — الى حد كبير — على مفردات
اللغة وهو عمل لغوي يتم تحت ظروف البيئة المعينة (١٣) *

وتتجلى أهمية هذه الخرائط اللغوية في أنها توقفنا على بيان
النواحي الصوتية واختلاف الألفاظ تبعاً لاختلاف المناطق وأوجه
الشبه بين اللغات واللهجات ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق *

ويخضع ذلك لطرق قياسية محددة لتوضيح ما يتعلق بالنواحي
اللغوية المتنوعة على المستوى الصوتي والدلالي للغة واحدة ولهجاتها
أو للغات لها علاقة بها أرقى منها أو أدنى ، وهذا يتطلب عمل احصاءات
تدوّن فيها النتائج العلمية اللغوية ، وهذا يتوقف على نوع الاحصاء
العميق الدقيق أو السطحي الموجز ، وكلما لوحظ التوحد في طرق
القياس والاحصاء كان ذلك داعياً الى دقة النتائج *

والذي ينبغي عمله — في هذا — هو الاستعانة بالمعلومات
الدقيقة وجمع المسادة التي تمثل ظواهر اللغة أو اللهجة بشمول واف
في مختلف المناطق وأن تلاحظ كفاءة الرواة اللغويين والمسجلين بحيث
تأتى النتائج دقيقة سليمة فلا تخلف من راو الى آخر ولا من مسجل
الى غيره ، ولا بد من تحديد الأسئلة التي ستلقى بحيث لا تخلف بين
المسؤولين ، وألا تكون هناك عوامل مؤثرة في اختلاف الاجابات أو
صدقها *

وعن طريق الأطالس اللغوية نتحدد سمات اللغة أو اللهجة
وخصائصها — في مجالات الأصوات والكلمات والجمل وشتى النواحي
اللغوية — ويعرف مكانها وصلتها باللغات أو باللهجات المجاورة
وعلاقتها بالألم التي تفرعت عنها ، وعلى هذا يمكن رسم الحدود

الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل ومعرفة التغييرات التى تطرأ عليها من حين لآخر (١٤) .

وهذه الأطالس تعتمد فى الكشف عن التاريخ الذى مرت به اللغة فى عصورها التى مرت بها وبيان اللهجة التى تعد أقرب الى الفصحى — ان وجدت — ونتيجة لهيذا اللون من الدراسة تكون الحدود اللهجية — أحيانا — واضحة كما فى المناطق الصحراوية أو الغابات أو المرتفعات ، وأحيانا تكون غير محددة تحديدا واضحا ، كما فى لهجات المناطق التى يتصل بها غير أهلها كحدود لهجات العواصم كالقاهرة ولندن وبغداد لتأثر البلاد المجاورة بها ، ولهجة مصر بالنسبة للعالم العربى هى مصدر تتأثر به البلاد العربية الأخرى لمركزها السياسى والثقافى الذى يجعلها محط الأنظار .

والأطالس اللغوى يصبح — بعد اتمامه — مرجعا للغوى حيث يزوده بالمعلومات التى يريدها بدلا من الخروج بنفسه ، ومحاولة الذهاب الى الحقل اللغوى فى المنطقة موضوع اهتمامه ، وان كان نزول اللغوى المباشر الى الحقل اللغوى قد يصبح ضروريا مع وجود الأطالس اللغوى حينما تواجهه مشكلات خاصة . ومع ذلك فالأطالس اللغوى خاضع للتغيير وغير ثابت لما يعترى الحياة من تغيير ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقتضى عمل أطالس بين الحين والآخر لمعرفة ما جد من تغييرات وتأثيرات لغوية فى المناطق التى درست من قبل . وهذا شأن اللهجات العامة الخاضعة للتطور السريع (١٥) .

وعلى ذلك ينبغى فى دراسة اللهجة مراعاة أمور أهمها ما يلى :

- ١ — اقامة الدراسة على أساس جغرافى .
- ٢ — الاعتماد على الجانب الوصفى أى على ما هى عليه لا على ما ينبغى أن تكون عليه .

(١٤) انظر : الأطالس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ .

(١٥) اسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣ .

٣ — بيان الطبقة الاجتماعية التى يراد دراسة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو مثقفين ... الخ •

٤ — أن يكون الخبراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثلوا اللهجة تمثيلاً صحيحاً ، والكلام الطبيعى خير مثال صادق •

٥ — الاعتماد على النصوص فى اللهجات الصوتية المكتوبة •

٦ — لابد من تمحيص الحقائق لكل إقليم عدة مرات لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية الخ التى تتراحم وتترابط •

٧ — أن تكون الاستبيانات مخططة بوضوح وتعاون المؤسسات المحلية •

ثم يحل ما جمع من مادة علمية عن طريق الأجهزة والآلات — ان .
يمكن — ويوازن بين النتائج العملية والنتائج السمعية المستنبطة بالملاحظة الذاتية وتستخلص النتائج الصحيحة التى اتفق عليها سمعاً وتجربة وحال الخلاف بينهما ينظر سبب الخلاف حتى يهتدى الباحث الى الحقيقة ، ثم يستخلص النظام العام للظاهرة اللغوية المدروسة •

ويمكن استخدام هذه الأطالس فى دراسة العربية الفصحى ولهجاتها وصلتها باللغات السامية واللغات الأجنبية وهذا وثيق الصلة بالنصوص اللغوية ويمكن أن يساعد فى معرفة اللهجات المعاصرة وربما كشف شيئاً من تاريخ الظواهر اللغوية وعناصرها عندنا وتأثيرها بغيرها^(١٦) وربما كشف ذلك شيئاً من الصلة بين اللهجات القديمة الفصحى واللهجات الحديثة عن طريق الموازنة العلمية والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى •

وهذا العمل فى العربية يحتاج الى جهد مضمّن وإلى عمل جماعى

(١٦) الأطالس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ •

دائب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصول الى أطلس لغوى عربى حديث *

واللغة المشتركة تحكمها قواعد وقوانين فى مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية الى غير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومثن اللغة *

ولم يكن القدماء يهتمون بلهجات العربية خوفا على الفصحى منها ولأن اهتمامهم الأساسى بالفصحى وإن كانت بعض اللهجات قد درست فى كتب النحو واللغة دراسة جانبية * والعاميات يمكن دراستها على أساس أن لها قواعدا وليست — كما يظن — لا قواعد لها بل يمكن ضبطها وحصر مفرداتها وتراكيبها أيضا ودراستها دراسة وصفية *

وهى فى العالم العربى لها مظاهرها المتعددة والمتأثرة باللغات التى كانت فى المناطق التى تنتشر فيها كالفارسية فى العراق والرومية والسريانية فى الشام والقبطية فى مصر وكذلك اللغات التى تدخل تلك المناطق مع التفاعل المتبادل بين شعوبها وشعوب العالم من ذوى اللغات المختلفة كالانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية الى غير ذلك ، وكذلك آثار البerberية فى لغات شمالى افريقية وتأثير النوبية فى السودان ، وهناك تأثيرات للغة الهندية فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية *

وهذه التأثيرات كما تتناول نقل بعض الألفاظ والتراكيب الأجنبية قد تتناول تأثيرات فى جوهر اللغة فتصاغ الألفاظ العربية بطرق جديدة وكذلك التراكيب مثل : أعطنى واحد شأى أو اثنين قهوة الى غير ذلك ، واللهجات الحديثة تحوى جانبا من اللغة الفصحى ولهجاتها الى جانب ما دخلها من مظاهر جديدة وإن كان لا يعرف على وجه

التحديد كيف تطورت ولا كيف اختلفت أو تفرعت ، ويبدو أن اللهجات العامية مستمدة من الفصحى العربية مع تأثرها باللغات المحلية للأقاليم التي دخلها الاسلام .

وان الفاتحين الذين نزلوا في ثكنات عسكرية كانوا خليطاً من العرب أرباب اللهجات العربية الأصلية وقد اختلطوا بسكان البلاد المفتوحة وأثروا فيهم فنشأت لغة تجمع بين خواص اللغة الأصلية للسكان ولهجات العرب الفاتحين .

ولذا تبدو في لهجات الأقاليم التي دخلها الاسلام مظاهر من اللهجات العربية القديمة للعرب الذين انتقلوا اليها — كقيس وتميم والحجاز وأضرابهم — وهي متأثرة بلغات البلاد الأصلية .

ومن هنا يمكن أن تدرس اللهجات العامية لبيان أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وقواعدها ومعرفه أصولها المؤثر منها والمتأثر . وهذا الكشف عن الخصائص والسمات يحتاج الى مجهود كبير وتواجه الباحثين فيه مصاعب جمة .

وقد اتجه بعض المستشرقين الى دراسة اللهجات في الوطن العربي ومن ذلك :

— لهجة اليمن لـ غ . كمبفماير الألماني .

— لهجة بغداد لـ (هاينستر)

— لهجة القدس لماكس مولر الألماني .

— دراسة صوتية في العامية المصرية لـ (هاريل) .

— نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر لـ : (و . اسبيتاباي)

— دراسات في اللسان العربي العامي ببيروت لـ : (أ . ماتسون)

— دراسات فى اللسان العربى الدارج بدمشق لـ :
(غ • برجستراسر) •

وقد قام : المستشرق الألمانى برجستراسر ببعض الرحلات الى
سوريا وفلسطين لعمل خريطة جغرافية للهجات هذه المناطق •

— لهجات شرقى الجزيرة : (م جونسون) بجامعة لندن •

— صوتيات العربية بالمغرب الأقصى لـ : (أ • فيشر) •

— نحو العربية التونسية لـ : (ه • اشتمه) •

وسار على هذا المنوال دارسون عرب فى العصر الحديث فنرى
دراسة لهجة القاهرة على يد الدكتور ابراهيم أنيس ولهجة لبنان على يد
الدكتور كمال بشر ولهجة الكرنك على يد الدكتور تمام حسان ولهجة
اقلیم ساحل مریوط للدكتور عبد العزيز مطر ولهجة صنعاء وصلتها
بالعربية الفصحى للمؤلف وغيرها ...

نهاية وخاتمة

درسنا موضوع اللهجات متتبعين جذوره وعناصره من جوانبها المتعددة بما رأينا أنه يمثل أساس الدراسة اللهجية فتحدثنا عن الكلام والقول واللغة واللهجة وأسباب الانقسام والتوحد اللغوي ليكون مدخلنا لتناول اللهجات العربية ، ثم تناولنا أثر البيئة ولقاء المجتمع البشرى بعضه ببعض — بعامة والعربى بخاصة — فى نشأة ألوان لهجية متنوعة توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا ، بعد صراع لغوى طويل .

وكانت لنا وقفات مع المتجنين عليها من مستشرقين وغيرهم لنرد الحق الى نصابه .

ثم تناولت اللهجات العربية فيما بقى محفوظا فى كتب اللغة والنحو والقراءات من مظاهر ابدالية تناولت عديدا من مصطلحات اللهجات ، وقد حاولت الاستقصاء والتتبع لذلك فى كل ما يتصل بالتغيير فى الأصوات سواء كانت حروف علة أو صوات مما له مصطلح لهجى أو لغوى .

ومع أن الظاهرة واسعة متباعدة الأطراف حاولت جمع شتاتها ونظمه فى اطار علمى درستته بعرض آراء القدامى والمحدثين منتجا البحث عن الحقيقة العلمية الناصعة .

وقد قام البحث على الربط بين الدراسة اللهجية والنحو والقراءات وأكد عمق الصلة بين ذلك كله ، مما يكشف للباحث والدارس أن الافادة الكاملة تأتى من الموازنة بينها ، وربط كل منها بالآخر .

ثم عرضت للدرس اللهجى الحديث مبينا أسسه ومبادئه وكيف
نفيد منه فى الاهتمام بالفصحى •

وقد عرضت الآراء فى نشأة العربية وتطورها ولم آل جهدا فى
الكشف عن خصائصها وصلتها بأهلها وبيئاتهم وثقافتهم •

ونخلص من ذلك الى ما يلى :

١ — دراسة اللهجات العربية تمثل مدخلا مهما فى فهم طبيعة
العربية الفصحى ، لأنها تكشف كيف تنوعت ، وتعددت طرق التعبير
فيها ، وأسرارها ، ويمكن فهم قواعدها ، وقوانينها التى تحكمها •

٢ — وان تعدد القبائل العربية قد بدا أثره فى كلامها وصلتها
ببيئتها بدوا أو حضرا ، سواء فيما يتصل بالجانب الصوتى أو الجانب
الدلالى •

٣ — ان التنقيب عن أولية العربية وتطورها يجد بابا واسعا
فى لهجاتها للتعرف على النشأة والتطور ، ويلقى بيانا واضحا عن
تفرعها من الأم الأولى •

٤ — فى اطار الدراسة النحوية العربية نستطيع معرفة اتجاه
التقنين اللغوى فيها ، وصلته بالتعليل النحوى وكيفية توجيهه لمعرفة
ما أراده العرب الفصحاء •

٥ — لعل فى تنوع الابدال بين الحروف والحركات ما يدل على
تحول الحياة الانسانية بعمامة والعربية بخاصة فى مظاهرها الاجتماعية
واتصالها باللغة •

وهناك صلة بين التبدلات الصوتية فى اللغات العالمية يمكن
الكشف عنها بمعرفة خصائص الابدال وطرقه ، ولكن ذلك يحتاج

الى صبر وأناة ، واطلاع واسع وألى حيدة علمية وانصاف فى التحليل
اللغوى لبيان الحقيقة العلمية واللغوية .

ولعلنا نتمكن ان شاء الله تعالى من اجراء نوع من هذه البحوث
فيما يوفقنا له الله تعالى فى المستقبل القريب بالربط بين الابدال فى
العربية وبعض اللغات الانسانية الأخرى كالانجليزية وغيرها .

والله ولى التوفيق

أهم المصادر

- * الإبدال لأبى الطيب اللغوى . دمشق ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .
- * ابن جنى اللغوى . رسالة دكتوراه للمؤلف فى مكتبة كلية اللغة العربية مقدمة سنة ١٩٧١ م .
- * أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى . نهضة مصر ١٩٥٨ م .
- * الاتقان للسيوطى . ط مصطفى الحلبى . ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م .
- * اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى ط ١٣٥٩ م .
- * أدب الكاتب لابن قتيبة ط ١٣٢٨ هـ . القاهرة .
- * أسس علم اللغة لـ (ماريوباي) ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر . الطبعة الثانية ١٤٠٣ — ١٩٨٣ م مطابع سجل العرب .
- * الأشباه والنظائر للسيوطى . ط حيدر آباد .
- * الاشتقاق لابن دريد . السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .
- * إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق الاستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط القاهرة .
- * أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثانية ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- * الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس . لجنة البيان العربى ١٩٦١ م .
- * الأصول . دراسة ايستمولوجية لأصول الفكر اللغوى العربى . ط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء . ط الأولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .
- * أعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٤١ م .

- * الاقتراح للسيوطى . ط الأولى .
- * الامالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلبى .
نهضة مصر ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
- * الأمالى لابن الشجرى (نشره كرنكو) ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .
- * الأمالى لأبى على القالى . ط الثالثة . القاهرة . ١٣٤٤ هـ —
١٩٢٦ م .
- * انوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسر البيضاوى) للقاضى ناصر
الدين البيضاوى . جدة المكرمة ١٣٥٨ هـ .
- * أوضح المسالك لابن هشام ومعه منار السالك للأستاذين محمد
عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن . مطبعة النجالة .
- * البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط ١٣٢٩ هـ . القاهرة .
- * البيان والتبيين للجاحظ ط . القاهرة ١٣١١ هـ .
- * تاج العروس بشرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى . المطبعة
الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ ، ط بيروت ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .
- * تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ط الاميرية ١٣٩٢ هـ ودار
الكتاب العربى ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م .
- * تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعى . مطبعة
الأخبار ١٩١١ م .
- * تاريخ الأدب العربى . العصر الجاهلى . للدكتور شوقى ضيف .
ط دار المعارف ١٩٦٠ م .
- * تاريخ الأمم والملوك للطبرى . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .
دار المعارف ١٩٦٨ م .
- * تثنيف اللسان لابن مكى الصقلى . لجنة احياء التراث الاسلامى
١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .
- * التجويد والأصوات للدكتور إبراهيم نجا . ط السعادة .

- * تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون . لجنة
التأليف ١٣٧٤ — ١٩٥٤ م .
- * التصريف الملوکی لأبن جنی . أوربا (لیبزج) ١٨٨٥ م ، ط مصر
(شركة التمدن الصناعية) ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م .
- * التطور اللغوی التاريخی للدكتور ابراهيم السامرائی . دار الرائد .
القاهرة ١٩٦٦ م .
- * تنوير الحوالک . شرح موطأ مالک للسيوطی ط القاهرة . دار احیاء
الکتاب العربیة .
- * تهذيب اللغة للأزهري . الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل
العرب .
- * الجامع الصحيح للترمذی ط ١٣٤١ هـ وما بعدها بتحقيق الاستاذ
أحمد شاکر ط ٣ القاهرة ١٩٦٨ م .
- * الجامع لأحكام القرآن (تفسیر القرطبی) للإمام القرطبی . ط
الشعب .
- * جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسی بتحقيق الأستاذ عبد السلام
هارون ط دار المعارف ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .
- * جمهرة اللسان لابن دريد مطبعة المعارف بحید آباد . الطبعة الأولى
١٣٤٤ هـ .
- * جمع الجوامع للسيوطی . ط ١٣٣٧ هـ .
- * الجنی الدانی فی حروف المعانی للحسن بن قاسم المرادی . بتحقيق
الأستاذ طه محسن . نشر جامعة بغداد ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
- * الحجة لأبی علی الفارسی . الجزء الأول ط دار الکتاب العربی .
- * الحجة فی القراءات السبع لابن خالویه بتحقيق الدكتور عبد العال
سالم مكرم ط ٢ دار الشروق ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .
- * خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . لابن عمر البغدادی .
الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٢٩٩ هـ وط دار الکتاب العربی ١٣٨٧ هـ
— ١٩٦٧ م بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون .

- * الخصائص لابن جنى . ط دار الكتب ١٣٧١ هـ — ١٣٧٦ هـ (١٩٥٢ م
- ١٩٥٦ م) مع مقدمة محققه الشيخ محمد على النجار .
- * دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح . ط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .
- * دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائى . بغداد ١٩٦١ م .
- * دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائى . بغداد ١٩٧٤ م .
- * درة الغواص في أوام الخواص للحريرى بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم . ط نهضة مصر ١٩٧٥ م .
- * دروس في علم اصوات العربية لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادى — تونس ١٩٦٦ م .
- * دلالة الالفاظ للدكتور ابراهيم انيس . الأنجلو المصرية ١٩٥٨ م .
- * دور الكلمة في اللغة لاستيفن اولمان ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢ م .
- * ديوان الادب للفارابى بتحقيق الدكتور احمد مختار عمر ط البيئية المصرية العامة ١٩٧٤ م .
- * ديوان صفى الدين الحلى . المطبعة العلمية ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- * سر صناعة الاعراب لابن جنى . الجزء الأول ط ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م ومخطوط مكتبة الأزهر (١١٦ لفة) ودار الكتب المصرية ٥٨١٦ هـ .
- * السيرة النبوية لابن هشام ط الثالثة ١٩٧٨ م .
- * شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك مع حاشية الشيخ محمد الخضرى المطبعة الأزهرية ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م .
- * شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى . ط دار احياء الكتب العربية . المطبعة الأزهرية ١٣٢٥ هـ .
- * شرح الشافية للرضى ط صبيح ١٣٤٥ هـ وط حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين ولعبد الله الحسينى ، والفاضل العصام ط ، ا. احياء الكتب العربية .

- * شرح ثذور الذهب لابن هشام . ط صبيح ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .
- * شرح الفصل لابن يعيش . ط المنيرة .
- * الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق الأستاذ أحمد شاکر . ط دار المعارف ١٩٨٢ م .
- * صاحبى لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م وط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٤ م .
- * صبح الأعشى فى صناعة الإنشا لأبى العباس أحمد القلقشندى .
- * الأمرية ١٣٣١ هـ — ١٩١٠ م .
- * صحيح مسلم يشرح النووى . المطبعة العصرية . ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .
- * صفة جزيرة العرب للهمداني . لندن ١٨٨٤ م .
- * الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الألوسى . ط السلفية ١٣٤١ هـ .
- * طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمى . دار المعارف ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .
- * الطبقات الكبرى لابن سعد . بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
- * العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب . مطابع سجل العرب ١٩٦٨ م .
- * العقد الفريد لابن عبد ربه ط ١٢٩٣ هـ القاهرة .
- * علم الأصوات عند سيبويه . أ. شادة . لندن ١٩١١ م .
- A. Schade : Sibwaihí's Lautiehre Leiden, 1911 .
- * علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وائى . ط السلفية ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ونهضة مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .
- * علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثالثة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
- * العين للخليل بن أحمد الفراهيدى الجزء الأول الى الثامن ط بغداد ١٩٦٧ م — ١٩٨٥ م .

- * فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى لابن حجر . نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء بالملكة العربية السعودية .
- * فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق صلاح الدين المنجد . ط النهضة المصرية ١٩٥٦ م .
- * فصول فى علم اللغة العام لفرديناند دى سوسر — ترجمة الدكتور أحمد نعيم الكراعين . المطبعة العصرية . الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- * فعل وأنفل للأصمعى تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغريابوى ط لجنة تحقيق التراث ببغداد .
- * الفائق فى غريب الحديث والأثر للزمخشري ط حيدر آباد ١٣٢٤ هـ — ١٩٢٥ م .
- * فقه اللغة للدكتور ابراهيم نجا . السعادة ج ٣ — ١٩٦٥ م ، ج ٤ — ١٩٦١ وطبعة أخرى جديدة .
- * فقه اللغة للدكتور عبد الله الغزازى . دار الطباعة المحمدية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .
- * فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وائى . لجنة البيان العربى ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م .
- * فقه اللغة للدكتور محمد المبارك . ط جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .
- * فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى ط . الحلبي ١٣٩٢ هـ .
- * الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جورجى زيدان . دار الهلال ١٩٢٣ م .
- * فى أصول اللغة (مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع اللغوى عن الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين فى اقيسة اللغة وأوضاعها العامة) ط ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .
- * فى اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس (ط ٢) لجنة البيان العربى ١٩٥٢ م ، (ط ٣) المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥ .

- * القاموس المحيط ببولاق ١٢٨٩ هـ ، والحسنية ١٣٣٠ هـ ، والسعادة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م .
- * القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين . دار القلم ١٩٦٦ م .
- * القراءات وصلاتها باللهجات العربية . للدكتور عبد الغفار هلال . بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض . العدد الثاني عشر .
- * القلب والابدال ليعقوب بن السكيت . القاهرة ١٣٩٨ — ١٩٧٨ م .
- * قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى بتحقيق ابراهيم الابيارى ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٣ م .
- * الكامل في اللغة والأدب للمبرد . مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ .
- * الكتاب لسيويه . ط بولاق ١٩١٦ م ، ١٩١٧ م ، وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار القلم ودار الكتب العربى .
- * كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد بتحقيق الدكتور شوقى ضيف ط دار المعارف ١٩٨٠ م .
- * كنز المعانى شرح حرز الأمانى (الشاطبية) المشهور باسم شرح شعبة لأبى عبد الله الموصلى . ط دار التأليف . بالقاهرة .
- * اللسان والانسان للدكتور حسن ظاظا . ط دار المعارف ١٩٧١ م .
- * لسان العرب لابن منظور . ط بولاق ١٣٠٠ هـ — ١٣٠٧ هـ ، ط بيروت ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- * لغات البشر لـ « ماريوباي » ترجمة الدكتور صلاح العريى . نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
- * اللغات في القرآن لاسماعيل بن عمر المقرئ . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد . ط الرسالة ١٩٤٦ ، ودار الكتاب الجديد ١٣٦٨ هـ — ١٩٧٨ م .
- * اللغة للأستاذ فندريس تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص . لجنة البيان العربى ١٣٧٠ هـ — ١٩٥٠ م .
- * اللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب . الأنجلو المصرية — ١٩٥٤ م .

- * اللغة الشاعرة للأستاذ عباس العقاد . مطبعة مخيم ١٩٦٠ م .
- * لغة تميم للدكتور ضاحى عبد الباقي ط ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- * اللغة العربية خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال مطبعة الحضارة ١٩٧٦ م .
- * اللغة العربية كائن حي للأستاذ جورجى زيدان . دار الهلال .
- * اللغة والمجتمع للدكتور محمود السمران ط ٢ دار المعارف . بالاسكندرية ١٩٦٣ م .
- * اللغة والمجتمع للدكتور وائى . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م .
- * اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن . دار المعارف ١٩٦٦ م .
- * اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا . ط السعادة .
- * اللهجات العربية فى التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندى ط ١٩٧٨ م . الدار العربية للكتاب .
- * اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحى . دار المعارف ١٩٦٩ م .
- * ليس فى كلام العرب لابن خالويه . الطبعة الأولى بالمطبعة المحمودية التجارية .
- * مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط . القاهرة دار المعارف ١٩٦٠ .
- * مجمع الأمثال للميدانى . السعادة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
- * محاضرات فى فقه اللغة القاها أستاذنا الدكتور محمد قنلاوى على طلبة الصف الثالث بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٣ م .
- * محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها للدكتور أنيس فريحة ١٩٥٥ م .
- * المحتسب لابن جنى . دار التحرير ١٩٨٦ هـ ، ١٣٨٩ هـ .
- * المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيدة ط مصطفى الحلبي ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م وما بعدها .

- * مختصر شواذ القرآن لابن خالويه . نشرة المستشرق برجستراسر - ط القاهرة ١٩٣٤ م .
- * المخصص لابن سيدة ط الامرية ببولاق . ١٣٢٠ هـ ، ط بيروت .
- * المزهر للسيوطي . ط الاولى . المطبعة السنينة ١٢٨٢ هـ ، ط صبيح .
- * مستقبل اللغة العربية المشتركة - للدكتور ابراهيم انيس . القاهرة . ١٩٦٠ م .
- * مسند الامام أحمد . ط بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- * المصباح المنير للفيومي بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشنناوى . ط دار المعارف .
- * المعاجم اللغوية للدكتور نجا . ط السعادة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٤ م .
- * المصطلحات العلمية والفنية لجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- * معانى القرآن للأخفش الأوسط . تحقيق د. عيد الأمير محمد أمين ط الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- * معانى القرآن للفراء بتحقيق الأستاذين محمد على النجار واحمد يوسف نجاتى ط . دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م والنسخة المصورة عنها بيروت ١٩٨٠ م .
- * معانى القرآن واعرابه للزجاج بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ط ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- * معجم قبائل العرب للأستاذ رضا كحاله ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ م .
- * معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى تحقيق الأستاذ مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥ وما بعدها .
- * معجمات عربية سامية للأب مرمجى الدومنى . مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠ م .
- * المغازى للواقدى بتحقيق جونس ط طهران المصورة عن طبعة جامعة اكسفورد . لندن ١٩٦٦ م .
- * المفنى فى تصريف الأعمال للدكتور محمد عضيمة . ط العهد الجديد . ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

- * مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام . المطبعة الازهرية ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م وط المدني بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
- * مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير أبى السعود . المطبعة الخيرية ١٣٠٧ هـ .
- * المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني . ط مصطفى الحلبي ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .
- * الفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام للأستاذ جواد على ط بيروت ١٩٦٨ م .
- * مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ .
- * المقتضب للمبرد بتحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة . ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ — ١٩٦٨ م) .
- * المقدمة لابن خلدون . القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- * مقدمة لدرس لغة العرب للأستاذ عبد الله الملايلى . المطبعة العصرية .
- * مقدمة لدراسة فقه اللغة للدكتور محمد أحمد أبو النرج . ط بيروت ١٩٦٦ م .
- * الممتع فى التصريف لابن عصفور الاشبيلي . تحقيق الدكتور غفر الدين قباوة ط ٤ بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .
- * مميزات لغات العرب للأستاذ حنفى ناصف . النسمادة ١٣٣٠ هـ ط الثانية .
- * من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم انيس . الانطو المصرية ط الثالثة ١٩٦٦ م .
- * مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان . ط الرسالة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

- * المنصف لابن جنى . ط مصطفى الحلبي ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .
- * من لغات العرب لغة هذيل للدكتور عبد الجواد الطيب ط ١٩٨٥ م .
- * منهج السالك الى الفية ابن مالك (الاشموني) بحاشية الصبان ومعه شرح الشواهد للعيني . ط دار احياء الكتب العربية .
- * النشر في القراءات العشر لابن الجزرى . ط مصطفى الحلبي بتحقيق الشيخ الضباع .
- * موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للدكتور أحمد شلبى ط النهضة المصرية ١٩٧٧ م .
- * مؤطاً الامام مالك . ط الثالثة بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف . نشر المجلس الاعلى للثئون الاسلامية . القاهرة ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
- * نهاية الارب لأبى العباس أحمد القلقشندي . العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م .
- * النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى بن الأثير بتحقيق الأستاذين طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ط . الأولى عيسى الحلبي ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
- * النوادر لأبى زيد الانصارى . بيروت ١٨٩٤ م .
- * مع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى . ط السعادة ١٣٢٧ هـ .
- * الوجيز فى ثقه اللغة للأستاذ محمد الأنطاكى . ط بيروت ١٩٦٩ م .

مراجع أجنبية :

- * An outline of English phonetics by Daniel Jones. Cambridge university Press .

محتوى الكتاب

المقدمة	٥
الباب الأول	٣٧
الكلام والقول واللفة واللهجة والصلة بينها	
الكلام والقول	١١ - ٢٣
الكلام ١٢ - القول ١٥ - مقارنة بين الكلام والقول ١٧ .	
اللفة واللهجة	٢٤ - ٣٧
اللفة : ٢٤ - تاريخها ٢٤ - اشتقاقها وتصريفها ٢٦ - معنى اللفة ٢٩ - اللهجة ٣٢ - اشتقاقها ٣٢ - معناها ٣٣ - ما يرجع اليه الاختلاف الصوتي ٣٥ - متى تصبح اللهجة لفة ٣٦ - عوامل استقلال اللهجة ٣٦ .	
الباب الثانى	٣٩ - ٧٠
انقسام اللفة وتكون اللهجات	
عوامل انقسام اللفة الى لهجات	٤١ - ٥١
اختلاف البيئات الجغرافية ٤١ - تنوع الظروف الاجتماعية ٤١ - الاتصال البشرى وآثاره ٤٣ - تطبيق تلك العوامل على العربية ٤٥ - العامل الاجتماعى والثقافى والجغرافى ٤٥ - الاتصال البشرى بين العرب وغيرهم ٤٦ - اختلاط القبائل وآثره فى اللهجات ٤٨ .	
تركيب اللغات	٥٢ - ٧٠
التداخل فى الأبنية ٥٢ - (أ) تفسير التداخل فى أبنية الأعمال ٥٤ - (ب) تفسير التداخل فى أبنية الأسماء ٥٩ - (ج) التداخل فى الألفاظ ٦٧	

صفحة

٧١ — ١٠٢

الباب الثالث

التوحد اللغوى والعربية الباقية

التوحد اللغوى بين اللهجات ٧٣ — ٨٠

عوامل التوحد اللغوى ٧٤ — العامل السياسى ٧٥
— العامل الاجتماعى والاقتصادى ٧٦ — العامل
الأدبى ٧٦ — وسائل الاعلام ٧٧ — المدن الكبرى ٧٨
— الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية ٧٩ .

العربية الباقية ٨١ — ١٠٢

أولية العربية الباقية ٧٢

عوامل توحد اللهجات وتفوق القرشية ٨٣

(١) النفوذ الدينى ٨٣ — (٢) النفوذ التجارى ٨٣
(٣) النفوذ السياسى ٨٥ — (٤) النفوذ اللغوى ٨٥
القول بسيادة القرشية ٨٥ — رأى المعارضين لهذا
القول ومناقشته ٨٩ — رأى أحمد بن نارس فى
تفوق القرشية وأسبابه ٩٦ .

١٠٣ — ٤١٠

الباب الرابع

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

آثار اللهجات العربية ودراستها ١٠٥ — ١١٥

تاريخ الاختلاف اللهجى وطبيعته ١٠٥ — كتب
اللهجات ومطائنها ١٠٨ — اهتمام العلماء باللهجات
وموقفهم منها والاحتجاج بها ١٠٨ — ظهور اللهجات
فى كتب ابن جنى ١١٣ .

مظاهر اختلاف اللهجات ١١٦ — ٣٨٧

الجانب الصوتى والجانب الدلالى ١١٦ — انفراد
العربى بما لم يسمع من غيره ١١٧ .

١٢٠ — ٣١٣

الفصل الأول

الابدال وأثره فى اللهجات

تعريفه ١٢٠ — أنواعه ١٢٠ — أثره اللغوى ١٢١

آراء العلماء في الابدال ١٢٣ — ١٤٤

راى ابن جنى : الحكم بالابدال أو باختلاف اللهجات ومقياس ابن جنى فى ذلك ومناقشته ١٢٣ — موقف العلماء من هذا الراى ١٣٢ — المتابعون لابن جنى : ابن سيدة وابن يعيش ١٣٢ — والدكتور ابراهيم أنيس ١٣٥ — راى فريق آخر : الحكم باختلاف اللهجات : راى أبى الطيب اللغوى ١٣٩ — ابن السكيت ١٣٩ — والبطلينوسى ١٤٠ — وابن خالويه وأبى على القالى ١٤١ — راى المتابعين لهذا الراى من المحدثين ١٤١ .

اسباب الابدال ١٤٤ — ١٦١

أولا : اختلاف اللهجات ١٤٤

ثانيا : التطور الصوتى ١٤٥

(١) أعضاء النطق ١٤٦ — اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب ١٤٦ — تطور أعضاء النطق ١٤٧ — عيوب أعضاء النطق ١٤٨ — (ب) المكان والزمان ١٤٩ — (ج) الحياة الاجتماعية ١٥٠ — (١) العزلة والاختلاط الاجتماعى ١٥٠ (٢) الثقافة والحضارة ١٥١ (٣) الحالة النفسية ١٥٢ — (٤) عوامل اجتماعية أخرى ١٥٢ .

ثالثا : دواع لغوية ١٥٣

(١) تفاعل الأصوات : (١) المماثلة ١٥٣ — (ب) المخالفة ١٥٤ — (ح) التناوب بين الأصوات ١٥٥ — (٢) الاشتقاق ١٥٦ — (٣) تغير المعنى ١٥٦ — التصحيف والتحريف ١٥٧ — صنع الالفاظ واختلاقها ١٥٩ .

أولا : الابدال فى الحروف ١٦٢ — ٢٨٧

الكشكشة ١٦٢ — الكسكة ١٦٤ — الشنشنة ١٦٦ — العننة ١٦٨ — الفخحة ١٧١ — العججة ١٧٦ — الوتم ١٨١ — الاستنشاء ١٨٥ — الطبطمانية ١٨٨ .

الامالة والفتح ١٩٤ — ٢٠٩

تعريف الامالة ١٩٤ — اللون من الامالة أضافها ابن جنى (الفتحة المالة نحو الضمة ١٩٤ — الكسرة

صفحة

المشوبة بالضمة ١٩٥ — الضمة المشوبة بالكسرة
 (١٩٦) — الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث
 الإمالة ١٩٧ — أسباب الإمالة في كتب النحو واللغة
 ١٩٨ — أسباب إمالة الألف ١٩٨ — أسباب إمالة
 الفتحة ٢٠٠ — تفسير المحدثين للإمالة والفتح
 ونسبتها إلى القبائل العربية ٢٠٠ .

الهمز والتسهيل ٢١٠ — ٢٣٧

الفروق بين الهمزة وحروف العلة ٢١٠ — نظرات
 المحدثين إلى حوادث الإبدال بين الهمزة وحروف
 العلة ٢١١ — رأى هنرى فليش في تفسير هذه
 الأحداث ٢١١ — مناقشة هذا الرأى ٢١٢ — رأى
 الدكتور شاهين ومحاولة تفسير المشكلة برأى
 جديد ٢١٣ — نظراتنا حول هذا الرأى ٢١٧ —
 موازنة بين موقفى القدامى والمحدثين من حروف
 العلة ٢١٩ .

تفسير الهمز وقبائله ٢٢٣ — ٢٣٧

إبدال الهمزة من حروف العلة : أمثلتها ٢٢٣ —
 تقسيم القدماء للهمز وتفسير الشاذ منه ٢٢٤ .

إبدال حروف العلة من الهمزة ٢٢٧ — ٢٣٣

إبدال الواو ٢٢٧ — إبدال الألف ٢٢٨ — إبدال الياء
 ٢٣٠ — تفسير القدماء والمحدثين لهذا الإبدال ٢٣١

إبدال حروف العلة بعضها من بعض ٢٣٣ — ٢٣٧

إبدال الواو من الألف والياء ٢٢٣ — (أ) من الألف
 ٢٣٣ — (ب) من الياء ٢٣٤ — إبدال الألف من
 الياء والواو ٢٣٤ .

صفحة

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة) ٢٣٨ — ٢٤٩

تعريفها ٢٣٨ — شروط تحققها ٢٣٨ — مواضعها
٢٤٠ — رأى اللغويين فيها ٢٤١ — تفسير بعض
اللغويين القدامى للتعاقب ٢٤٦ .

التبادل بين حروف العلة والصوامت ٢٥٠ — ٢٨٧

التبادل بين الألف والعين ٢٥٠ — والنون ٢٥١
والهاء ٢٥١ — التبادل بين الواو والباء ٢٥٣ —
والتاء ٢٥٤ — والميم ٢٥٧ — والهاء ٢٥٩ .
التبادل بين الياء والباء ٢٦١ — والتاء ٢٦٧ —
والتاء ٢٦٩ — والجيم ٢٦٩ — والذال ٢٧٢ والرأ
٢٧٣ — والصاد ٢٧٨ — والضاد ٢٧٨ — والعين
٢٧٩ — والكاف ٢٧٩ — واللام ٢٨٠ — والميم ٢٨٠
— والنون ٢٨٢ — والهاء ٢٨٣ .

ملاحظات لغوية ٢٨٦

ثانيا : الأبدال في الحركات ٢٨٨ — ٣١٣

الوكم ٢٨٨ — الوهم ٢٨٩ — تظلة بهاء (تعريفها
— آراء العلماء فيها — قبائلها) ٢٩٠ .

التخفيف في بعض اللهجات ٢٩٥

أولا : بالاتباع : فاء فاعل وفعل ٢٩٥ — صور من
الاتباع : الاتباع في (الحمد لله) ٢٩٧ — الاتباع في
(للملائكة اسجدوا) ٢٩٩ .

ثانيا : بالاسكان أو حذف الصوامت واجتماع التغير
والحذف ٣٠٠ — تسكين ثين عشرة حال التركيب
٣٠٤ — الضميران هو وهى ٣٠٧ — السكون
والحركة في الصوامت الحلقية ٣٠٩ .

صفحة
٣١٤ — ٣٥٣

الفصل الثانى التفجير فى بعض الصيغ اللغوية وتعدد الأوجه النحوية

أبدال الياء ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية ٣١٤ —
قلب الف المقصور ياء ٣١٧ — تصحيح اسم المفعول
من الثلاثى الأجوف ٣٢٠ — بعض الأسماء
المقصورة والمحدودة ٣٢٢ — كلا وكلتا ٣٢٣ — هيات
٣٢٦ — هلم ٣٢٩ — الحاق الفعل علامة التثنية
والجمع ٣٣٠ — فعال للمؤنث ٣٣٥ — الاسم
الموصول ٣٣٦ — اعراب المثنى ٣٣٩ — ما الحجازية
والتميمية ٣٤١ (عملها ٣٤١ زيادة الباء فى خبرها ٣٤٢
زيادة من مع اسمها ٣٤٣) — الوقف على تاء
التأنيث ٣٤٣ — مطابقة المصدر لموصوفه ٣٤٦ —
لهجات يلفتها النحاة ٣٤٩ — قبل وبعد ٣٤٩ —
(لا) النافية للجنس ٣٥١ .

٣٥٤ — ٣٧١

الفصل الثالث الفك والادغام

الفك والادغام فى الفعل الثلاثى المضعف ٣٥٤ —
صيغة افتعل ٣٦٥ — تفاعل وتنععل ٣٦٨ —
التفسير اللغوى للفك والادغام ٣٧٠ .

٣٧٢ — ٣٨٧

الفصل الرابع نقص بعض الحروف وزيادتها

حذف نون (من) ٣٧٢ — حذف ألف (على) الجارند
ولامها ٣٧٣ — اللخائية ٣٧٣ — القطعة ٣٧٤ —
فعل وأفعل ٣٧٧ — فعل وافتعلى ٣٨٥ — ضمير
الخطاب ٣٨٦ .

صفحة
٣٨٨ — ٤١٠

الفصل الخامس الدرس اللهجي الحديث

أهمية دراسة اللهجات ٣٨٨ — دراسة الفصحى
عند الغربيين ٣٨٨ — أسباب الاهتمام بالفصحى
٣٨٩ — ظهور الاتجاه لدراسة اللهجات ووسائل
دراستها ٣٩٠ — التوحيد والانقسام في اللغة
وأسبابه ٣٩١ — أنواع اللهجات ٣٩٢ — تكوين لغة
عالية ٣٩٤ — دراسة اللغة عند المحدثين ٣٩٥ .
الأطلس اللغوي : بيان الحدود الجغرافية للغات
٣٩٦ — رسم خط جغرافي للهجات ٣٩٧ —
تاريخ ظهور الأطلس اللغوي ٤٠٠ — موضوع
الأطلس اللغوي ٤٠١ — طريقة ونكر ٤٠٣ —
طريقة جيلرون ٤٠٣ — شروط الراوى والمسجل
اللغويين ٤٠٤ — أسس الأطلس اللغوي ونتائجه
٤٠٤ — ما يجب مراعاته في دراسة اللهجة ٤٠٦ —
تطبيق ذلك في دراسة العربية الفصحى
ولهجاتها ٤٠٧ .

٤١١	نهاية وخاتمة
٤١٤	أهم المصادر
٤٢٥	محتوى الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٢٢٣٣

